

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية الآداب والفنون
قسم الأدب العربي

الفكر النقدي والبلاغي عند ابن البناء العددي المراكشي
من خلال كتابه: [الرّوض المربع في صناعة البديع]
"مقاربة نسقية"

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي
تخصص: التراث النقدي ومناهج القراءة الحديثة

إشراف:
د. محمد حمودي

إعداد الطالب:
حكيم بوغازي

لجنة المناقشة

- د. خيرة مكاوي (جامعة مستغانم)..... رئيسا
د. محمد حمودي(جامعة مستغانم)..... مشرفا ومقررا
د. زيوش محمد (جامعة شلف).....مناقشا
د. قادة محمد (جامعة مستغانم).....مناقشا
د. برونه محمد (جامعة وهران).....مناقشا

السنة الجامعية: 2012—2013

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية الآداب والفنون
قسم الأدب العربي

الفكر النقدي والبلاغي عند ابن البناء العددي المراكشي
من خلال كتابه: [الرّوض المربع في صناعة البديع]
"مقاربة نسقية"

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي
تخصص: التراث النقدي ومناهج القراءة الحديثة

إشراف:
د. محمد حمودي

إعداد الطالب:
حكيم بوغازي

لجنة المناقشة

- د. خيرة مكاوي (جامعة مستغانم)..... رئيسا
د. محمد حمودي (جامعة مستغانم)..... مشرفا ومقررا
د. زيوش محمد (جامعة شلف)..... مناقشا
د. قادة محمد (جامعة مستغانم)..... مناقشا
د. برونه محمد (جامعة وهران)..... مناقشا

السنة الجامعية: 2012—2013

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ أَهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّينَ ٧

مقدمة

يقول ابن المقفع (-142هـ) في مقدمة الأدب الكبير:

[إن السابقين من أهل العلم، لم يغادروا شيئاً لم يتناولوه بالدرس، حتى لم يبق في جليل من الأمر لقائل بعدها مقال].

أرحيلة عباس

مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع

ص: 187

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعلى معالم العلم بأعلامه، وأحلى موارد الفهم لأولي أحلامه، وأشرقت بسناء محامده في سماء المعاني و البيان أبحرهم وبدور، تنزهه تعالى عن الشبيه والنظير، والصلاة والسلام على نبيه شجرة العلم، أصلها ثابت وفرعها في السماء تُؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وعلى آله الغر المحجلين.

أما بعد:

فإن المتلقي للخطاب النقدي والبلاغي المغربي، وبالتحديد المدونات التي استأثرت بالفلسفة الأرسطية والمنطق الرياضي؛ يكشف العناية المفرطة من لدن أصحابها بتوظيف الآليات المنطقية والرياضية في اصطناع المصطلحات، واستقراء الشواهد البلاغية بالتأويل والتفسير، و تنهيج التفكير البلاغي، وفق غايات مستهدفة لأغراض علمية ودينية، فرضتها طبيعة العصر، وملابسات التاريخ والثقافة آنذاك.

ومن هؤلاء الدارسين ابن البناء العددي المراكشي (ت721هـ)، الذي أخرج للناس كتاباً مُخصفاً هشت له النفوس، وتباينت القراءات حوله، فكان له أن بزّ صناعته و مصطلحاته، جرياً على ما استبطنه من مكنونات الدرس الفلسفي و الرياضي، قصد تقوية حجّة الإعجاز، وتقريب صناعة البيان والبلاغة من القارئ المهتمّ بهما، من دون رعة في أقواله ولا تحلف عن صناعته .

يُعلن ابن البناء العددي في مقدّمة كتابه "الروض المريع في صناعة البديع" عن حيثيات مشروعه في تأسيس علم البلاغة، يخالف فيه السلف من البلاغيين والنقاد المشاركة وبعض المغاربة، مبرزاً أهمّ الجوانب المتعلقة بالدرس النقدي و البلاغي، وذلك بإتباع طريقة الاستنتاج بعد ما تبين له عدم جدوى الاستقراء منفرداً في تأسيس مصطلحات البلاغة عند من سبقه.

والعلّة في نهجه سمّت الاستنتاج والاستقراء في صناعة مصطلحات البديع، عائد إلى اعتباره المعاني - التي قد تكون موجّهة نحو الغرض المقصود- غير منحصرة، إلاّ من جهة العبارة باللفظ، في حين نجد أهل صناعة البديع قبل ابن البناء العددي، قد حصروها بالاستقراء من جهة اللفظ، وقسموها إلى أقسام مع وضع أسماء لها، ومع ذلك برز بينهم اختلاف، وزحزحة هذا الاختلاف هو مناط الجمع والتدوين ومبلغ علم ابن البناء العددي في عملية السّبر والتقسيم التي اعتمدها، نحو تحديد الغاية من التركيز على الاستنتاج دون الاستقراء.

ومدار الأمر من وراء ذلك كلّ، تشديد العناية بالبديع دون البيان، باعتبار هذا الأخير يفيضه الحق سبحانه على الإنسان، أي ممنوح فطريا من لدن الخالق الباري، في حين أنّ صناعة البديع وإن كان متّكأه على علم البيان، فهو يحتاج إلى تقسيم انطلاقا من كليات تنضبط تحتها جزئيات.

و بالجملة، فلقد استهدف ابن البناء العددي من وراء تأليف الرّوض المريع، خدمة الكتاب والسنة أو كما لهج، فهو عمل غير مملّ، يصغر جرّمه ويكثر علمه، إضافة إلى تقريب الفهم للمتلقّي، وزيادة المنة في فهم لطائف معاني الكتاب والسنة.

ووافق هذا التأسيس، ونحن نحوض معترك الدّرس البلاغي المغاربي، عنّت لنا خصيصة لازمة في مسأله ومائزة بقضاياه عن ما عرف عند سابقه، وهذا ما حرّك فينا هاجس التّبَحْث، وأعمل نظرنا القرائي، وقذف بنا نحو الجُجّ التّخمين، والانشغال على صياغة موضوعيّة علمية لثيمة البحث، وتحديد عنوانه المناسب.

وإذ ذاك، اقتضى الأمر منا الحفر في منظوم ومنتور الدرس البلاغي والنقدي عند ابن البناء العددي، بحسب منظورنا الكلياني لمدار البحث الذي اصطفاه هذا الأخير، آخذين في الحسبان كيفية قراءة موروثنا النقدي والبلاغي، في ضوء المنهاجيات الحديثة، وما بعد الحديثة.

وضمن هذا السياق، كان عنوان البحث وفق ما يشاكل مباحثه الرئيسة، موسوماً بـ:

[الفكر النقدي والبلاغي عند ابن البناء المراكشي. من خلال كتابه "الرّوض المّريع في صنّاعة البديع"]

- مقارنة نسقية - .

وثمة بواعت توافرت وراء اختيار هذا الموضوع، ذاتية وموضوعية؛ تتلخص الموضوعية منها في:

- السعي إلى محاولة الكشف ومعرفة الماهية العلمية، التي كانت دهاقاً بحيثيات تستدعي الاستفسار البّناء والقويم، من دون عجّ أو هرج.

- إن التراث النقدي المغاربي بحاجة إلى قراءة متجددة بآليات حديثة، من شأنها الكشف عن أغوار الفعل المعرفي الذي استرفده المحمول التراثي العربي.

- إن الدراسات حول ابن البناء العددي، بالرّغم من مقدرته الفائقة على التحليل والتعليل والتوضيح قليلة مقارنة بغيره من معاصرين له أو سابقين عنه.

- إن مسألة "كليات البلاغة"، وكذا تثمين ابن البناء العددي، للخلفيات المعرفية للدرس البلاغي على مستوى تأثيل ذاكرة المصطلح، وهيمنة صنّاعة البديع عند الأوائل، - خاصة "ابن المعتز" - على كتاب "ابن البناء"، جعلتنا نتوقف عند نقاط الالتقاء والافتراق ما بين المشرق والمغرب، بمنجزه النقدي الجديد القديم، وتقدير مدى تسارع التأثير والتأثر، ضمن نسق المثاقفة أو الابتداع.

- إن مسألة تبيين المنجز التراثي النقدي العربي في ثوب جديد ضمن إطار القراءة الحديثة، جعلنا ندخل طواعية في محاورته من منظور النظريات النقدية المعاصرة، وإعادة القراءة والكتابة واستنطاق المدلولات المغيية.

وأما الذاتية، فنجملها في:

- ميلنا إلى البحث في الأدب المغربي، لما له من قليل التناول والمدارسة، ولاسيما قضاياها الأساسية المتعلقة بالأسئلة الجوهرية، التي صنعت أسس الفكر البلاغي والنقدي المغربي.

- محاولتنا الوقوف على شخصية ابن البناء العددي، في مستواها المعرفي والتاريخي، وفي تعاملها مع الوضع "المريبي" العام، والذي شكّل نقطة تحوّل على الساحة العلمية والأدبية يومئذ.

و انطلاقا من الدوافع السالفة الذكر، تناهت إلى تفكيرنا جملة من الإشكاليات، التي هي في الواقع

بؤر الحقيقة في الوجود على حد نعت المفكرين لها، فمن أبرزها:

- ما هي المرجعيات الفكرية والعلمية، التي أسست الفكر النقدي والبلاغي المغربي عامة والبنّاي على وجه الخصوص؟ وهل أثمرت جهود ابن البناء العددي النقدية والبلاغية، في بناء صرح الدرس البلاغي وفق نظام الكليات المنطقي المندرج أسفله جزئيات مباحث صناعة البديع؟ .

- وهل يمكن اعتبار اجتهاد ابن البناء دُكْسُولُوجيا (doxologie) جديدة . على حد تعبير:

[جيل دُولُوز] . في ثوب فلسفي منطقي؟ وكيف تجاوز الآخر ضمن البناء الهرمي للدرس البلاغي؟ .

وإذا اقتضى منا الأمر الإشارة إلى المنهج، الذي يمثل التناسق العام لمجموعة من الخطوات الإجرائية

المناسبة لدراسة موضوع ما، فإننا نعول على مقولة محمد عابد الجابري في أنّ "طبيعة الموضوع تفرض علينا

المنهج"، وعليه كانت مقارنتنا للموضوع مدار البحث مقارنة نسقية، تأخذ من كل المناهج الحديثة ما يناسب الدرس البحثي المراد تفكيك معاملة في هذا المذكرة، من دون الالتفات إلى منطلقها النظري.

وعليه سيكون مستندنا الأول، التوجّه نحو تطبيقات نظرية تحليل الخطاب، من أجل تحليل وكشف مكان التناسب بين النصوص، والشواهد التي حاول ابن البناء العددي التمثيل عليها، وتفردّه بذلك في تحليل نظرية الشاهد الأمثل (prototype)، على مستوى من التأكيد على درايته ومعرفته الرياضية و المنطقية المنتهجة في تصنيف وتبويب مفاصل الكتاب.

أما من حيث التدليل والتأكيد على هيمنة النسق التأويلي العام، الذي ينبني عند ابن البناء العددي على العلاقات الرياضية والمنطقية وقياس الشمول - الاستدلال بكلي على جزئي-، أكثر من قياس الشبيه بالنظير- التمثيل = العلة-، وخاصة ما تعلق بالجانب الاستعاري وبعض مباحث صناعة البديع، فإننا لا نكاد نعثر على ما يُسعفنا من مناهج في هذا السياق، إلاّ التمسك بتلابيب نظرية التلقي والتأويل، قصد العودة إلى قيمة النص في ثنائية بلاغته التأويلية، من خلال دوائره الصغرى والكبرى، من منظور أنّ كل فعل قرائي لنص من النصوص يروم بناء المعنى، - على حد تعبير [فرانسوا راستي] "Francois Rastier"- في بُعديه: الارتدادي والامتدادي، - على حد تعبير المنظرين -، و من خلال البعد الجمالي الممتد بين النص ومتلقيه، بوعي وفهم فني وإدراك داخل بنية الخطاب، أين يحمل النص المؤؤل دلالة للمؤؤل له.

وقد نلتجئ من زاوية أخرى إلى لسانيات النص، من أجل التأكيد على أحقية صناعة البديع في توليف نسيج النص وسبكه وحبكه، ولا جرم من التأكيد والحرص على تبني بعضها من إجراءات النقد الثقافي في التعامل مع هذه المدونة، انطلاقاً من مفاهيم [ليتش] و [فوكو]، الداعية إلى وجوب الاستفادة من مناهج

التحليل ودراسة الخلفية التاريخية، إضافة إلى الإفادة من الموقف الثقافي النقدي العام، ومحاولة بسط نوع من القراءة الكاشفة على حد تعبير " فيسر - vesser".

وإذا ما أردنا الوقوف على أهمّ الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، سواء من قريب أو بعيد فإننا أول ما نلتفت إليه، هو محقق الكتاب " رضوان بن شقرون "، وكذا واضع المقدمة الأستاذ " عزة حسن"، واللذان تحدّثا عن مكانة الكتاب وكتابه، وما اعتور الدرس البلاغي المغربي من تأثير أرسطي.

وأما ما عدا هذا، فلا نكاد نعثر- في حدود اطلاعنا - على دراسات متخصصة في هذا الشأن اللهم إلا ما كان من كبير اهتمام لدى محمد مفتاح، تقريبا في جل كتبه: وبالتحديد، "التلقي والتأويل - مقارنة نسقية"، "مشكاة المفاهيم، النقد المعرفي والمثاقفة"، وكذا الباحث عمر أوكّان في كتابه "اللغة والخطاب"، ومحمد أبلّاغ في مقالاته، بالإضافة إلى بعض الدراسات التي تفرّدت بتحقيق مخطوطاته في الرياضيات، بوصفها الخلفيات المؤسّسة لما اصطنعه في مؤلفاته البلاغية والصوفيّة.

ومن الرسائل العلمية التي أسهمت أيضا في إضاءة سبيل البحث لنا، رسالة الباحثة السعودية "سعاد صالح فريح الثقافي" للماجستير(2003) والموسومة ب: [المصطلحات النقدية والبلاغية عند ابن البناء]، حيث اضطلعت بإعادة ترتيب مصطلحاته وفق تبويب دلالي وتركيبى وإيقاعي.

و بالرغم من النتائج الطيبة التي أحرزتها، إلا أنّها لم تقف على فرادة ابن البناء العددي في الدرس البلاغي ذي الخلفية المنطقية، وإضافاته التي تميزه عن غيره من الدارسين.

ينضاف إلى ما سلف، رسالة عباس أرحيلة للدكتوراه الموسومة بـ: [الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري]، وكل ما كتبه من مقالات في هذا الشأن، والذي يلفت انتباه المتلقي ههنا، انحياز الباحث إلى الرأي القائل بخفوت التأثير الأرسطي في البلاغة العربية، والذي ينتابه التنازع نحو التمذهب تارة وطمس الشخصية العربية تارة أخرى، ومن ثمّ فإنه خالف جذريا ما ذهب إليه طه حسين وأمين الخولي، ومن جاء بعدهما، في نسبة بعضا من البلاغة العربية إلى التأثير اليوناني المباشر.

والحقّ أن السّفر مع الكتب والدّراسات، والسّهر على تحليل مضامينها شاق ومضن، وبعيد الإصابة، والعقبة فيها كؤود، ولا نأمل إلاّ المحاولة الجادة في هذا الباب، فضمن هذا السياق، لا بأس أن نشير إلى بعض الصعوبات التي واجهتنا في طريق البحث؛ حيث المعرفة منها تكمن في عدم توقّر كتب ابن البتاء العددي بوجه خاص، بوصفها المصادر الأساس في البحث، ممّا اضطرّنا إلى السفر إلى المملكة المغربية والبحث عنها في المكتبات الجامعيّة بمراكش، والدار البيضاء، وفاس، والخزانة الملكيّة بالرباط.

وبعد جُهد جاهد، وجهد جهيد وصلنا إلى المخطوطات والمصادر، وههنا واجهتنا صعوبات جمّة في كيفية تحليل وتفكيك مكنونها، ممّا حدا بنا إلى الاستعانة بالشّروح ممن لهم دراية بالرياضيات والفلسفة على أنّه كان لزاما علينا كذلك أن نبحت عن الشيوخ المحقّقين الذي لازالوا على قيد الحياة، حتى نتعرّف عن قرب على طبيعة الفكر البلاغي المغاربي، من مظانه الأصليّة الأصيلّة، فكان لنا ذلك، بعد وصّب ووكد، وقطع مسافات طوال من الشمال إلى الجنوب، حيث التقينا بأحد الشيوخ فلم ييخل علينا بشيء، ووضع بين أيدينا كل ما نحتاجه، فله منا جزيل الشكر وخالص العرفان.

و من مستعصيات الأمور أيضا، قلّة درايتنا بعلوم المنطق، والفلسفة والرياضيات، إن لم نقل انعدامها، الشيء الذي استوجب منّا إنعام النظر في اليسير منها، وبذل جهد في التعامل مع المادّة التي ألفيناها ولو بالنزر القليل، وما نحسب أنه اجتمع لنا هذا كله.

وعلى الرغم من العنت الذي نال منا، في استجلاب المادّة وتفعيلها وفاق المنهاجيات، إلا أنّ عزيمتنا لم تثبّط في إنهاء ما بدأناه، وأرغنا مراده، ورغبنا كفايته.

هذا وبعد أن بان لنا الرُّشد في تفصيل المادّة البحثية، وبلغنا الغاية فيها، استرشدنا إلى وضع خِطّة تنتهض على مقدمة ومدخل وثلاثة فصول، خصصنا المدخل للحديث عن الإرهاصات الأولى للدرس النقدي والبلاغي على مدار قرون من الزمن عند المشاركة أي قبل عهد "ابن البناء"، وهي الفترة التي تعد موثلا للمغاربة، وحقلا يسترفدون منه ما دجّت به صحائفهم، ومدوناتهم.

وأما الفصل الأول، فقد تناولنا فيه الأصول والمرجعيات التي أُرّخت لظهور المدارس النقدية المغربية، مركزين على التقسيم الثنائي الذي اجتهدنا في الإبانة عنه، حيث نُبرز المدرسة الأدبية المتمثلة في عبد الكريم النهشلي وابن رشيق وغيرهما، والمدرسة الفلسفية البلاغية المنطقية، وعلى رأسها ابن عميرة في "تنبيهاته" والقرطاجني في "مقصورته" و"منهاجه" وغيرهما، وهذا من أجل التدرج من العام نحو الخاص، على أمل الإمام بجوانب الموضوع قبل الولوج إلى غياهب أبواب كتاب "ابن البناء".

وبعد التعريف بالساحة النقدية المغربية وما لها من عظيم الشأن في إرساء دعائم الدرس البلاغي والنقدي العربي بجانب المشاركة، خلصنا إلى الفصل الثاني، وركزنا فيه الحديث عن تجليات التفكير المنطقي في صناعة مصطلحات علم البديع عند ابن البناء العددي، مشيرين بداءة إلى الفروق التي وضعها حول جملة

من المواد المعرفية، متمثلة في "علم البيان" و"صناعة البديع"، و"الفصاحة" و"البلاغة"، ومنها تحدّد التصور المنهجي والعملي الذي سلكه ابن البناء في تطويع مصطلحات علم البديع، بعد أن ابتكر نظام الكليات، الذي يحوي في داخله جزئيات صناعة البديع، وهاهنا تستدعي الإشارة إلى تفرد هذا العمل الجدير بالقراءة، ومدى قدرته الفائقة على محاولة ضم كل مباحث علم البيان والمعاني والبديع.

بينما أفردنا الفصل الثالث للحديث عن "فلسفة المنطق الرياضي وتأسيس بلاغة ابن البناء" حيث أفصحنا فيه عن اتخاذ "ابن البناء" نظرية التناسب الرياضية وغيرها من النظريات الفلسفية، مطيةً لأجل تفسير النصوص الماثلة بين يديه، بكل الوسائل المنهجية والديالكتيكية المتاحة له، ومدى توسّعه في تأويل الشواهد البلاغية، انطلاقاً من التشبيه والتبديل والتوظيف، مع استخدام أركان التناسب الهندسي بصوره الأربع والتقابلات الثمانية، والتأكيد على العلاقات المنطقية بين القضايا، في معرض حديثه عن السلب والعكس والتناقض، و الاحتراز منه على خصوصية اللغة الطبيعية، عند تعويله على المنطق التجريدي مائلاً عن الاختزال والحشو والإطالة.

ثمّ قفينا على إثر ذلك، الحديث عن علاقة صناعة البديع المنتظمة تحت الكليات بالنص ككل متكامل، في اتساقه وانسجامه، إذ سيعكس تأويل الشواهد الاستعارية والمجازية، طبيعة بناء الأسلوب والتركيب، انطلاقاً من مصطلحات البديع، وانتظامها داخل النص وتراصّها، ممّا سيساهم في سبك النص وترابطه الدلالي، وهي مباحث اختصّت بها لسانيات النص المعاصرة.

على أن الخاتمة كانت حوصلة شاملة للبحث، وملخصاً جامعاً مانعاً للقضايا المتناولة في متن الرسالة، وإحصاء أهم النتائج المتوصل إليها من خلال تتبع المسار المعرفي والمنهجي لابن البناء المراكشي.

وشأن كلِّ بحث، فقد عولنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي تخدم البحث من كل جوانبه ونذكر منها على سبيل التمثيل: "وجوه أعمال الحساب" و"تلخيص أعمال الحساب" و"مراسم الطريقة" لابن البناء، "المنزح البديع" للسجلماسي، و"منهاج البلغاء" للقرطاجني، وكل مؤلفات محمد مفتاح التي لها وشيخة بالموضوع قيد الدراسة، إضافة إلى جملة من المصادر والمراجع النقدية والبلاغية والفلسفية العربية والأجنبية التي لها صلة بالمباحث المتناولة.

وإذا كان ممن يُخصّ بالثناء والامتنان، فالله وحده عزّ وجلّ، ثم الشكر والعرفان الخالصين لأستاذي المشرف، الدكتور محمد حمّودي، الذي كان سندي رغم ظروفه، وعونا لي رغم انشغالاته دون نسيان صاحبة المشروع الدكتورة خيرة مكاوي، التي أمدتنا بقوة البحث، فلهما منّا جزيل التقدير والاحترام.

والله الهادي إلى سواء السبيل، وله الحمد في الأولى و الآخرة.

مدخل

[... النقد لا يفصل أبدا عن البلاغة، شقيقته الكبرى...]

عبد العزيز عتيق

تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 11

إن المستقري لمرحليّة تشكّل الدّرس النّقدي والبلاغي العربي القديم، يلحظ أنّ البدايات الأولى كانت تسجّل وفق نتائج النّظر في النّصوص على اختلافها، طبقاً لمستويات القراءة المتاحة حينها ومحاولة إثبات الإعجاز الكامن وراء النصّ القرآني من جهة، والنصّ الأدبي من جهة أخرى؛ على اعتبار أنّ هذا النصّ القرآني تشكّلت مدارس شتى في تفسيره وتأويله بناء على الانبهار، وشدة وقعه على الخواطر (المتلقي)، أين أسّس لجمالية فنيّة أدت إلى تلازم ملحوظ وجليّ، ما بين الفني والدّيني داخل الخطاب القرآني، رغم السّبق الزّمني لظاهرة الشعر الجاهلي على مستوى التشكيل والنّظم.

و ركحا على ما سبق، فإن هذه الإرهاصات الأولى، أسهمت في بناء وتطوير الدّرس النّقدي والبلاغي، وأثّرت إلى حد ما في وضع مناهجه ومعامله، فكان قوام ((النقد على الإحساس بأثر الشعر في النفس))¹، حيث كانت التعليقات والملاحظات النقدية الأولى، تمثل البلاغة العربية في صورتها الفنيّة*، في حين أفاد الدرس البلاغي الناقد في فهم النصوص الأدبية وغيرها، فكان أنّ وجدنا نوعاً من التكامل والتمازج بين العلمين قائماً ردحا من الزّمن.

وعليه، فإننا نجد أنّ الدّرس البلاغي والنّقدي قد مرّ بطورين، وفق مصدرين: ((داخلي وخارجي: الاكتشاف من الداخل، وقد أنجز عن طريق تأمل النصّ الشعري مباشرة، أي عن طريق الملاحظة المباشرة

¹ - طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (دط)، 2004، ص 31.

* - ولعل أول ما تردد من معنى البلاغة في سؤال معاوية بن أبي سفيان لصحار بن عياش، حيث ذكر الجاحظ سؤال معاوية: ' (ما البلاغة التي فيكم؟ قال: شيء تجيش به صدورنا، فتقذفه على ألسنتنا، وقال له معاوية: ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز، قال له معاوية: وما الإيجاز؟ قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ) ينظر: الجاحظ البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ج1، ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1998، ص 96.

والاختيار الفني))¹، - وسيأتي بيان المصدر الثاني-، ممّا أكّد على حرص البلاغيين الالتزام بالمعايير الداخلية والخارجية للنص المراد تسليط الضوء على مساحته المضيفة والمعتمة.

في حين نجد أحد الباحثين، يتناول المسألة من وجهة نظر مغايرة، فيرى أنّ الدرس البلاغي العربي ((نشأ في بيئات اختلفت باختلاف نظرة كل بيئة، والعلم الذي يسيطر عليه، لذا لَوّنوا البلاغة بألوانهم المتعددة الأدبية، أو العلمية، أو اللغوية، أو الفلسفية المنطقية الكلامية، وغير ذلك من مشارب متفاوتة في البيئة الإسلامية الفنيّة الجديدة))²، ولذلك نلّفِي البلاغة العربية طوعت مثل هذا التنوع و تمايزت وجهات النظر في مباحثها وقضاياها، على مستوى الفروع والأصول، أما التصنيف والتمثيل للشواهد البلاغية، فكان بحسب ما تستدعيه الضرورة للتدليل.

وعلى غرار ذلك، فقد كانت العرب قبل أن تعرف التقعيد البلاغي - والدرس النقدي والمنحى التوجيهي لهذه الدروس وما تعلق بها من خطاب - ، أمة ديوانها الشعر، وكان ميزانها التفوق والتميز في المنظوم والمنثور على اختلافهما، بحسب ما تقرّر في عادات العرب ، من نبوغ شاعر في قوم، أو ولادة فارس في قبيلة، ممّا جعل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- يقول في حقّهم على ما تناقلته المرويات، باختلاف الأسانيد: ((كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه))³، وعلى هذا التقدير، برز في

¹ - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، (د ط)، 1999، ص 19-20.

² - عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية(د ط)، 1986، ص 6.

³ - الجمحي محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمد محمود شاکر، دار المعارف ر، (د ط) (د ت)، ج 1 ص 22، ومثل هذه الرواية وردت في العمدة حيث قال: (وقال عمر بن الخطاب: الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه، وقال علي بن أبي طالب: الشعر ميزان القول، ورواه بعضهم: الشعر ميزان القوم) ص 27-28.

العرب رواة جهابذة، كأبي عمرو بن العلاء (-154هـ) وحماد الراوية(-156هـ) وكان بعدهما على زمن يسير، خلف الأحمر(-180هـ) وغيرهم كثير مما لا يسع المقام لذكرهم تباعا .

ولقد انقسم هؤلاء الرواة النقاد إلى مدارس، وكان لهم الأثر البين في شبه الجزيرة العربية، وما جاورها حيث ((كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ... لأنه حماية لأعراضهم وذبت عن أحسابهم، وتخلد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهتئون إلا بسلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج...))¹، وهذا أمر توارثته العرب جيلا بعد جيل، حتى كان لكل قوم لسان حالهم، وما هو موجود في الكتب والمؤلفات التي وصلنا الكثير منها، خير دليل على هذا المذهب في القول.

ووافق هذا التأسيس، فقد كان لحركة ((النقد الأدبي، في أخريات العصر الجاهلي نشاط في أسواق العرب، والمجالس الأدبية العامة، وارتحال الشعراء))²، ومن هذه المجالس، ما جاء في الروايات والأخبار، أن زياد بن معاوية الملقب بالنابعة الذبياني (-18 ق 605م)، كانت تضرب له قبة حمراء في سوق عكاظ*، ويأتيه الشعراء، فيعرضون عليه أشعارهم، ويتحاكمون إليه فيُجيد المجد ويستهن الرديء، معتمدا في كل ذلك على ذوقه وثقافته الواسعة، و((الفطرة التي تتأثر بما تسمع من قول فتصدر الحكم، عليه غير معلل أو غير مشفوع بحيثاته))³، وعلى ما اكتسبه من مراس وملاحظات نقدية اتّجاه

¹ - ابن سلام الجعفي، طبقات فحول الشعراء، م.س، ج1، ص 65.

² - عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، لبنان، (دط) (دت)، ص 20.

* - اتّخذت عكاظ سوقا بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة -540م- وعكاظ نخل في واد بين نخلة والطائف كانت تحضره قبائل العرب كلها ويجمعون في مكان يقال له الابتداء. ينظر: الراجعي، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، ط1، 1997، ص 80.

³ - عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، م.س، ص 21.

القصائد المعروضة عليه، وهذه إشارة إلى بلوغ ذروة النقد الذاتي أو المقابل أو الآخر، بعد أن اشتهر الحولي المحكك، حتى كان من الشعر ما يسمى المخشوب و المأشوب، والمعلق.

و مدار القول، فإن النقد والبلاغية، على عهدهما الأوّل، كان يعتمد كل منهما على أساسين جوهريين و مهمين:

أ- الذوق الفني الفطري المحض، الذي يبني على التعبير عن خلجات النفس، انطلاقاً من الذات العارفة بكيونيتها الاجتماعية، إذ الفطري لا يحتاج إلى اكتساب من مستوى آخر، ((ومن ثمّ نستطيع أن نقول في اطمئنان، إنّ فصاحة العرب في الجاهلية لم تكن تعتمد على الموهبة والفترة وحدها، وإنما كانوا يعملون على صقلها بالممارسة والدربة والتنقيح والتهذيب، حتى تصل إلى ما وصلت إليه، وهذا يتفق مع طبيعة أي فن من الفنون))¹، وكلها أمور كانت تشترك فيها العرب على عهد الجاهلية، وما بعد الجاهلية في أوجّ عطاء الشعر.

ب . تقلب الكلام على وجوهه، واختيار الألفاظ، وانتقاء العبارات، وتنويع الأساليب وممارسة دور الرقابة على مستوى الأشكال والمضامين، ومن هنا كان "العبد الله بن المعتز" الخليفة دور في تتبع خصائص التركيب ما بين المفردات والألفاظ وقولبتها، ضمن نسيج النص وتمييز قديمها من محدثها، والقفزة الهائلة التي ميّزت ما بين الشعراء، فكان أن ظهر البديع*، عندهم رغم حضوره كمصطلح في الثقافة العربية، قبله على اختلاف في المفاهيم.

¹ - عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة، القاهرة، (د ط)، 1998، ص 13.

* - ذكر الجاحظ أن مصطلح البديع أطلقه الرواة على المستظرف الجديد من الفنون الشعرية، وعلى بعض الصور البيانية، وعلى غرار هذا التوجه، يذهب الأصفهاني بقوله: (أبو مسلم بن الوليد) - (207هـ) أول من قال الشعر المعروف بالبديع، وهو لقب هذا الجنس

ولم يكن الحكم على الشاعر سائدا فقط، بل كان الحكم** على القصيدة، من حيث البناء والشكل العام، فضلا عن الأحكام النقدية البلاغية المتضمنة داخل الحكم الكلي، الذي لا ينفك عن الناقد قديما، والذي يستهويه كل ما له علاقة وصلة بصناعة الشعر؛ من حيث الفصاحة والجزالة وقوة العبارة في أداء المعنى وصلتها بذهن المتلقي، وموافقة القول لمقتضى الحال، وطبيعة القصيدة وأصولها وطبيعة رؤيتها، ((حيث كان الإسناد حاضرا بقوة في الأحكام النقدية، ومعرفة الرواة تعديلا بحسب الطبقات وأسانيد الرواة))¹، وهو ما ردّ الكثير من القصاص المنحولة والمعاني والألفاظ المسروقة، وظهر معجم فني لكل المسائل والقضايا التي تخصّ القصيدة.

وإذا ما أردنا الوقوف على تأثير القرآن الكريم، والسنة النبوية في تأسيس الدرس البلاغي فإننا نجد العرب في سليقتها وسجيّتها أمة خطابة وبيان، فلم ((لم يكد العرب يستمعون القرآن الكريم حتى اعتراهم الانبهار أمام بلاغته التي تتحدّى العقول و الأفهام))²، فانعكس هذا الانبهار على اشتغالهم بالقرآن، الذي نزل بلغتهم يقول الله تعالى: ﴿ حَمَّ وَالْكُنْبِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾* هذا القرآن الذي أعلاه مثمر وأسفله مغدق، وعليه حلاوة وطلاوة، على حد تعبير

البديع واللطيف، وتبعه جماعة، ومن أشهرهم أبو تمام الطائي فإنه جعل شعره كله من جنس واحد). ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، شرحه وكتب هوامشه: أ.علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، (دت). ج19، ص36.

** - لا بد من هنا من أن نلفت النظر إلى أن مصطلح التحكيم أو الحكم على الشعر ظهرت مع الجمحي، تقول الجموسي: (ونرجح أن استعمال الجمحي لاسم (حكم) صادر عن اتصال اسم ديوان بالجمال العملي أكثر أي مجال الحكم في الفضاء الاجتماعي والمؤسسي الديني والسياسي). أسماء الجموسي، التفاعل السياقي بين الشعر الأول والتراث النقدي إلى القرن الخامس الهجري، عالم الكتب الحديث، ط1، 2011، ص65.

¹ - ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت، ط8، 1996، ص268.

² - عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، م.س، ص42.

* - سور الزخرف، الآية: 3.

المعارضين له في حينها، إضافة إلى اجتهاداتهم الدّقيقة في حقل الإعجاز القرآني، الذي بدت آثاره على تصانيف العلماء؛ والتي كانت في الحقيقة تكشف عن أسرار الإعجاز ووجوهه، وإظهار مواطن ((الفصاحة في أفانين القول العربي منشورا ومنظوما))¹، هو ما جعل الدراسات البلاغية بعد قدامة بن جعفر (-337هـ) تسير في اتجاهين متكاملين:

أ _ اتجاه كان خاصا بمباحث الإعجاز في القرآن ويمثله الباقلاني (-403هـ) في كتابه "إعجاز القرآن" والerman (-384هـ) في "النكت" والخطابي (-388هـ) في بيان إعجاز القرآن وآخرون.

ب _ و ((اتجاه كان خاصا بجميع فنون الأدب))²، ويمثله أبو هلال العسكري (-395هـ) في "الصناعتين" والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (-392هـ) و الأمدي (-370) في "الموازنة" دون إهمال النظر إلى المنعطف الشديد للبلاغة العربية المسجّل عند عبد القاهر الجرجاني (-471هـ) في كتابيه (أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز)، ومن جاء بعده، وغيرهم، ممّن عكفوا على إثبات الإعجاز القرآني من وجهة نظر بلاغية.

و يذهب عبد العزيز عتيق، إلى أبعد من هذا الأمر فيقول: ((وإتّما وجدت البلاغة أولا وأخيرا من أجل الدّفاع عن العقيدة الإسلامية، وذلك باللّجوء إلى الاستدلال بالحجج المنطقية والأدلة الدّامغة على صحّة العقيدة، فكانت من عوامل الاستدلال على صحتها...))³، وبالتالي يكون القرآن الكريم قد أغنى اللّغة العربية، وأثرى معانيها، فتطورت بذلك تطورا منقطع النظير، على اعتبار أنّه نزل بلغة العرب،

¹ - عمر بن طرّبة، التفكير البلاغي عند الزركشي، رسالة دكتوراه، (مخطوط)، جامعة باتنة، 2010، ص 6 .

² - بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط1، 2008 ، ص13/12 .

³ - عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، بيروت، دار النهضة العربية، (د ط)، (د ت)، ص12.

وفاق أهلها سبكا وحبكا ونسجا، فلم يستطيعوا الإتيان بمثله على ما قرّره الله تعالى في الكثير من آي القرآن الكريم.

وهكذا، فإنّ جميع التعليقات تتوج بفكرة واحدة، مردّها إلى أنّ لقضية الإعجاز القرآني * أثرها الجليل في نشأة البلاغة العربية وتطورها خلقا من بعد خلق، وذلك لكثرة التنقيبات التي قام بها العلماء، من أجل الوصول إلى وجوه الإعجاز في القرآن، والكشف عن أسرار الجمال في آياته و سُوره، ((كما كان لأحاديث المصطفى - صلى الله عليه وسلم دور كبير في إثراء البيان العربي))¹ وبلوغ البلاغة العربية إلى قمة الهرم، كونه صلى الله عليه وسلم أوتيّ جوامع الكلم.

في حين يبرز الطاهر حليس، ما في القاعدة البلاغية من تطور، نتيجة تأثرها بالقرآن الكريم ويرجع الكتابات الأولى في هذا المجال إلى "بجاز القرآن لأبي عبيدة"، حيث ((هو البداية في مثل هذا المجال فموضوع الكتاب قرآني، ومنهجه وعنوانه و الداعي إلى تأليفه بلاغي))²، ولم تكن البحوث التي تلتها بدعا منه، بل ساهمت في البحث عن الإعجاز من دون كلل.

ولقد تطور النقد والبلاغة، مع ظهور الخصومة بين القدماء والمحدثين، ومسألة المؤلّدين والشعوبيّة، وقضيّة القديم والجديد، يقول طه إبراهيم: ((فلما أخذ الشعر العربي يتغير في أوائل القرن الثاني أخذ النقد الأدبي من ذلك العهد يتغير، ويخوض فيه ما جاء به المحدثون))³، مما انعكس إيجابا، على ظهور مدونات

* - اختلف العلماء في أوجه الإعجاز مذاهب شتى خاصة في صدر الدولة العباسية أكثر من عشرين رأيا ، فمنهم من جعله في الفواصل ومنهم في الخروج عن المعهود من كلام البشر ومنهم في الإخبار بالغيّب .. إلا أصحاب "الصرفة" من المعتزلة الذين كان لهم رأي آفن من بين الجميع .وفي تضاعيف كتبهم تفاصيل ذلك، ينظر: أحمد أمين، ظهر الإسلام ج 4، (د ط) (دت)، ص 11

¹ - بن طرّية عمر، التفكير البلاغي عند الزركشي ، م.س، ص 7.

² - الطاهر حليس، اتجاهات النقد العربي وقضاياها في القرن 4 منشورات جامعة باتنة، (د ط) ، 1996 ، ص 76.

³ - ينظر: طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، م.س، ص 114.

بلاغية جديدة، وأحكام نقدية امتازت عن سابقتها، من حيث التبويب والصياغة، و((كان الشعراء المولدون في العصر العباسي يكثرون من الصور البيانية، والتي ألف فيها ابن المعتز كتاب البديع))¹، ولم يتوقف الحد عند ابن المعتز، بل تعداه إلى كثير من العلماء، وهو ما سنشير إليه بشيء من التفصيل في ثنايا هذا المدخل.

وإذا ما أردنا الوقوف على تمام الصلة، وكمال الفارق بين النقد والبلاغة، ((التي ظلّت رداً من الزمن على هذه المتانة والتأزر))²، إلى أن انفصم وثاقهما، وشق كلٌّ لنفسه شرعاً ومنهاجاً، فإنه لا مناص من أن نعرج على ذكر بعض الفوارق ما بين النقد والبلاغة:

1- تستند البلاغة على العناصر الجمالية، أما النقد فيبرز الجانب الفني.

2 - البلاغة تُعنى بجانب الصياغة والحبك، أما النقد فيعتمد على أدوات منهجية تكشف عيوب هذه الصياغة، وتصدّع هذا النّضد والنظم .

3- ((البلاغة أحكامها جاهزة ، بينما النقد أحكامه خاضعة للنص))³.

4- تهتم البلاغة ((بعناصر الأسلوب أما النقد يعني بمصادر هذا الأسلوب))⁴.

وعلى مقاس هذه الاستنتاجات، فإننا نلفي محمد العمري، يدلي بدلوه في المسألة فيقول:

¹ - أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، (دط)، 2000، ص 223.

² - عمر بن طرية، م.س، ص9.

³ - م.نفسه، ص 9-10.

⁴ - عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، م.س، ص12.

((إن التباس البلاغة بالنقد الأدبي، التباس لا انفصام له، وليس هذا الأمر خاصاً بالأدب القديم، بل يمكن ملاحظته بسهولة من تتبع الألقاب التي حملها مجموعة من أكابر النقاد المحدثين))¹، ولكن يبقى على محمد العمري أن يبيّن لنا مواطن الالتباس والعممة؟.

وعن مدى التقارب والتباعد ما بين السبيلين على مستوى البدايات الأولى، فإنّ ((النقاد يكسبون البلاغة مكانة السبق على النقد من حيث الفائدة لا التعيد))²، جريا على ما كان الدرس البلاغي يقدمه من ملاحظات ترتقي إلى الجانب الفني والجمالي في صورة مركبة.

وعلى الرغم من هذه الفروق والتباينات التي وضعها بعض الباحثين والدارسين بين البلاغة والنقد، إلا أنّ مثل هذا العمل يعدّ ((ضرباً من الحيف والجور في حقيهما، فقد كان العلماء لا ينظرون في شعر أو نثر إلا باستخدام النقد والبلاغة كشيء واحد ليس كشيئين منفصلين))³، وهذا واحد من الفيصل النقدي الثاني، الذي يرى أن لا ضير من التقاء الاثنين، وممارسة سلطتهما على النصوص.

ولتأكيد هذه المبررات الواضحة والحجج الدمغة، استلزم منّا الأمر البحث عن أدلة مساعدة فوجدنا عبد العزيز عتيق يقول: ((النقد لا ينفصل أبداً عن البلاغة شقيقته الكبرى ، فهو جزء من بلاغة محدودة، وفي جزء آخر بلاغة موسعة، لقد نبعا من أصل واحد... ثم أخذ كل منهما بحكم وظيفته يشق لنفسه طريقاً خاصة ويكتسب سمات وصفات معينة انتهت بهما إلى الانفصال كعلمين مستقلين))⁴، ولكن هذا الانفصال لا يعني الانقطاع التام، بل هو انفصال تكامل.

¹ - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، م.س، ص 42 .

² - حميد آدم ثويني، البلاغة والنقد، دار المناهج، الأردن، ط1، 2007، ص 18.

³ - عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، دار غريب للطباعة، القاهرة، (د ط)، 2000 م. ص 11 .

⁴ - عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، لبنان (د ط)، (د ت)، ص 11.

وإذا ما أردنا التمثيل على تلك الدروس النقدية في مهدها الأول، فإن أعمال اللغويين الأوائل تعدّ من قبيل ممارسة النقد، فهذا الخليل بن أحمد ((حين وضع العروض، قد وضع في أيدي هؤلاء العلماء مصطلحات للعيوب الشكلية، من إقواء، وإسناد و إيطاء، ظل هو مفرعهم كلّما أرادوا نقد الشعر من تلك الناحية))¹، أما عن الأصمعي ف((قد هداه بصره النافذ إلى مواقف نقدية واضحة من مثل فصله ما بين الشعر والأخلاق، ومسألة الفحولة والعناية بالتشبيه))².

وليس المقام حكراً على ما مثلنا له سلفاً، وإتّما القائمة طويلة ومتحمة بالأعلام الذين عنوا عناية فائقة بالذوق اللغوي والتركيب المفرداتي والحقل المعجمي، وأعطوا للنقد والبلاغة حقّهما في الدراسة من غير استعفافٍ للطريق.

ولتوضيح المسألة أكثر، فإننا سنورد بعضاً من الأعلام الذين دجّت أقلامهم بالكثير من القضايا البلاغية والنقدية، واستوضحوا الأمر على بيّنة وبصيرة، فنذكر منهم على سبيل التمثيل:

1- أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري (- 213هـ)*:

مع نهاية القرن الثاني وبداية الثالث، دخل النقد والبلاغة مرحلة جديدة من التأليف والتدوين فكان من العسير علينا تتبع خواص المدونات النقدية والبلاغية، ومحاولة فرض ترتيب لها.

1 - إحسان عباس، تاريخ النقد، م.س، ص 47 .

2 - م. نفسه، ص 49 . وما بعدها .

* - نشير في هذا المقام إلى أننا استأنسنا بالترتيب الذي جاء به الباحث عمر بن طرية في رسالته المذكورة سلفاً، إلا أنه أغفل الحديث عن الكثير من الأعلام، الذين أثروا الساحة العربية بالمدونات النقدية والبلاغية، فما كان منّا إلا أن تداركنا هذا الخلل، من خلال إضافة من شهدت لهم أعمالهم بالعمل الجبار واستغنيا عمّا تكرر في ثنايا مباحثه.

وعليه؛ فإننا اهتدينا إلى أن نبدأ بكتاب [مجاز القرآن]** لأبي عبيدة معمر بن المثنى، الذي ذكر العلماء أنّ كتابه المذكور سلفاً، أشبه بكتاب في اللغة، ولهذا نجد المراغي يقول: ((لا نعلم أحداً سبق أبا عبيدة معمر بن المثنى الراوية تلميذ الخليل بن أحمد الفراهيدي، حيث كتب مسائله وأبان عن قضاياها، توضيحاً لمن سألته عن القرآن هل خاطب العرب بما لم تعهده ولم تره؟ فانبرى إلى إيضاح هذه المسائل))¹ من خلال شرح وتفسير ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، مع الإشارة إلى أنه تناول بعضاً من معالم علم البيان، بقليل من الشرح: كالتشبيه والاستعارة والكناية، وبعض أبواب البديع: كالإيجاز، والإطناب، والالتفات وغيرها.

في حين يدلي شكري عياد بدلوه في هذا المقام، معلقاً على طبيعة وملايسات ظهور هذا المنجز البلاغي فيقول: ((فنحن لا نزال في بدايات البحث البلاغي، ولا بدّ أن ننتظر قرابة ثلاثة قرون حتى يكتمل البحث في أسرار الإعجاز وتكتمل معه علوم البلاغة))²، كما اعتبره الباحث الطاهر حليس من الكتب الأولى التي صنفت في المجال البلاغي بدافع من القرآن الكريم، أي البحث في إعجازه ومواطن البلاغة والفصاحة فيه، ممّا لم تعهده العرب في سليقتها ونظمها، الذي افتخرت به ردحا من الزمن، فكان ديوانها الصادح، وبحرها الذي لا ساحل له .

** - هذا الكتاب عدّه أبو إسحاق الشيرازي (-475هـ) كتاب مجاز على الوجه الاصطلاحي، وذهب طه حسين وإبراهيم مصطفى

إلى أنه كتاب لغة، والسبب كامن في أسباب وعوامل تأليفه ومزجه ما بين البلاغة والنقد واللغة والإعجاز القرآني. ينظر: حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، منشورات الجامعة التونسية، (د ط)، 1981 ص 90. وما بعدها.

¹ - أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 1993، ص6.

² - شكري محمد عياد، النقد والبلاغة، م.س، ص 46.

2- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ)

يسجل حمّادي صمود في كتابه التفكير البلاغي عند العرب، سبق الجاحظ في ((وضع الأسس الكبرى للتفكير البلاغي))¹، من خلال ما رصدناه من تطور الحياة الفكرية والسياسية التي عرفت نضجا كبيرا في عصر الجاحظ، نظير النقول والترجمات التي ملأت مكاتب الدولة العباسية، فانصرف العلماء إلى جملة من العلوم والمعارف، يصوبون أخطاءها، ويشرحون الغامض منها، على دراية بالعمل المنوط بهم.

إن البيئة العلمية التي برزت معالمها إلى السطح، أنجبت زمرة من العلماء من أمثال الجاحظ وسهل بن هارون، وأبي تمام وغيرهم، ممن دجّت مؤلفاتهم بما خدم ويخدم اللغة العربية والإعجاز حتى عهد متأخر، وفي هذا الصدد يقول الشاهد البوشيخي: (لم يكن يخطر بالبال أن يصبح اسم البيان موضع نزاع ... هل العنوان الحقيقي للكتاب هو البيان والتبيين بياءين؟ أم البيان والتبيين بياء واحدة مشدّدة)²، وهذه واحدة من الأمور غير المتفق عليها، فولدت بذلك أزمة نقدية*.

وعلى العموم فإنّ الانطلاقة الفعلية والبداية الحقيقية للدرس النقدي المقنن كانت من هنا. ممّا جعل المتابعين والباحثين يعتبرون هذا المؤلف من أهم الكتب البلاغية التي أرّخت بشكل لافت للدور الذي لعبه علماء الكلام في تأسيس الدرس البلاغي العربي، إذ يعمّق حمادي صمود هذه الفكرة بقوله:

¹ - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، م. س، ص 15 .

² - الشاهد البوشيخي، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، دار الآفاق الجديدة بيروت ط1، 1982، ص27.

*- نشير في هذا المقام إلى أن البوشيخي حقّق في هذه المسألة انطلاقا من النسخ التي عثر عليها والأقوال والكتابات التي رجّحت عنوانا على آخر واطمأنت نفسه إلى " البيان والتبيين" عكس ما هو شائع عن المحقّق عبد السلام هارون وإن كان قد أشار إلى خطأ المحقّق في المسألة. ينظر: الشاهد البوشيخي، م. نفسه، ص28 وما بعدها.

((عدت مؤلفات الجاحظ، خاصة البيان والتبيين أهم وثيقة عن دور المتكلمين في إرساء أسس البلاغة وضبط مقاييسها¹)) من حيث التقنين وتفعيل بعضها من المسائل، خاصة ما تعلق بقضية اللفظ والمعنى وعلاقتها بالإعجاز القرآني، وكان كذلك من الأوائل الذين نبّهوا إلى مظاهر التجديد في صياغة شعر المولدين.

وإذا ما راجعنا مؤلفاته فإننا نجد ((البلاغة عند الجاحظ تجمع بين الجوانب النظرية والتطبيقية خاصّة في معرض الحديث عن ألوان البيان؛ من مجاز واستعارة وتشبيه وكناية وغيرها...))²، حيث أراد أن يدلّل هذه المسائل بعرضها بأسلوب عصري، يقرّبها من أفهام العامّة بحيث تستسيغها، وثمة ((بون بعيد بين عرض هذه الثقافة عند اللّغويين من أمثال الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد، وعرضها عند الجاحظ في البيان والتبيين... الذي أبان فيه عن حسن الكلام الذي يغني قليله عن كثيره، ويصنع المعنى الشريف واللفظ البليغ ما يصنعه الغيث في التربة الكريمة))³.

يعرف الجاحظ البيان بقوله: ((البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته... فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع))⁴، وعليه فالواضح من مقولة الجاحظ، إن دلالة الخفي والمضمر تحتاج إلى بيان، لذلك يكشف قناع المعنى الذي يكون في الصدور قبل السطور، ومتصورٌ في الأذهان ويحتاج بعد إظهاره إلى بلوغه عقل السامع، وفهمه بقدر الوسع والطاقة.

¹ - حمادي صمود، م. س، ص 15.

² - ينظر: الشاهد البوشيخي، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين، م. س، ص 60.

³ - شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، مصر، دار المعارف، ط2، (د ت)، ص 128 و ص 594.

⁴ - الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مطبعة المدني، ط7، 1998، ج1، ص76.

ويزيدنا الجاحظ توضيحا وتصريحا بأن ما ينبئ عن الخاطر ويكشف ذاك المستور خمسة أشياء ((أولها اللفظ، ثم الإشارة ثم العقد، ثم الحال التي تسمى نِصبة وهي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف))¹، وهي مراتب في الإبانة عن مكنون ما في النفس وما في الأذهان، من طريق تمثل الجاحظ لمختلف السبل الوصلة للمعنى، إلى قلب السامع.

3- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ)

يعتبر المبرّد من العلماء الأوائل الذين جعلوا مصطلح البلاغة اسما على مؤلّفهم، حيث تنسب له رسالة بعنوان [البلاغة]، يتحدث فيها عن البلاغة بقوله: ((إن حقّ البلاغة إحاطة القول بالمعنى واختيار الكلام ، وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاوضة شكلها ، وأن يقرب بها البعيد وتحذف منها الفضول)).² وفي هذا ذكر لثلاثة أشياء مهمّة، أغنت البلاغة في بحثها فيما بعد وهي:

- 1 - لا عبرة باللفظ في نظمه ما لم يحقق معنى.

2 - حسن النضد والنظم من معايير القول.

3 - الإيجاز أساس البلاغة.

وإذا كان هذا هو شأنه في كتابه البلاغة تقنيا وتنظيرا، فإن ما يخوض فيه ويستقر فيه على رأي جديد، خدم به النقد والبلاغة ردحا من الزمن، هو كتاب [الكامل في اللغة والأدب] الذي يمثل كل ما وصل إليه علم المبرّد في اللغة والأدب على وجه الخصوص، إضافة إلى علوم أخرى مبثوثة في كتابه هذا على وجه أعم، ولذلك اعتبروه أصلا من أصول الأدب وأركانه، إذ يشير في مقدمته إلى سبب التأليف

¹ - الجاحظ، م . س . ص 76، ونشير إلى أن النِصبة هكذا شكلت في النسخة لدلالة مصدر الهيئة، فعلة.

² - المبرد، البلاغة، تح ، رمضان عبد التواب ، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط2، 1985، ص81.

وطبيعة العلم المكنون فيه، ويجعل التصنيف شاملاً لجميع الضروب فيقوله: ((هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من الآداب ما بين كلام منشور وشعر مرصوف، ومثل سائرة، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة))¹.

ومما فصل القول فيه، في مضمون كتابه، الكامل في اللغة والأدب؛ أنواع التشبيه والاستعار وقسمها إلى أربعة أضرب: تشبيه مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد، وأحصى أمثلة وشواهد، عزت بالأقسام والأضرب، و من المسائل الجديدة عنده ((يكمن في الاستعارة بالحرف وعدّ أول من تنبّه إلى هذا النوع من الاستعارة))²، كما تناول الكناية وحدّد أغراضها وأقسامها وغيرها من المباحث البلاغية والنقدية التي تستحق العناية والدراسة.

4- أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل* (ت 296 هـ).

يجمع النقاد والباحثون على أن كتاب [البديع³] لابن المعتز يعد من أهم وأفضل كتب الدرس البلاغي في القرن الثالث الهجري، ولحظة حاسمة في تاريخ البلاغة العربية، سواء على مستوى الأسئلة

¹ - المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق، عبد الحميد هندراوي، مج 1، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999 ص 24.

* - يقول جون كوهن في معرض حديثه عن تجدد الاستعارة في القول والخطاب: (إن معركة الاستعارة تتجدد بتجدد العصور) ينظر: جون كوين، النظرية الشعرية، ترجمة أحمد درويش القاهرة، دار غريب، (دط)، 2000، ص 56.

² - عمر بن طرية، التفكير البلاغي عند الزركشي، م.س، ص 14.

* - يقول عباس أرحيلة، إن الكتاب، ذكره ابن التلم في الفهرست، بعنوان كتاب البديع، وذكر ياقوت الحموي (-626هـ) أنّ ابن المعتز أول من صنّف في صنعة الشعر كتاباً صغيراً سماه البديع) وذكره بعنوان: كتاب البديع في صنعة الشعر، ألفه سنة 274هـ وكان أول من نسخته منه هارون بن يحيى بن أبي منصور المنجم وحققه الروسي المستشرق، كرا تشكو فسكي في لندن سنة 1935 نقلاً عن النسخة الوحيدة المحفوظة في مكتبة الأسكوريال بمدريد ينظر: عباس أرحيلة، تجربة رائدة في البلاغة، قراءة في كتاب البديع لابن المعتز 296هـ، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط 1، 2009، ص 31.

³ - ابن المعتز، كتاب البديع، تح، إغناطيوس آراتشيفسكي، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط 3، 1982، ص 1.

النقدية أو المواضع البلاغية، أو من حيث التقسيمات المتبعة، وسبقه في التنبيه إلى قضية القديم والجديد، فضلا عن التحديد المفاهيمي لمصطلحات البديع.

وجملة القول، فإنه لم يعد هناك مجال للملاحظات النقدية العارية عن منطق التفسير في هذا العصر، بل تعدى ذلك إلى وجود خصوصية فعلية بطريق التمايز بين المبدعين، حيث يوضح ابن المعتز وجهة نظره فيما أخذه عن العرب فيقول: ((قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة ... وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع))¹، فمفهوم الموافقة لكلامه يقتضي أنه استنجد بالقرآن الكريم واللغة العربية في جملتها؛ منثورها ومنظومها، في حين نوه بدوي طبانة بأهمية كتاب البديع، وبين أنه من الكتب التي تفرغت للبلاغة العربية وأسست لدرس البديع.

ولم يدع ابن المعتز مجالاً لشكّ المشكّكين، في سبقه وحدائثه الطرح في مؤلفه البلاغي الجديد المبني على اعتبارات جديدة معياراً للحكم على القصيدة، وتأليف كتاب فريد من نوعه في علم البديع، ولذلك ألفيناه يقول: ((وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين))²، وإن كانت له أسبقية التأليف، إلا أنه لا يمكننا أن ننكر أن بعضاً من مصطلحات البديع كانت متداولة عند النقاد قبله، وإنما كانت مفتقرة إلى التوضيح، فلما جاء ابن المعتز أبان عن اصطلاحاتها، ومسمياتها وفنونها، ضمن نطاق.

³ - بدوي طبانة، البيان العربي دراسة في تطور الفكر البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1976، ص12.

¹ - ابن المعتز، كتاب البديع، تح، إغناطيوس آراتشيفسكي، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط3، 1982، ص1.

² - ابن المعتز، كتاب البديع، م.س، ص58، كما ينظر شكري عياد، البلاغة والنقد، م.س، ص43.

وعلى هذا الاعتبار، يحقق حمادي صمودي في هذه المسألة بقوله: ((إنّ كتاب ابن المعتز أول تأليف مخصص لجميع الأساليب البلاغية بكيفية لم تسبق، إذ وردت مستقلة عن العلوم الأخرى مقصودة في ذاتها وهذه خطوة هامة في طريق نشأة هذا الاختصاص))¹، وهذا القصد وسلف النية في التصنيف على هذه الشاكلة، هو ما يبرز شأو و جهد ابن المعتز في كتابه البديع* في جمعه فنون البلاغة وتبيينها، و الاستدلال عليها بشواهد متنوعة من القرآن الكريم وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن الأشعار والحكم والأمثال بعيدا عن الامتزاج بفنون أخرى.

وكتاب البديع، جمع فيه ابن المعتز من الفنون البلاغية خمسة، وهي: الاستعارة، والتجنيس والمطابقة؛ ورد الأعجاز على ما تقدمها، والمذهب الكلامي، مضيفا إليها ثلاثة عشر فنا اصطلاح عليها بمحاسن الكلام، وتناول منها: الالتفات والاعتراض، الرجوع وتجاهل العارف، وغيرها تاركا المجال مفتوحا، لمن يأتي بعده للزيادة والشرح والتبويب، و بهذا تلخص((تلك النظرة التي تنظر إلى العناصر البلاغية، على أنها مقاييس صالحة يقيس بها الأسلوب الأدبي))²، الذي يستعين به الشاعر أو الناثر، في النظم، والعمل على الانتقاء، والتحسين.

¹ - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، م.س، ص389.

* - يقول عباس أرحيلة: (الجاحظ أول من توسع في مصطلح البديع، وأول من أشاع إطلاقه على كل ما فيه من طرافة وجدّة في التعبير، ونسب المصطلح للرواة، ... فهو أول من استعمل لفظة البديع في معناها اللغوي والاصطلاحي، وخصّ به العرب دون غيرهم) ينظر: عباس أرحيلة، تجربة رائدة في البلاغة العربية، ص. 36. نشير في هذا المقام إلى القيمة العلمية لهذا الكتاب، لما فيه من تحقيق لبعض المسائل المختلف حولها.

² - مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، دمشق، 6، 2006، ص 73 .

ومن ثمّ فالقارئ للكتاب لا يجد فيه ((منطق العلماء، أو أصحاب البلاغة المتأخرين، وإنما هو إحساس الأديب، وذوق الشاعر))¹، الذي حكّم الذوق الفني قبل مناط العقل، وإحساس الأديب بقيمة اللَّفظة والكلمة في مكانها المناسب بحسب مقتضى الحال.

واستمرّت الخصومة تغذّي العمل البلاغي بعده حتى ما بعد الجرجاني، فكان بذلك ابن المعتز فاتحاً المجال للنظر في ((حركة الشعر المحدث))²، وشدّ انتباه النقاد والبلاغيين إلى الأداء البياني فيه دون إهمال ضرورة الاحتكام إلى المنطق الداخلي للنصوص.

5- ابن طباطبا العلوي (-322هـ)

يعتبر كتاب [عيّار الشعر]، حلقة وصل، وتتمّة لما جاء به ابن المعتز، فبثقافته الفلسفية ونزعته الاعتزالية التي أفادته في توسيع مدارك النقد والبلاغة، حاول تفحص ماهيّة الشعر وحصره في أنّه ((كلام منظوم))³، وأن الفرق بينه وبين النثر إنما هو النظم.

ولا يكاد يتعد عن التعريف المعهود للشعر عند قدماء بن جعفر (-337هـ)*، فيقول ابن طباطبا: ((وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه ويرد عليه من حسن تركيبه، فإذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى وعدوية اللفظ ... تم قبوله))⁴، ولا يتوقف عند هذا الحد بل يتعدى إلى الشروط فيقول: ((... وإن نقص جزء من أجزائه، التي يعمل بها وهي: اعتدال الوزن، وصواب المعنى

¹ - حلمي مرزوق، النقد والدراسة الأدبية، مكتبة نضفة، القاهرة م، 1959، ص 27.

² - ينظر: عباس أرحيلة، تجربة رائدة في البلاغة العربية، من ص. 87 إلى ص. 107.

³ - إحسان عباس، تاريخ النقد، م.س، ص 134.

* - بعد تما معرفته للشعر وحدوده تحدث عن البديع فجمع (منه أنواعا وجاء بالجديد ومنه: التقسيم والترصيع والمقابلات، والتفسير والمساواة والإشارة، ولم يسميها بديع وإنما محاسن الكلام). ينظر، أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 223.

⁴ - ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005 ص 21.

وحسن الألفاظ، كان إنكار الفهم إياه على قدر نقصان أجزائه... ولحسن الشعر وقبول الفهم إياه علة أخرى، وهي موافقته للحال التي يعد معناه لها...¹)، ويقصد بذلك موافقة الكلام لمقتضى الحال، أو ما جاء عند المعاصرين وعبروا عنها بالمقامية والقصدية، وإن كان قد مثل لكل هذه المسائل في كتابه. ومن المباحث البلاغية التي تناولها وأثرها، الفصاحة والنظم والتشبيه، حيث يقول في هذا الباب: ((والتشبيهات على ضروب مختلفة، فمنها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة، ومنها تشبيهه به معنى، ومنها تشبيهه به حركة وبطأ وسرعة، ومنها تشبيهه به لونا، ومنها تشبيهه به صوتا))²، ثم يبدأ العلوي في الشرح والتبويب، والاستشهاد بالأمثلة من عيون الشعر، وما أكثرها في هذا الموضوع، وإن غلب على كتابه كثرة الشواهد.

6- أبو الحسن الرماني (ت 384 هـ) :

انقسمت الدراسات البلاغية بعد ابن طباطبا العلوي إلى قسمين أو اتجاهين متقابلين³: الاتجاه الأول: خاص ببحوث إعجاز القرآن، ومن أبرز ما مثلهم في ذلك المنحى أبو الحسن الرماني في رسالته [النكت في إعجاز القرآن]* حيث تحدّث عن البلاغة وقسمها إلى عشرة أقسام: الإيجاز والتشبيه والاستعارة ثم التلاؤم والفواصل، التجانس والتصريف، التضمين والمبالغة وحسن البيان، مستفيدا في هذه المسائل، ومقلدا في الكثير منها.

¹ - ابن طباطبا العلوي، م. س، ص 22.

² - م، نفسه، ص 23.

³ - فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط4، 1997 ص 72-73.

* - الحسن علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للخطابي والرماني والجرجاني، تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، 1976، ص 15.

وفي كتابه [النكت في إعجاز القرآن] تطرق إلى وجوه الإعجاز السبعة، وقال: ((إنَّ وجوه

الإعجاز تظهر من سبع جهات : ترك المعارضة مع توافر الدواعي وشدة الحاجة والتحدي للكافة والصرفه، والبلاغة والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية ، ونقض العادة وقياسه بكل معجز))¹، فأوجه الإعجاز هذه، هي محل اختلاف ما بين العلماء وأرباب الفرق الكلامية.

كما نجده قد تناول بنوع من التفصيل بعض المباحث التي تناولها من سبقوه كال(التصريف) وهو تناول المعنى بطرق مختلفة، وهو من لطائف الإعجاز القرآني، وأكثرها تناولاً عند البلغاء كما تناول (التلاؤم) ومداره تناسب الحروف من الناحية الصوتية، ولا يستلزم فيه شرط الخلو من التنافر فقط، بل لابد من شروط أخرى.

وأما الاتجاه الآخر ((فكان عن البيان عامة ولم يقصروه على البحث في الإعجاز))² ومن أبرز هذه الكتب، الصناعتين لأبي هلال العسكري، وغيره من المدونات الأخرى، والتي سنأتي على ذكرها في هذا المقام.

7 – القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني(392هـ)

اتجه القاضي في كتابه [الوساطة] اتجاها أدبيا، حيث ركز على الجوانب اللغوية وإيراد الكثير من الشواهد التي تخدم التوجه المعتدل الوسطي الذي ارتضاه، معتمدا على المقايسة لا الموازنة التي اعتمدها الأمدي، فكتاب الوساطة بحسب رأي إحسان عباس يرمز ((إلى اكتمال القضايا النقدية))³، وإن كان

¹ - علي بن عيسى الرماني، م.س، ص 16.

² - ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، م.س، ص 73.

³ - إحسان عباس، تاريخ النقد، م.س، ص 335.

الكتاب في حقيقة أمره؛ كتاب يمتاز بالحس النقدي، المتفحص في النصوص ولم يتطرق لمسائل البديع إلا لمأماً، على حدّ وصف النقاد والدارسين للنقد العربي ومؤلفاته.

وبناء على هذا، فقد ركز فيه على بعض من أبواب البلاغة في عمومياتها مثل الاستعارة التي اكتفى في تعريفها بقوله: ((وإنما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، ملاكها تقريب الشبه ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما ولا يتبين في إحداهما إعراض عن الآخر))¹ ، وفي هذا نوع من التطور الفكري، نحو تعريف الاستعارة والربط ما بين أركانها، ينم عن بداية الخروج من البوتقة الأولى وإبعادها عن التشبيه البليغ.

وبعد هذا التعريف الموجز والدقيق، يقسم الاستعارة إلى حسنة وقبيحة، ويرى ((أن محكّ حسنيتها، أو قبحها يتجلى في مدى قبول النفس لها أو النّفور منها))²، وهكذا نجد الدرس البلاغي والنقدي في تطور مطّرد لا تراجع فيه، بناء على استثمار الكم المعرفي المتحصّل من مختلف المشارب.

8 - أبو هلال العسكري (ت 395 هـ)

تأتي فترة أبي هلال العسكري، فيجعل البلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم، ويتحدّث أحمد مطلوب عن تمييز البلاغة والفصاحة عند العسكري من رأيين :

¹ عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد الجاوي، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص 41.

² عمر بن طرية، م.س، ص 19.

الأول: ((الفصاحة والبلاغة ترجع إلى معنى واحد وهو الإبانة والظهور، أما الثاني: فيدل على افتراقهما ، ذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان ، والبلاغة إنهاء المعنى إلى القلب)).¹ وإلى أهمية البلاغة ووجه تعلمها يقول : ((إن أحقّ العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ، -بعد المعرفة بالله جل ثناؤه- علم البلاغة ، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، ... وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب...))²، فالبلاغة والفصاحة عند العسكري يفتقان، وما اشتمل عليه القرآن من براعة التركيب و حسن التأليف والإيجاز البديع، والاختصار اللطيف وغيرها من الأوصاف، التي ألحقها العسكري بالقرآن الكريم، إنما هو من قبيل الكلام البليغ الفصيح، ثم تطرّق إلى أهم مواطن الإعجاز ف القرآن الكريم، على اختلاف المراتب التي وضعها.

تحدث العسكري عن البلاغة والفصاحة، وتناول الفنون البلاغية، نحو : التشبيه، الاستعارة والكناية والجواز، والحقيقة ، وغيرها من تلك الفنون. ففي تعريفه للبلاغة يقول: ((البلاغة من قولهم بلغت الغاية إذ انتهيت إليها. ومبلغ الشيء منتهاه، فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه))³، وهنا لا بد لنا من التوقف عند هذا التعبير، والتأمل فيه، وقياس ما جاءت به النظريات المعاصرة على ما كان في التراث العربي، فشرط تمام المعنى عند العسكري، الإفهام فلا عبرة بالكلام المنظوم على وجه : مسند إليه زائد مسند من دون إفهام السامع.

¹ -أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، م .س، ص75.

² -أبو هلال العسكري ، الصناعتين الكتابة والشعر، تح : علي محمد الجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية، ط1 ، 1952 ، ص 1. " نسخة إلكترونية "

³ - م. نفسه، ص7.

ويزيدنا من علمه، حينما يورد ما دجّت به أقلام من سبقه، عن الفرق ما بين الفصاحة والبلاغة، ولا يوافق ذلك فيتركه، ويميل إلى قوله: ((فعلى هذا تكون البلاغة والفصاحة مختلفين وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان، فهي مقصورة على اللفظ، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى))¹، ولتمام هذا الأمر و توجيه الدليل إلى الباحث عنه، يمدّنا بأمثلة من الواقع، ويلجج الخضم عن الجدل، وتبقى هذه واحدة من الأقوال، في التراث العربي.

كما تحدث عن فنون البديع من مثل: الطباق، والمقابلة، والجناس، وغيرها حتى قاربت خمسة وثلاثين نوعاً*؛ وهو في كل ذلك يقر بجهود من سبقه من العلماء يقول إحسان عباس:

((كتاب الصناعتين نموذج للكتاب المدرسي الذي لم يأت بجديد إطلاقاً))²، وهذا كلام يحتاج إلى وقفة تأملية وتحقيق معمق في الأصول والفروع.

9- أبو بكر الباقلائي (-403هـ)

ينقل الباقلائي الكثير من أوجه البلاغة في كتابه [إعجاز القرآن] عن الرماني وابن المعتز وقدامة بن جعفر، فشغله الشاغل هو ((فكرة إعجاز القرآن ولهذا فقد سخر كتابه كله لهذه القضية الخطيرة))³، وبينما هو يجمع هذا الشتات، يعلّق تعليقا منطقيا مرتبطا بهذا الإعجاز من وجهة نظر مخالفة لسابقه، فضلا عن توجيه العناية نحو استئثار القرآن بجميع الأوجه البلاغية في الإعجاز.

¹ - أبو هلال العسكري، م. س، ص 8.

* - تحدث عن فنون البديع مطلع الباب التاسع من الكتاب حيث بدأه بقوله: (الباب التاسع، وهو خمسة وثلاثون فصلا، الفصل الأول في الاستعارة والمجاز، الفصل الثاني في التطبيق...)، م. نفسه، ص 226 وما بعده.

² - إحسان عباس، تاريخ النقد، م. س، ص 355.

³ - وليد محمود خالص، الدرس النقدي القديم بين النظرية والمصطلح، ط1، مؤسسة الوراق، عمان، 2004 ص 23.

وبناء على هذا، فقد باشر في الاستدلال على ذلك بالمفارقات في تحليله لقصيدتي* البحري وامرئ القيس، مع القرآن الكريم، مركزا على أن التفاضل لا يمكن حصره في وجه دون آخر، فيقول في هذا الصدد: ((وقد علمت أن شعر امرئ القيس وغيره على أنه لا يجوز أن يظهر ظهور القرآن ولا أن يحفظ كحفظه ولا أن يضبط كضبطه...))¹، وما جاء به الباقلاني ليس بجديد في التراث العربي، خاصة إذا علمنا التوجه الكلامي الذي ميّز الباقلاني وذوده عن ماهية الإعجاز وبخاصة من تشدق بالصرفة من أهل الاعتزال.

في حين نجد شكري عياد يبرز توجهها آخر للباقلاني بقوله: ((...ولكنه حين يأتي للكلام على النظم القرآني، ينهج سبيلا لم يسبقه إليه أحد، ويتبعه فيه أحد على ما نعلم، وهو الكلام على وحدة السورة ؛ ولوحدة السورة عند الباقلاني معنيان : وحدة النظم في الاستواء والإحكام ووحدة النظم بتلاحم الأجزاء))²، ومثل هذا الطريق يورد الباقلاني قوله في الإعجاز من منظور أوجه متعددة بتعدد الأوجه التي ذكرها في كل كتبه.

والمعتبر عنده أن مفهوم البديع ((يشمل جميع الخصائص اللغوية والصور الفنية التي أطلق عليها المتأخرون كلمة البلاغة، وقد يكون البديع في الكلمات الجامعة))³، وهكذا وازن الباقلاني ما بين التمذهب والبلاغة والإعجاز.

* - تناول الباقلاني قصيدتين بالتحليل والشرح من أجل التدليل على الإعجاز القرآني ، بخلاف عادة النقاد العرب الذين وقفوا عند البيت والبيتين فقط، ينظر: عبد الرؤوف مخلوف، الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، دراسة تحليلية نقدية ، مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، 1978، ص 374.

¹ - الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر مطبعة دار المعارف، القاهرة، (د ط)، 1981، ص 19 .

² - شكري عياد، النقد والبلاغة، م.س، ص 50.

³ - ينظر: عبد الرؤوف مخلوف، الباقلاني، م.س، ص 107 و ص 286.

في حين يركز الباقلاني في تبيان أقسام البلاغة على تقسيم الرّماني، فيقول: ((ذكر بعض أهل الأدب والكلام أن البلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم و الفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان))¹، ثم بدأ في التفصيل والاستشهاد على ما جاء به، وفي كل مرة يُدلي بدلوه الكلامي في المسألة.

ولكنه لا يثبت الإعجاز بما منفردة كالكناية لوحدها مثلا والاستعارة وهكذا، وإنما يلبس المسألة شيئا جديدا، وينبئ عن سر مكنون وراء الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، فيقول: ((... قد كنا حكينا أن من الناس من يريد أن يأخذ إعجاز القرآن من وجوه البلاغة والتي ذكرنا أنّها تسمى البديع في أوّل الكتاب...))²، وقد استطرّد الحديث في هذه المسألة بشيء يشي بتوجهه الكلامي المناهض للمعتزلة وحتى بعض الأشاعرة من أبناء جلدته، وبهذا التوجه الجديد في النقد والبلاغة العربية يقول إحسان عباس: ((وفي هذا تلتقي الطريقتان ، طريق أهل البديع وطريق أنصار التأليف والنظم ويكون الباقلاني قد ربط بين نتائج الرماني والخطابي وجمع إلى ذلك كله صنوفا من المواقف النقدية))³، ومن هنا بدأ يتّجه الحسم نحو البلاغة الجديدة التي ارتسمت معالمها مع الجرجاني، في الأسرار والدلائل، على ما سنرى.

10- عبد القاهر الجرجاني (ت 471 أو 474 هـ)

¹ - الباقلاني، إعجاز القرآن، م.س، ص 262.

² - الباقلاني، م . نفسه، ص 275 . ويستطرّد الحديث في هذا الفصل عن المفارقات الموجودة بين الشعر والقرآن الكريم بعد أن وضح كلام الرماني الذي أراد من خلاله تبيان الصور العشرة للبلاغة. إن صح الحديث ، وكان قد ألغى العمل بهذه الوجوه إثباتا للإعجاز في ثنانيا الكتاب بعد أن أطلعنا على بعض من لا مية أبي تمام والتي جاء في مطلعها:

(متى أنت عن ذهليّة الحيّ ذاهل وصدرك منها مدّة الدهر أهل) . ينظر: م . نفسه، ص 107 وما بعدها.

³ - إحسان عباس تاريخ النقد، م.س، ص 354

وإذا ما رجعنا إلى طود البلاغة عبد القاهر الجرجاني، وقلبنا الكلام عند فسجده في مسألة النظم التي هي مدار كل كتبه، يقول فيها: ((واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك ، أن لا نظم في الكلم* ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس))¹، وهو كلام على وجازته يحمل الكثير من الإشارات، والتنبيهات إلى الأخطاء التي وجب تصحيحها.

إنّ ما وصلنا من حديث عن النظم قبل الجرجاني، كما هو الحال عند الخطابي (-388هـ) والرماني (-384 هـ) والباقلاني (-403 هـ)، لا يجلي الصورة ولا يوضّح الهدف، وإنما هي إشارات عابرة توحى بشيء يجب التوقف عنده، وإعادة الحديث فيه، وهو ما وقف عنده الجرجاني الأشعري* في وجه المعتزلة، وحتى وإن كان دلائل الإعجاز ذا منحنى فلسفي منطقي إلا أننا نجد يقوّض

*- فرق الجرجاني ما بين "نظم الحروف" و"نظم الكلم" وجعل نظم الحروف هو تواليها في النطق العاري عن المعنى وضرب لنا مثلا بقوله (ربض مكان ضرب) فلا فساد في ذلك، وإنما نظم الكلم تقتفي في نظمها آثار المعنى وترتبعها على حسب ترتب المعاني في النفس، مراعاة السابق ولاحق، في الترتيب ، ولذلك نجد على القاضي عبد الجبار في أن ما يتزايد هو الألفاظ لا المعاني . ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق و تصحيح: محمد محمود شاكر، (د ط) مكتبة الخانجي، القاهرة (د ت)، ص، 49 .

ولابد من الإشارة إلى أن الجرجاني ألف كتاب (المغني) في شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي المعتزلي في ثلاثين جزء ثم اختصره في كتاب (المقصد) و (الإيجاز) و ذيله بشرح (التكملة) وكان هذا باب الطعن في أشعريته؟؟

*- نجد من الباحثين من طعن في أشعرية الجرجاني وجعله أقرب إلى المعتزلة فكرا ومنطقا ، من ذلك ما كتبه سلوى النجار في كتابها الموسوم ب (الجرجاني أمام القاضي عبد الجبار) الصادر عن التنوير للطباعة والنشر لبنان .

حيث أوردت جملة من المبررات -التي تحتاج إلى إعادة النظر فيها- بتجنح بالجرجاني إلى مذهب الاعتزال في المبحث الخاص ب : أشعرية الجرجاني في الميزان ، ومنها: أن من شيوخه محمد بن الحسين الفارسي المعتزلي (-421هـ) والثاني عبد العزيز الجرجاني (-392هـ) تقول المؤلفة في الصفحة 10/11 (كيف مر ذكر هذه المسألة تحت أعيني دارسي الجرجاني ولم يستوقفهم أو يثير في أذهانهم تساؤلا عن صحة القول بأشعريته) والرد على ما نراه أنها حجة داحضة من وجهين :. ليس كل من تتلمذ على شيخ من شيوخه تأثر به إلى درجة أخذ المشيخة عنه إذ لو كان هذا التأثير باديا لما أغفله الرواة، خاصة في الكتب التي ترجمه له، من أمثال: بغية الوعاة للسيوطي ووفيات ابن خلكان و كشف الظنون، وغيرها، فيكاد يكون الإجماع على أنه أشعري العقيدة شافعي المذهب مجتهد في الفروع مقلد في الأصول، على طبيعة مجتهد المذهب.

الكثير مما وصل إليه القاضي عبد الجبار وغيره ، و((يقدم أطراف نظريته في النظم فهو يرى أن الألفاظ ليست إلا رموزا للمعاني المقررة... ولا يتصور أن تسبق الألفاظ معانيها))¹.

ساهم الجرجاني في إرساء معالم الدرس البلاغي الجديد في القرن الخامس الهجري، ضمن نظرية النظم*، التي جعلها محور كتابه الثاني دلائل الإعجاز ، والتي توجت فيما بعد بعلم مستقل وهو علم

أما الأمر الثاني فهو محتمل في أصله، وما دخله الاحتمال بطل به الاستدلال، إذ لو كان معتزلي فكيف رد الكثير مما جاء به الجاحظ والقاضي عبد الجبار كونه لا يوافق الأشاعرة، ولو رجعنا إلى دلائل الإعجاز لوجدنا الكثير من ذلك من البداية إلى النهاية. لا يسع المقام للوقوف عليها. وكون القاضي الجرجاني أشرقت معه فكرة النظم على ما زعم الكثيرين فهذا مخالف للواقع النقدي والبلاغي، إذ أن الفكرة تمخضت من كثير من المحاولات خاصة الجاحظ والخطابي والباقلاني مع فكرة الضم وتوجت بالنظرية عند الجرجاني الذي أوصلها بالنحو والبلاغة والفصاحة.

كما أوردت الكاتبة مبررا آخر وهو اعتماد الجرجاني على مقولات أبي علي الفارسي المعتزلي والقاضي عبد الجبار ولم يشير إلى أصحابها، وهذا القول كان قد اعتمده شوقي ضيف في البلاغة تطور وتاريخ الصفحة 161/162 كما أشار إليها عبد الفتاح لاشين في كتابه بلاغة القرآن في آثار عبد الجبار، وأثراه في الدراسات البلاغية في الصفحة 485 و531. فنقول أن هذا لا يعتبر بحال نقلا وتوصيفا لمذهب الاعتزال فقد ذكر الجرجاني أقوالا كثيرة منقولة بعضها حرفيا عن المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، مما خدمه في كتابته، من غير التنبيه إلى النصوص الأصلية سواء في الدلائل أو الأسرار. ولو رجع هؤلاء إلى المقدمة التي بدأها محمود محمد شاكر في دلائل الإعجاز في الصفحة ج د هـ لوجد الجواب الكافي والغرض الشافي. ثم ما وجدناه في كتاب الأسلوبية والبيان العربي ل: عبد المنعم خفاجي وجماعته ما يشفي الغليل في هذه المسألة في الصفحة 95، فصل، مصادر فكر عبد القاهر البلاغي والصفحة 96، فصل عبد القاهر والقاضي الجرجاني، وفيه علم اليقين، ومورد الضمان.

ذكرت المؤلفة كذلك أن دلائل الإعجاز ذكر بأسماء مختلفة على ما ذكره القفطي والسيوطي ومثله الأسرار. والذي يجب التنبيه إليه أن الكتاين شاعا على ألسنة العلماء بالأسرار والدلائل ولا يطعن هذا في أشعرية الجرجاني.

وهناك كلام خطير في ذاك المؤلف، وهو أن الجرجاني كان يستعمل التقية في اعتناقه المذهب لمعتزلي وهذا باطل فكيف يعقل هذا المبرر؟، ونحن نعرف أن في ذلك العصر أصحاب الجرح والتعديل وكيف للجرجاني أن يتخفى في ثوب الأشاعرة و يصدع بكل ما يرد على المعتزلة خاصة مسألة الكلام النفسي والذاتي وخلق القرآن، هذه المسائل التي هي محرك البحث في قضية اللفظ والمعنى. فحري بنا تناول هذه المسائل وفق منهج التحقيق.

1- الجرجاني، دلائل الإعجاز، م.س، ص 55.

2- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية، ط1، 1994، ص 49.

*- يبدو أنّ الإرهاسات الأولى لهذه النظرية ظهرت مع ابن المقفع (-143هـ) في حديثه عن صياغة الكلام ثم النحاة بدءا بسبويه (-188هـ)، ونقل الجاحظ (-255هـ) بعض معاني ابن المقفع ولم يشير إليه في مؤلفه نظم القرآن، ثم تناول الواسطي (-306هـ) النظم والتأليف في القرآن، لم يصل إلينا، فالخطابي (-388هـ) والرماني (-386هـ) في حين الباقلاني (-403هـ) يرجع

المعاني ، كما لم ينتصر لجهة دون أخرى ، بل سلك سبيلا عرفنا من خلاله على أوجه النظم في التأليف، يقول إحسان عباس ((لذلك كانت نظرية النظم عند عبد القاهر إنكار لتلك الثنائية ... وقد كان عبد القاهر يحس أن أحده بتلك النظرية يخدم فكرة الإعجاز...))¹، لأن السبيل إلى كتابته الدلائل، إنما كان لسبب الخلط بين اللفظ والمعنى، والتصدي لأنصار الصّرفة.

إنّ دقة التصوير وسعة الإدراك عند الجرجاني، جعلاه يغلب النظرة العقلانية في تقدير الجمال الفني ومقدار التأثير الأدبي في المتلقي ، بحيث يجعل البديع مثلا يسقط المعنى إذا كثر الإتيان به على شاكلة التكديس فيقول: ((...وقد تجدد في كلام المتأخرين الآن كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ماله اسم في البديع، إلى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ،ويقول ليبن، ويخيل إليه أنه إذا جمع بين أقسام البديع في بيت، فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء، وأن يوقع السامع من طبعه في خبط عشواء وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وأفسده، كمن ثقل العروس بأصناف الحلبي حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها))²، وهو ما أتى على ذكره في باب ما أخطأ المتأخرون في تقديره حين منحوا للبديع مزية التفوق على المعنى.

إذ المختار على فهم الجرجاني هو المعنى الذي ترأس فهمه جميع القضايا السابقة، حيث يقول الجرجاني: ((فالعارفين بجواهر الكلام لا يعرجون على هذا الفن إلا بعد الثقة بسلامة المعنى وصحته

الإعجاز إلى النظم ، ليتقدم التصور مع القاضي المعتزلي(-415هـ) ويتضح الأمر أكثر ويستقر الأمر على ما هو عليه مع إمام البلاغة الجرجاني(-474هـ).

1- إحسان عباس، تاريخ النقد، م.س، ص 427.

2- الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تعليق وقراءة محمود محمد شاكر ، الناشر دار المدني بجدة ، (د ط) ، ص 9.

وإلا حيث يأمنون جناية منه عليه...))¹، وهذا كلام رائع من حيث التوصيف والتحليل.

ولقد جعل الجرجاني العملية الإبداعية، مظهرا تنصهر فيه إشكالية اللفظ والمعنى، وجعل المخرج الوحيد هو نظرية النظم، المرتبطة بالنحو ((مؤصلا رؤية نقدية تلامس موضوع الأدبية في العمق بمحيثه عن المعنى ومعنى المعنى ، مرهضا بدور للإجرائية التوليدية التي ستشخص الخطاب إطارا سطحيا وآخر عميقا))²، كما نجده قد بلور مفهوم النظم بربطه بمعاني النحو أو ما سماه الكثيرون المنطق السياقي، فاتحا بذلك الشهية أمام إعجاز النص القرآني، هذا النحو بإمكاناته الواسعة والذي يقدم للمبدع احتمالات الأوضاع الكلامية، التي ترتبط بعضها ببعض في وحدة من المعاني والأفكارلا تتمثل إلا في الذهن.

11- أبو يعقوب السكاكي (ت 626 هـ) :

بعد إمام البلاغيين الجرجاني، جاء دور أبو يعقوب السكاكي صاحب مفتاح العلوم بوصفه رائد المدرسة البلاغية التعليمية، هذه المدرسة التي تمتد إلى الخطيب القزويني وشرّاح التلخيص من بعده، حيث انغمست في بحار من العلوم العقلية من منطق وفلسفة، ذلك أننا نجد بعد عبد القاهر الجرجاني يؤلف الزمخشري (-538هـ) الكشاف، ويطبّق المنهج المعتمد في الأسرار والدلائل ، ثم تنحو البلاغة منحى التقنين مع الفخر الرازي (-606هـ) في: "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"، حين يعتمد الكتاب على الدلالة الوضعية والدلالة المعنوية، مستندا على ما جاء به الجرجاني، ودروس المنطق الأرسطي، ليضيف

¹ - ينظر: الجرجاني، م.س، ص 9.

² - سليمان عشراي، الخطاب القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998، ص 31.

مقالات جديدة، كما يبين ما كان مجملا ويطلق ما كان مقيدا؛ كمبحث اللّف والنّشر، وغيرهما من المباحث الأخرى.

وقد اعتمد السكاكي المعيارية في البلاغة، ومحاولة تركيزه على التقسيم الثنائي القائم على ثنائية اللفظ والمعنى، الذي أخضعه إلى علم البيان، والمراد منه إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة حيث حصرها في الدلالات العقلية ذات الطابع المنطقي والتفريق والتقسيم.

لقد سلك السكاكي منهجا غاية في الدقة، كما اتخذ من الرازي معلما، يقول شكري عياد: ((وقد سلك سبيل الرازي من المبني على دلالة الالتزام، كما اتجه إلى علم المعاني، الذي يبحث في خواص تراكيب الكلام، المبني أصلا على أساس التركيب النحوي داخل الجملة))¹، ثم في تعالقتها مع غيرها من المتواليات الجمالية، لم تحسم قضية المعنى، وظل الأمر يحتاج إلى علم ثالث سموه علم البديع*، ومما يلاحظ بهذا الصدد أنه لم يسم ما تناول من فنون البديع بديعا، ولم يعتمد مصطلحه، كما أنه لم يدخلها في البلاغة، وإنما سماها محسنات، كثيرا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، وذكر منها أكثر من عشرين لونا، وترك باب التنبيه للمزيد منها مفتوحا للباحثين والمتأملين وصنفها صنفين واحد للفظ وآخر إلى المعنى.

¹ - ينظر: شكري عياد، البلاغة والنقد، م.س، ص 59.

* - يقول أحمد مطلوب: ("ومما يلاحظ بهذا الصدد أنه لم يسم ما تناول من فنون البديع بديعا ولم يعتمد مصطلحه كما أنه لم يدخلها في البلاغة وإنما سماها محسنات ورآها وجوها مخصوصة كثيرا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام وذكر منها 26 لونا وترك باب التنبيه للمزيد منها مفتوحا للباحثين والمتأملين وصنفها صنفين واحد للفظ وآخر إلى المعنى." ينظر: أحمد مطلوب، حسن البصير، البلاغة والتطبيق، ط2، 1999، ص 420 .

ويبرز السكاكي في مقدمة كتابه، الخلط الواقع في الأدب، والمخرج منه، فيقول: ((وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الآدب دون نوع اللغة، ما رأيته لا بد منه وهي عدة أنواع متآخدة فأودعته علم الصرف بتمامه، وأوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان))¹، وعليه فالمعتبر من كلامه، والمورد من قوله، أن الناس اختلفوا شيعا في مفهوم الأدب، وما يتداخل معه من فنون وعلوم أخرى، تتباين أحيانا وتتكامل أحيانا أخرى، فمنهم المقل ومنهم المكثر، ولعمري بالسكاكي من طول باعه اللغوي في توظيف المفردات في مكانها ويجعل لعلم الأدب، ما قام به نحو الجمل، والصرف، وما حسن به المعنى وسبك الكلام من علمي المعاني والبيان.

ويرجع بعض النقاد المعاصرين أن علم الأدب بهذا المفهوم عند السكاكي هو تصور مبكر لما سمي في القرن الحديث علم النص، الذي اعتبره فان دايك ((مثلا عصريا للبلاغة²)).

و يذهب محمد حمدي بركات بعيد في هذا المقام، حين يقول: ((إن البلاغة العربية من العلوم التي لم تحترق ولم تنضج ؛ لم تحترق لأنها أحد مفاتيح الإعجاز القرآني والجمال الأدبي ... أما أنها لم تنضج؛ فلأن الوسائل التي تعرض بها بحاجة إلى تجديد وثقافة العصر الذي تشيع فيه..))³، كون البحث في الإعجاز لا يتقيد بزمن ولا مكان، فمتى كان الأمر متاحا لأولي النهى بادر كل منهم وفق علمه إلى النهج من هذا القرآن الكريم.

¹ - لسكاكي ، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تحقيق، نعيم زرزور، بيروت ، دار الكتب العلمية، (د ط)، 1983، ص6.

² - فان دايك، النص بنيتة ووظائفه ، ترجمة محمد العمري ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين ، الدار البيضاء. إفريقيا الشرق، 1997، ص 46.

³ - محمد بركات حمدي أبو علي ، البلاغة عرض وتوجيه وتفسير ، عمان ، الأردن ، دار الفكر، ط3، 1983 ، ص 8 .

وبعدما ينهي السكاكي الحديث عن النحو والصرف، وما شاكلهما، يتيمّم شطر علمي المعاني والبيان فيجعل علم المعاني هو ((تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحتز بها من الوقوف على الخطأ))¹، على أنه يشترط في الفهم التأكيد على العناصر النحوية والصرفية والدلالية التي ساقها في الباب السابق، ونخص بالذكر ما سمّاه أصل دلالة المعنى في علم النحو، ويبدأ بمجموعة من الفنون والفصول والأبواب، شارحا لكل المصطلحات التي سردها بطريقة مبسطة علمية، وإن غابت عنها الشواهد التمثيلية أحيانا.

أما البيان، فقبل أن يعرفه، ابتداء الحديث عن مباحث الدلالات وأقسامها، كونه يرى أن في هذا التقديم فائدة، ثم يقول : ((وإذا عرفت أن إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة، لا يتأتى إلا في الدلالات العقلية... ظهر لك أن علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني))²، ثم يربط المباحث شيئا فشيئا مع البيان، ويبدأ بالمجاز ثم التشبيه، وهكذا حتى يصل إلى البديع الذي يجعل له قسمين ؛ اللفظي والمعنوي.

ولم يتوقف الاجتهاد عند السكاكي كرائد لتعليميّة البلاغة إن جاز لنا القول، وإنما كان لمن تلوه أعمالا نقدية وبلاغية ترقى في معظمها إلى الحسن، وما مقياس الاجترار إلى انتقاصا من عمل هؤلاء، والحال هذه، نعرّج على بعض الأعلام ممن تتلمذوا على السكاكي وأثروا الدرس البلاغي ولو على مستوى الشروح والتفاسير.

¹ - السكاكي، مفتاح العلوم، م.س، ص74.

² - م، نفسه، ص 145.

12- بدر الدين بن مالك (-686هـ)

لخص بدر الدين بن مالك القسم الثالث من مفتاح العلوم في كتاب جليل، ومنهج قويم وسمه بـ (المصباح في علم المعاني والبيان والبديع)، وفي هذا الصدد يقول محقق الكتاب: ((وظل على رأي السكاكي في أن علمي المعاني والبيان هما مرجع البلاغة وأن مرجع المحسنات البديعية الفصاحة، إلا أنه مع اعترافه بأنها توابع للبلاغة... جعلها علما مستقلا بنفسه سماه علم البديع وبذلك هيأ لأن تكون البلاغة متضمنة لثلاثة علوم ... وتوسع إلى ذكر المحسنات البديعية فذكر أربع وخمسين نوعا...))¹ هذه الأنواع، بعد أن أحصاها وسمّاها، وفق ما وصل إليه الأمر من مسمّيات، أطلق على القسم الثالث من البلاغة مصطلح ((البديع))²، كما تفضل صاحب التحقيق في هذا الأمر وقبله كان البديع تابعا لا علما مستقلا بنفسه.

ومما يشدّ الانتباه ونحن نتصفح الكتاب نجده، قد أدمج باب الفصاحة بالبديع، وجعل لها شروطا، منها ما تعلق بالفصاحة اللفظية، ومنها ما تعلق بالمعنوية، ثم أتى على ذكر فنون البديع معتبرا أنّ تمام المعنى، لا يتحقّق إلاّ من خلال اللفظ الذي يحتاج إلى محسنات الكلام، فجعل من المحسنات اللفظية أربعة وعشرين نوعا، أما المعنوية فخصها بتسعة عشر نوعا*، كما فصلّ الحديث عن الفصاحة

¹ - بدر الدين بن مالك، المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، شرح وتحقيق، حسن عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، 1983، ص م، من المقدمة وهو كلام المحقق.

² - ينظر: أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، ص 424، وينظر: المؤلف نفسه، معجم المصطلحات البلاغية، ص 224 وما بعدها.

* - يرى بدر الدين بن مالك أنّ الوجوه المحسنة للكلام راجعة إلى ثلاثة أمور هي: 1- الفصاحة اللفظية وأحصى فيها 24 نوعا وذكر منها: التردد، رد العجز والترصيع، التسجيع والمطابقة والمقابلة، التوسيع، والقلب..2- الفصاحة اللفظية المختصة بالفهم والتبين وجعل منها خمسة عشر نوعا.3- أما المعنوية فهي المختصة عنده بالتزيين وعدّها منها حسن الابتداء والتخلص وغيرها. ينظر بدر الدين بن مالك، المصباح، ص 76 وما بعدها.

المختصة بتحسين الكلام الدالة على قوة عارضة المتكلم وتمكنه، خمسة عشر نوعا، فكان تمام ثمانية وخمسين نوعا من فنون البديع، كما اقتبس عن السكاكي أربعة وعشرين لونا، وتفنن في تحوير أخرى، من مدونات بلاغية سابقة لعهد.

ولقد عيب عليه إدخاله المطابقة والمقابلة في باب المحسنات اللفظية، بخلاف المعمول به والمعهود عند أساطين البلاغة أمها محسنات معنوية ليس إلا.

13- الخطيب القزويني (- 739 هـ):

من خلال عنوان كتاب الإيضاح في علوم البلاغة، يتبين لنا أنه قسم البلاغة، إلى بيان ومعاني وبديع، وتبدأ البلاغة من هنا عهدا جديدا، حيث يفصل القزويني ما بين البلاغة والبديع، هذا الأخير الذي عرفه بقوله: هو ((العلم الذي يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال))¹، ووضوح الدلالة، وهو لا يختلف عن سابقه، في معين هذ الصنف، إلا من حيث الصياغة، ثم يعرج بعد ذلك على وجوه تحسين الكلام* من حيث أقسامها، فيجعل ضربا متعلقا بالمعنى وآخر متعلقه اللفظ، ويبدأ بعده في صياغة ما تعلق بالمعنوي إذ جعل له المطابقة والتدبيح والكناية ونحوها أما ما تعلق باللفظي فمنه الجناس بأنواعه، ورد العجز على الصدر وغيرها .

¹ - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة البيان المعاني والبديع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص 255.

* - يقول أحمد مطلوب: (كان بدر الدين بن مالك، أول من أطلق مصطلح البديع على هذه الوجوه والمحسنات، وقسمها إلى ثلاثة أقسام: الأول: راجع إلى الفصاحة اللفظية، وعد منه 24 فنا، ومنها: التردد والتشطير الثاني: الراجع إلى الفصاحة ويختص بإفهام المعنى، وعد منه 29 فنا، ومنه: التقسيم، حسن البيان... الثالث: الراجع إلى الفصاحة المختصة بتحسين الكلام وتزيينه، من مثل: اللف والنشر و التورية... ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ص 224 وما بعدها.

أما في كتابه الثاني التلخيص، يقول في فاتحته: ((.. فلماً كان علم البلاغة وتوابعها من أجلّ العلوم قدراً وأدقها سرا إذ به تعرف دقائق العربية و أسراره ، وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها... ولم آل جهداً في تحقيقه وتهذيبه ورتبته أقرب تناولاً من ترتيبه...وأضفت إلى ذلك فوائد عثرت في بعض كتب القوم عليها... وسميته تلخيص المفتاح))¹، وبعد فراغه من التلخيص، شرع في نهج سمى آخر، نحو توليف الدرس البلاغي انطلاقاً من جمع شتات الأوائل في كتابه "الإيضاح" الذي خصّصه لمباحث الفصاحة والبلاغة، ومدار علم البيان والمعاني، متغاضياً نوعاً ما عن المحسنات البديعية من غير إيراد لمبرّر هذا التوجه، بخلاف الإيضاح.

كما نلغيه يجمع من الجرجاني في أسراره و السكّاكي في مفتاحه، والزخشي في كشافه عن حقائق التنزيل، و تعاطيه مع القضايا من وجهة تأويلية تفسيرية، خاصة بمفهومه الشخصي لمسائل الخلاف.

وعليه، فإن هذه بعض الإشارات العابرة والأمثلة النموذجية عن بدايات الدرس النقدي والبلاغي العربي في عمومته، إذ إنّ من الملفت للنظر، أن هذا الدرس لم يتوقف عند حدود المفتاح أو تلخيص المفتاح، وإنما استمرت الكتابات النقدية والاجتهادات البلاغية تشق طريقها نحو التصنيف والتلخيص، أو إعادة الكتابة من زوايا جديدة من حيث الطرح، قديمة من حيث التصانيف، أين شهد القرن السابع لونا جديداً، وتدوينا من طراز آخر. تمثل في البديعيات وأقدمها ((بديعية ل علي بن عثمان الأرييلي، ومنها بديعية صفى الدين الحلبي في 145 بيت وبديعية ابن جابر الأندلسي في 127 بيت،

¹ - القزويني ، التلخيص في علوم البلاغة ، تح ، عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، ط1، 1904م ص 21-22.

1))...¹، ثم توالى أشكال النظم على هذه الشاكلة، مما أفسد الذائقة العربية البيانية، ودخلها الضعف من كل جهة.

وبعد أن قيض الله لأمة القرآن، من يعيد لها مجدها الضائع؛ عادت الساحة البلاغية والنقدية على سابق عهدها، - وإن على اختلاف كبير - وحاول الكثير من العلماء استدراك لغة القرآن وإثراء الساحة العلمية والأدبية بالمدونات، التي ما تزال شاهدت على ولعهم بالتصنيف والكتابة، ومحاولة بعث المباحث البلاغية من رقدتها، رغم بُعد الشُّقة ما بين المشاركة والمغاربة، الذين حاولوا تأسيس منهج مخالف للمشاركة، نابع من الظروف الثقافية والفكرية المحيطة بهم، وتبعاً للمشروع النقدي والبلاغي، الذين حالوا إرساء معالمه على الساحة المغاربية.

وتأسيساً على ما سبق، فقد غدت بذلك المدارس النقدية والبلاغية، على اختلاف توجهاتها تحدّث بما وصلت إليه من نواميس جديدة، خدمت القرآن الكريم والأدب العربي بطريقة أو بأخرى دونما غضّ النظر عن الملابس الفعلية التي أذكت نار الاجتهاد والكتابة حينها.

وعليه، فإننا سنتعرّف في الفصل الثاني من هذه المذكرة، على جملة من القضايا، حينما نعرّج على الشقّ المتعلّق بالمدارس المغاربية المتخصصة في النقد والبلاغة العربية، و مرجعياتها الفكرية التي فرّقت بين نوعيّة المنجز البلاغي المغاربي والمشرقي، ومن ثمّة المرور إلى تخصيص ابن البناء العددي المراكشي بالدراسة والتحليل، من خلال التعرّض لأهم المحطّات في حياته العلميّة والمعرفية؛ الفلسفية منها والأدبية، ناهيك عن الملابس التي كتب فيها الرّوض المريع، وكيف غدا مرجعاً مهماً يستند إليه في البلاغة والنقد، بعد أن كان علماً بارزاً في الرياضيات والفلك.

¹ - أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، م.س، ص 225

الفصل الأول

[...والشعر أبلغ البيانين وأطول اللسانيين، وأدب العرب المأثور وديوان علمها المشهور...]

عبد الكريم النهشلي

اختيار الممتع في عمل الشعر وعمله

ص 24

التراث النقدي والبلاغي المغربي، المدارس والمرجعيات

تمهيد:

- المدارس النقدية والبلاغية المغربية القديمة

1- المدرسة النقدية و البلاغية الأدبية :

- أ- عبد الكريم النهشلي (-405هـ)
- ب- القزاز القيرواني (-421هـ)
- ج- ابن رشيق المسيلي (-456هـ)
- د- ابن شرف القيرواني (-460هـ)

2- المدرسة النقدية و البلاغية الفلسفية:

- أ- المطرّف أحمد بن عميرة (-658هـ)
- ب- حازم القرطاجني (-684هـ)
- ج- ابن البناء المراكشي (-721هـ)
- د- السجلماسي (-734هـ بالتقريب)

لم يكن علماء المغرب العربي بمنأى عن الدراسات النقدية والبلاغية، التي أبانت عن جهد المشاركة في هذا الباب، وإنما التأثير والتأثر كان جلياً، من خلال الوشائج التي وجدناها ونحن نتصفح المنجزات النقدية والبلاغية المغربية، على مدار أربعة قرون من الزمن، من (4هـ إلى 8هـ).

ولا بدّ من الإشارة في هذا المقام، إلى ابن خلدون (-808هـ) في معرض حديثه عن البلاغة وعلم البيان؛ اصطفى أهل المشرق بالبيان، وجعل لأهل المغرب خصوصية البديع*، ولا مندوحة من ذكر ما حمله على توجيه هذا الحكم لأحدهما من خلال المقدمة؛ فبعد أن بيّن أن هذا العلم حادث في الأمة بعد علم العربية واللّغة؛ حصر المشاركة في زاوية معينة بحسب التصنيف الذي ارتضاه، جاعلاً من البديع همّ المغاربة فقال: ((وبالجملة: فالمشاركة على هذا الفن أقوم من المغاربة، وسببه - والله أعلم - أنه كمالي في العلوم اللّسانية، والصنائع الكمالية توجد في وفور العمران، والمشرق أوفر عمراناً من المغرب كما ذكرناه... وإنما اختصّ بأهل المغرب من أصنافه علم البديع خاصة، وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعريّة))¹، ولكن لا ننكر أنّ هذا الحكم يحتاج إلى وقفة تبيان، دون مصادرة بهذا الشكل، فمن البديهي أنّ ابن خلدون يربط الصنائع بمقياس التمدّن والبداوة، فلمّا كان علم البديع سهل المأخذ - على حد تعبيره -، يميل إلى تنميق الألفاظ، وكان البيان صعب المأخذ على المغاربة، استحسنا الأول

* - تعتبر المقدمة نموذجاً عربياً فريداً من نوعه، حيث برّر ابن خلدون الصنائع والعمران بما دلّت عليه العلوم الموجودة في الأمصار، وإلى هذا يشير الباحث محمد عابد الجابري بقوله: (.. لقد كان غرض ابن خلدون في مقدّمته، أن تكون مقدّمة نظريّة ابستمولوجية منهجيّة، الهدف منها رفع الكتابة التاريخية من مستوى الفن الذي كان يقتصر فيه على مجرد سماع الأخبار والمرويات... إلى مستوى العلم الذي يقوم على النّظر والتحقيق والتعليل والتفسير هدفه بيان كيف تقوم الدّول والأمصار، وما يرافق أو ينتج عن قيامها من صنائع وعلوم). ينظر: محمد عابد الجابري، نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 6، 1996، ص 264.

¹ - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، طبعة مصححة، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ط 1، 2004، ص 628.

وتحافوا عن الثاني، ولا يتعد ابن خلدون - في هذا الصدد دائما - عن زمن التأليف في هذا الباب، حتى يقف على ابن رشيقي وكتابه العمدة، ويفرد له العناية اللازمة، بل ويجعل من جاء بعده اقتباسا لمقاييسه من أهل إفريقية والأندلس، وهنا وجب علينا أن نتساءل عن قصد ابن خلدون بـ {المشرق} و {المغرب}؟ هل هو تقسيم على المستوى الجغرافي المضبوط؟ أم أنه تقسيم أخضعه لعوامل أخرى؟.

بعد التصفح الدقيق للمقدمة، تبين أن غياب التّحديد والتّبرير في الإنشاء عن هذا التّقسيم يوحي للقارئ أن المقصود هو المغرب الأقصى*، ولعلّ ما يقوّي هذا المنحى، استتباعه أهل المغرب بالأندلس وأهل إفريقيّة، حيث نجد أنّه ((قابل بين أهل المغرب - الذين هم من يتوطّن إفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى بالإضافة إلى الأندلس، ومصر والشام، وبين أهل العجم))¹، ولا نلفي هذا التقسيم وحيدا عند عبد الرحمن بن خلدون، بل تلقّفته الكثير من المدوّنات التي أرّخت للعلوم، فقد ذكر الباحث محمد مفتاح كتابا لـ بهاء الدين السبكي المصري (-763هـ) بعنوان [عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح] تحدث فيه عن أهل المشرق، كما أبرز أن كتابه ((جاء واسطة بين مفتاح المشرق ومصباح المغرب، ويقصد السكاكي وبدر الدين بن مالك (-686هـ)، فهناك مقابلة إذن بين أهل المغرب وأهل

* - يشير مصطفى أبو ضيف في كتابه الموسوم بـ : (القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين والمرينيين) إلى أن ((بلاد المغرب مصطلح يقصد به الكتاب العرب كل الأقاليم الواقعة غرب مصر والتي تشمل شمال القارة الإفريقية وتتضمن حاليا البلاد الليبية... وتونس والجزائر بصحرائها المترامية إلى تحوم السودان وأخيرا المغرب الأقصى الذي كان يعرف إلى عهد قريب باسم مراکش نسبة إلى عاصمته الجنوبية))، كما نجده قد فصل في مسألة الامتداد الجغرافي والطبيعي من حدود برقة، إلى المحيط الأطلسي. ينظر: مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية في المغرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، 1982، ص 27 وما بعدها.

¹ - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، مقارنة نسقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2009 ص 15. وينظر: تعليق محمد بن شريفة، محقق كتاب التنبهات، ط1، 1991، ص 5.

المشرق))¹، على أننا هنا لا نتقيد بالمغرب الأقصى لوحده بالدراسة خدمة لهذا البحث في شموليته التاريخية والمعرفية.

يفسّر ابن خلدون المسائل البلاغية، التي انبثقت عن المشاركة بأنّها ولدت أطواراً، حلقات تتبعها حلقات، ثمّتها ومحركها الأساس فهم إعجاز القرآن، ((لأن الإعجاز في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة))²، على أنّ كمال وتمام العلم البلاغي كان لدى السكاكي الذي هدّب مسأله . بحسب ابن خلدون . في كتابه المفتاح .

وتأسيساً على ما سبق، فإن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن ونحن نلج هذا المعترك؛ الذي سيدفع بنا نحو إرساء معالم المدارس النقدية والبلاغية المغربية: ما هي النواة الأولى للأدب المغربي أو المغربي . بحسب اللفظ القديم . ؟ كيف تشكّل وما معينه؟ ماهي التراكمات الاستمولوجية التي جعلته يتبوأ هذه المرتبة؟ .

وللإجابة على مثل هذه التساؤلات المطروحة على محكّ النظر، وجب علينا استقصاء التاريخ المغربي*، الذي يعجّ بالتفاصيل السياسية التي رسمت معالم الدرس الأدبي من بعد الفتح الإسلامي، حتى

2- محمد مفتاح، م. السابق، ص16.

3- ابن خلدون، المقدمة، م.س، ص 629 .

*- فتح العرب المغرب بعد تغلغلهم في الشمال الإفريقي منذ البعثة الاستطلاعية لعقبة بن نافع الفهري سنة 62هـ والتي انتهت بحملة موسى بن نصير سنة 87هـ . قام بأمر الحكم أمراء بالنيابة عن الخلفاء، حتى القرن التاسع الميلادي، أين ظهرت الإمارات والدويلات نذكر منها الأغالبة (184-297هـ)عاصمتها القيروان، والأدارسة(172-375هـ) وعاصمتها فاس، ثم المرابطون(448-541هـ)وكانت فيها نهضة فكرية عظيمة . ثم دولة الموحدين (541-668هـ) كان فيها التجديد والتنظيم المغربي، وحركة نقل وترجمة فكان ذاك العصر الذهبي ، وفي عهد المرينيين واصلت حركة العلم والأدب سيرها نحو الأمام وإن بتحفظ خاصة الفلسفة. ينظر: حنا الفاخوري تاريخ الأدب في المغرب العربي، ط1، 1996ص36.و عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، ص37 وما بعدها.

الفتنة المذهبية التي بستت أركان دولة باديس الصنهاجي وابنه المعزّ، ثم السيل العرم الذي عصف بالمرايطين والموحدين، وجعلهم جذاذا وقوما بورا، إلا ما تبقى من حصون قيّض الله لها ما أعاد تشكيل الخارطة الاجتماعية والسياسية في المنطقة، والتي ساهمت إلى حد كبير في إعادة بعث الدرس الأدبي والفلسفي والرياضي وهلمّ جرّاً.

ولا ينكر منكر ما للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، من دور بارز في تفعيل النشاط الفكري و الأدبي* والفلسفي وغيره، مما ينجّر عنه تقادح العقول وتفتح الألسنة، وإعطاء دفع قوي أو إخماد هذا التقادح، بحسب ما في الملك من أمر وناهي . و لنا في تاريخنا العربي و منجزات التراث ما يفيد الدّلالة القطعية في ذلك، ولا يخفى على القارئ النبیه الحصيف.

إن انتقال العرب إلى المغرب بقضّمهم وقضيضهم، و نقلهم للحضارة التي عاشوا في كنفها بكل حمولتها المعرفيّة والسوسيوثقافية، جعل من البلاد المستقبلية تُقبل على هذه الروافد العلميّة، بعد أن أوجست منها خيفة، على اعتبار أنّها فكر غازٍ ليس إلّا، ثم ما لبثت أن تمازجت المعارف، وحاول المغاربة إيجاد فضاء خصوصي لهم، يتناول المجهودات التي أسّسوها وفق القراءات المتعددة لتراث المشاركة، ولكن المدّ العربي أخذ في الشّيوع ، وفتحت المساجد أبوابها للعلم، وما كان من السّاسة إلا الغدق على العلماء والأدباء، يشجعون العلم والأدب، وأصبح الناس شيئاً فشيئاً يتذوقون التراث العربي، إلى ((أن تمّ التمازج وكان الوعي، وإذا البلاد عربيّة، وإذا هنالك أدب عربي ينشأ ويتطور على سنة الحياة،... شعر

* - لقد تحدّث محمد عابد الجابري عن مثل هذه المسائل الجوهرية في كتابه نحن والتراث فصل: البعد الاجتماعي - التاريخي في الاستمولوجيا الخلدونية، وأوضح في معرض حديثه: (... إن العلوم جزء من البنية الفوقية للمجتمع أي جزء من نشاط الدولة ومؤسّساتها، فإذا انقرضت الدولة في مجتمع تراجعت فيه العلوم واندثرت... ولما كان المغرب قد اصطبغ بصبغة البداوة احتفظ بالكثير من مظاهرها)، مستدلاً بما جاء عند ابن خلدون وغيره. ينظر : محمد عابد الجابري، نحن والتراث، ص 294.

ونثر كأروع الشعر وأبلغ النثر¹، مما حقّق لنا نوعا من التوازن الفكري وأثرى السّاحة الأدبيّة والنّقديّة، وصناعة الشّعْر حتّى.

ويضيف حنا الفاخوري موردا آخر من موارد الأدب، ومعينا جديدا للفنون الأدبية، فقال: ((كان في مرحلته الأولى أدبا مشرقيا دخل المغرب مع المشاركة الفاتحين... ثم كان أدبا مزيجا من أدب مشرقى وأندلسي أخذ يصطبغ بالصّبغة المغربيّة، ... ثم انتقلت إلى مراكز إشعاع بالقيروان و تاهرت و سجلماسة و فاس،... وغيرها من المدن.))²، كما تزايد المدّ الأدبي في المغرب بعدها.

لم تكن المتغيرات المجاورة للبيئة المغربيّة، بعيدة عن المساهمة في هذا الجو العلمي، الذي بدأ يتبلور منذ القرن الثالث، إذا ما أخذنا في الحسبان المراكز الأندلسية، التي أثّرت بشكل فعّال في دفع عجلة الثقافة، كما لا نعدم دور المعتزلة في نشر روح الجدل³، والمنطق البناء القائم على الحجاج، دون التقليل من الحجم الفارسي في المنطقة، و الذي لعب دوره في تكامل الثقافات، على أنّ حركة الرّحلات من و إلى المشرق، أضفت طابعا حيويا على الدّرس الأدبي، لما ساهمت به من التعريف بأدب الأمم مللهم ونحلهم، إضافة إلى نواحي أخرى تقتضي منا الوقوف عليها في المواطن الخاصة بها، وتخصيص بحوث مستفيضة في هذا الشأن.

ولئن كنّا بصدد التعريف بالمنجز النقدي والبلاغي المغربي على مدار زمن معين، فإنّ البحث في

¹ - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب في المغرب العربي، م.س، ص 42.

² - م. نفسه، ص 50.

³ - يراجع للاستزادة: أبو ريان محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، في الفصل السابع عشر المتعلق بالحركة الفلسفية في المغرب الإسلامي من ص 413 إلى آخر الكتاب، ففيه إشارات قيمة تسترعي الانتباه والتوقف عندها. الكتاب عن دار النهضة العربية، ط2، 1973.

أدب المغرب العربي القديم حتى عهد متأخر، ((يعد من قبيل التحدي والمغامرة وذلك بسبب ما يعرف هذا الحقل المعرفي من انعدام للمظان، التي تتكفل بيئة معينة أو يأخذها على عاتقه منبع معين بل يلاحظ الباحث المتّجه هذا الاتجاه أنّ المشارب والاتجاهات متعددة ودفينة في مختلف الموضوعات من فقهية وتاريخية وأدبية ونقدية))¹، وهو ما من شأنه تحويل الباحثين و التوجّس خيفة من أعباء الولوج إلى مقدماته، وهو ما لمسناه ونحن نتجول في فضائه العلمي الرّحب.

إنّ الولوج إلى غياهب الفكر النقدي والبلاغي المغربي، يمرّ عبر مجموعة من الضوابط التي أرّخت بشكل فعّال لمراحله المتباينة تارة، والمتوازية أحيانا أخرى، جاعلة من القيروان الإشعاع الأول ثم حواضر مراكش وفاس وتلمسان، ومن دار في فلكها في مراتب لاحقة، لما تأثرت به من نهضة ثقافية قيروانية، شديدة الميل إلى المشاركة في بداية العهد، حيث بلغت ((في زمن باديس الصنهاجي ذروة النهضة في الحياتين العلمية والأدبية، ويكفي أن نذكر أمثال: الرقيق المؤرخ، وابن رشيق وابن شرف والحصري صاحب زهر الآداب))²، كما لا يفوتنا ولا نعدم البتّة الأعمال النقدية التي أتت مع نقاد مغمورين، ثم أبان المحقّقون عن كمّها وكيفها الهائل، إلّا أن نتوقف عند كلام المحقّقين والنقاد، الذين أكّدوا من خلال كلامهم على التأثير الشديد، الذي حصل لدى المغاربة من لدن النهشلي وحتى ابن خلدون.

وبناء عليه، فإننا سنقف عند كلّ علم من أولئك الأعلام، وقفة مختصرة، مع الإشارة إلى أهمّ المباحث البلاغية والمفاهيم النقدية، متتبّعين طريقة رصد المدارس النقدية في حينها، ومن ثمّة الأعلام الذين أثروا السّاحة الأدبية بفنون شتى، إذ وكما يشاع فإنّ لكل زمن قيّافته، التي من ورائها يمكن لنا

¹ - محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، نشأته وتطوره، منشورات إتحاد الكتاب العرب، (د ط)، 2000. ص 8.

² - إحسان عباس، تاريخ النقد، م.س، ص 439.

تتبع المسار الذي اصطلح عليه النقاد [القيافة الأدبية]، ((ولا بدّ من التأكيد على أن هذه القيافة تتحدّد بفضل الذائقة الأدبية لأبناء كل زمان ومكان؛ ولا بدّ من الاعتراف أيضا، بأن هذه الذائقة الأدبية هي ما قد يدفع، ولو ببعض التعسف أحيانا إلى إعادة النظر في الكثير من النصوص))¹، شريطة أن تكون عند الدّارس بعضا من المفاتيح النقدية، التي يستطيع بها فتح مغاليق الدّرس الأدبي المغربي أو العربي في شموليته الثقافية.

¹ - وجيه فانوس، مخاطبات من الضفة الأخرى للنقد الأدبي، منشورات إتحاد الكتاب اللبنانيين، لبنان، ط 2001، ص 15.

- المدارس النقدية والبلاغية المغربية القديمة

1- المدرسة النقدية البلاغية الأدبية :

- أ- عبد الكريم النهشلي (-405هـ)
- ب- القزاز القيرواني (-421هـ)
- ج- ابن رشيق المسيلي (-456هـ)
- د- ابن شرف القيرواني (-460هـ)

- المدارس النقدية والبلاغية المغربية القديمة:

لا نكاد نجد في ما عثرنا عليه من مراجع*، تقسيما جامعا مانعا للاتجاهات النقدية والبلاغية المغربية القديمة، اللهم إلا ما كان رسدا لبعض المدونات، وحصرها في اتجاهات لا تشفي غليل الباحث، كما تنقصها البرهنة العلمية المحددة والمنهجية النقدية، التي تُخضع العمل نفسه لمقياس الجودة والرضا، أو مقياس التخصص.

فإذا ما تتبعنا تقسيم الباحث عبد السلام شقور للاتجاهات النقدية المغربية القديمة، نجده أوقفها على ثلاث اتجاهات؛ دينية صرفة مهتمة بالإعجاز، وأخرى أدبية متمثلة في الشروح الأدبية. واتجاه تأسيسي، صبغته التعقيد في المقام الأول؛ ويمثل له بأمثلة لا توافق الاتجاه البتة، بحسب اطلاعنا على فحوى بعض تلك المنجزات النقدية والبلاغية .

ويجعل الباحث علي لغزيوي التقسيم يبني على اتجاهات ثلاثة، لا تكاد تختلف عن سابقتها إلا في المسميات، في حين ينفرد الباحث محمد مرتاض بتقسيمات هؤلاء من دون تعليق عليها.

ولكن، المنطق يفرض علينا، أنّ هناك الكثير من الأمور يجب عدم استباقها عندما نريد التأسيس للمدارس النقدية المغربية، أو تلك الاتجاهات البلاغية، التي عرفتها الساحة الأدبية المغربية. كما لا يجب إغفال أمور مهمة في هذا التراث النقدي، الذي انبنى أول الأمر على التأثير المباشر بالمشاركة وترديد الكثير من أقوالهم، ثم التفرد في التأليف، وفق القراءات المتعددة للتراث السالف، إن بالتجاوز أو

* - من بين هذه المراجع المعتمدة ما وقفنا عليه، عند محمد مرتاض في حديثه عن اتجاهات النقد المغربي القديم ولكنه مع ذلك لم يتخذ موقفا معينا من هذه التقسيمات، التي تحتاج فعلا إلى الضبط على الكثير من المستويات، وإن كنا قد أشرنا إلى ما جاء به وراجعناه في مواطنه، إلا أننا ارتأينا تقسيما آخر. ينظر: محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، نشأته وتطوره، منشورات إتحاد الكتاب العرب، (دط)، 2000، ص 28 وما بعدها

المجاورة، وهو ما حصل من خلال الاتّصال بالفلسفة الرشدية* والسّينية مثلا، وإعادة النظر في الكثير من القضايا والأحكام.

إنّ التقسيم الثنائي للمدارس النقدية المغربية، هو ما نميل إليه في هذا البحث، قياسا على التقسيم الذي وضعه الأمدي - مثلا - قديما، وهو يوازن بين طريقتين في النقد: طريقة أدبية أصحابها أهل البلاغة، وطريقة فلسفية أصحابها أهل المعاني، وتضمّ كل من يميل إلى التّدقيق وفلسفة الكلام، والتي عبّر عنهما أمين الخولي بقوله: ((كانت هناك طريقتان لدراسة البلاغة لكل واحدة منهما مزاياها وخواصها وهاتان الطريقتان هما:

1- طريقة المتكلمين التي تمتاز بالجدل والمنطق الفلسفي، ولها رصيد علمي يفوق ما جادت به المدونات الأدبية، وتوجه اتجاهها عقليا متأدبا إن صح الحديث.

2 - طريقة الأدباء التي تمتاز بالإكثار من الشواهد والنقد الأدبي الفني¹، وهو ما اعتمدها في التصنيف للطرائق النقدية والبلاغية المغربية.

*- ففي حوار مباشر أجريناه مع الأستاذ الباحث الدكتور عباس أرحيلة في 2003/01/07، بالمركز المتخصص للدراسات الإسلامية بمراكش، أين كشف عن أمور تحتاج إلى إعادة النظر فيها، حيث أقرّ بما اجتهدنا فيه وفنّد وجود مدرسة رشدية مغربية كون ابن رشد لم يطلع على فن الخطابة لأرسطو إلا من طريق الشرح؟؟ وهو ما ميّز كتابه الصادر في سنة 1999 بعنوان (مسألة التأثير الأرسطي) والذي حصر فيه أوجه التضارب في هذا المجال وبخاصة بعد الستينيات من القرن الماضي حيث خرج للوجود تحقيق السجلماسي والقرطاجني، وتوالت السنوات ليخرج للوجود ابن البناء العددي المراكشي بكل حملته الفكرية التي تعدّت الخمس كتب محقّقة، وكتب أخرى أعادت طرح الإشكالية من وجهة نظر مغايرة تماما عما كانت عنها سابقا، وبالعودة إلى الحوار فإن الكاتب حاول فهم المسألة من زاوية محاولة الآخر تغييب العمل العربي الجبار في حين لم ينكر التأثير الغير مباشر في الكثير من المدونات المغربية، وعليه سيكون لنا حديث آخر مع هذا الحوار المطول بالتحليل في مناسبات أخرى.

¹ - أمين الخولي، البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها، دار المعرفة، القاهرة، ط1، 1961، ص20.

وينبني تقسيم آخر ارتضاه أحمد مطلوب¹ في كتابه: [البلاغة والتطبيق]، حين قسّم المدارس البلاغية إلى قسمين: جعل المدرسة الكلامية أول الترتيب، ثم المدرسة الأدبية ثانياً، ثم ما وجدناه من تقسيم عند حمّادي صمّود في كتابه: [التفكير البلاغي]، في معرض حديثه عن مسألة المنهج، أين يقسّم توجّهات العلماء إلى مدرستين: ((المتكلمين والأدباء))².

كما اعتمدنا الكلام التفصيلي الذي أسّس حيثياته محقق كتاب ابن البناء العددي، الباحث رضوان بن شقرون، فقال في تقديمه للكتاب ((إن الروض المريع ثمرة من ثمرات فكر ابن البناء ونظرياته... و مواتيا لصورة البلاغة العربية في إطارها الفلسفي الذي عرف في المغرب، على يد الثالث المبدع حازم وابن البناء و السجلماسي، فهؤلاء يمثلون الوجه الثاني للصورة التي مثل وجهها الأول اللغويون والمتأدبون أمثال ابن رشيق والسبتي وابن أبي القاسم الثعالبي))³، وفي هذا إشارة واضحة للتقسيم.

فاجتهدنا في هذا الباب، يلخص ما قام به الباحثون السابقون . وهم مشكورون نظرا لجهدهم المضني الذي لا ينكر بحال . ، بحيث نجعل:

1* - الاتجاه الأدبي الفني: الذي اعتمد على الدائقة الأدبية المتفردة في الحكم على النصوص في

المقام الأول لسببين أساسيين:

الأول : أنّها كانت السبّاقة في الظهور .

الثاني : جمعت الآراء النقدية والبلاغية المشرقية (الشرقية) والمغربية وحاورت بها النصوص .

¹ - ينظر: أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، م.س، ص 30-34.

² - ينظر: حمادي صمّود، التفكير البلاغي عند العرب، م.س، ص 477 وما بعدها .

³ - ينظر كلام المحقق رضوان بن شقرون، الروض المريع ، م.س، ص 48.

2* - الاتجاه الثاني: أو المدرسة النقدية التي تأتي في المقام الثاني، فهي المدرسة الفلسفية التي اعتمدت على التعليل والاستدلال، والمنطق الأرسطي والرياضي في مجملها، ولا نوافق الرأي القائل إنها انغمست في بوتقة الفلسفة الجافة، والتكلم بلسان حال أرسطو في "فن الشعر" و "الخطابة"، بحسب توجه أمين الخولي وطه حسين وغيرهما، ولا الرأي القائل بعدم أرسطية المنهج الفلسفي المغربي عند حازم القرطاجني وابن البناء مثلاً، محور هذه الدراسة. كما ذهب إلى ذلك البلاغيون الجدد.

وإنما والحالة هذه، نفى إلى الجمع بين الرأيين ودحض الشبهات وتلخيص المقالات في نفق واحد، يؤسس للبلاغة المغربية القديمة وفق اجتهادات الباحثين، لأنّ البحث في مثل هذه الأساسيات يستغرق من الوقت ما أنفقه هؤلاء في التدوين.

1 - المدرسة النقدية والبلاغية الأدبية المغربية:

إن أية محاولة لبتّر الأسس الأولى لبناء النقد المغربي، لا تأتي أكملها إلاّ مع توافر كل الجهود النقدية، التي أسست اللبّات الأولى لهذه العلوم، ولا ندخل بوتقة التفاصيل التي قد تجعلنا ننتيه عن مركزية البحث، وإنما لا بد من الإشارة إلى أنّ أول ((محاولة نقدية مغربية وجدت عند ابن المدبر؟؟ الذي عاش في القرن الثالث الهجري إبان عصر الجاحظ تدعى [الرسالة العذراء]* التي قام بنشرها

* - لقد تحصلنا على نسخة مصورة pdf لهذه الرسالة التي حقّقها زكي مبارك، عن مطبعة دار الكتب المصرية 1931، في ما يقارب من 80 صفحة. و بعد البحث الذي أجريناه على مدى صحة هذا التوجه، وجدنا:

أولاً: إنّ هذه الرسالة ليست لابن المدبر بخط يده، وإنما هي رسالة بعث بها أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني؟؟.
(-298هـ) إلى ابن المدبر، بحسب ما نشره وحقّقه: محمد المختار العبيدي، والتي تضمّ مباحث في الكتابة والبلاغة والشعر وأمور مختلفة في التدبير والعلوم. والأمر الثاني: كيف يرى الباحث محمد مرتاض أن النقد المغربي بدأ مع ابن المدبر، الذي جاء في سيرته: هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله، ابن المدبر أبو إسحاق، وزير من الكتاب المترسلين الشعراء، من أهل بغداد استوزره المعتمد

الدكتور زكي مبارك¹)، وهذا ما يدحض الفرضية القائلة، بحسب رأي " محمد مرتاض"، إنَّ النقد بدأ مع النهشلي (-405هـ) في كتابه "الممتع"، الذي ضمّه مجموعة من الآراء النقدية والقضايا البلاغية، على أنّ هذه المسألة مازالت بحاجة إلى إثبات علمي، وتحقيق عميق عمق أصالة النقد المغربي، نظير المستجدات التي أشرنا إليها في الهامش أسفله.

فحتى وإن كانت هذه المدونات الخاصّة بالمدرسة الأدبيّة، قد تناقلت جملة من المسائل النقدية المشروقيّة، إلا أنّها أرادت إضفاء طابع مغربي بحت، ينمّ عن سعة الإطلاع وامتعة القراءة عند أعلام القرن الرابع و الخامس الهجري، الذين ظهر الميل عندهم إلى ((تفضيل المعاني والاهتمام بالعمق في الفكرة والابتعاد عن البديع والصياغة))²، ولا بد من الإشارة إلى أن الأعلام الذين نحن بصدد الحديث عن منجزاتهم البلاغية والنقدية، في هذه المدرسة هي على سبيل التمثيل لا الحصر، لأن القائمة طويلة جداً، وإنما نكتفي بمن أسّس المبادئ الأولى، وأرسى قواعد المدرسة السالفة الذكر ومن جاء بعدهم إلا قوم تبع.

أ- عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي (-405هـ).

العباسي، سنة 269هـ، وتوفي ببغداد، 279هـ الموافق لـ 893م، ينظر: الأعلام، م.م. مذكور، ج 1 ص 60، فكيف بابن المدبر ناقد مغربي؟؟ يبقى السؤال مطروحا لحين الإجابة عنه.

¹ - محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، م.س، ص 36.

² - محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري، الاسكندرية، منشأة المعارف، ط1، 2000، ص132.

لقد أورد عبد الكريم النهشلي شيخ ابن رشيق في كتابه [المتع في علم الشعر وعمله] ، الكثير من القضايا النقدية والبلاغية ذات الصلة بالنصوص الشعرية والنثرية، وإن كان قد قلد قدامة بن جعفر في بعض المسائل، وزاد عليها إلا أن مجمل ما أورده في كتابه هذا على سبيل الاختصار :

* - مفهوم صناعة الشعر :

للمدرسة الأدبية حظ وافر في إمتاع القارئ بما جاءت به من تحليلات وتعليقات، حيث يغلب على عبد الكريم النهشلي*، أسلوب التبسيط في ضبطه للمفاهيم، ومنها الشعر، الذي يقول في تعريفه: ((والشعر عندهم الفطنة، ومعنى قولهم ليت شعري: أي ليت فطنتي))¹، فهذا الارتباط الوثيق الصلة عند النهشلي بالفطنة، يجعل الشعر ينحى منحى التعالي عن النثر، خاصة عند عطفه في معرض الحديث عن إبراز قيمته فيقول: ((والشعر أبلغ البيانين وأطول اللسانين، وأدب العرب المأثور وديوان علمها المشهور))² ، إنما تبلغ درجة الحسن عنده في كمال وتتمام الاعتدال وحسن السبك وجودة اللغة والحذق والفطنة المصاحبة للنظم، والإتيان بما تطرب به النفس، لا الوحشي المستكره أو التشبيه البعيد والاستعارة العارية عن التمثيل المرفوضة أصلا.

كما نجد يتحدث عن البدايات الأولى لنشأة الشعر، مستعينا في هذه المسألة بقصص أوردها

العرب في مروياتهم، ويعرّج على قيمة الشاعر في موطنه، وكيف تتغنى به القبائل وتتفاخر، وإن كنا

* - أورد محمد زغلول سلام" أن هذا الكتاب يعد أول كتاب تعرض للشعر بالدراسة وحاول أن يقيم علما خاصا به وأن يجعل من كتابه موسوعة في الشعر وكل ما يتعلق به، كما أنه يتصدى للدفاع عنه ويحشد كل ما يمكن من الحجج ليوقف أمام المزارين به المقللين من شأنه، الرافعين شأن الكتابة والكتاب" ينظر: زغلول سلام ، م. س، ص، 139.

¹ - عبد الكريم النهشلي ، اختيار المتع في عمل الشعر وعمله، تحقيق: منحي الكعبي ، تونس، دار العربية للكتاب، ط 1 ، 1978، ص24.

² - م. نفسه ، ص 24.

قد وقفنا على تفاصيلها عند المشاركة قبله بكثير، وقد أفاض في الحديث عن قضايا أخرى.

* - أصناف الشعر وأثر البيئة في الإبداع:

ينفرد النهشلي بتقسيم خاص للشعر فيجعله ((أربعة أصناف؛ فشعر هو خير كله: وذلك ما كان في باب المواعظ والزهد والمثل ...، وشعر هو ظرف كله وذلك هو القول في الأصناف والنوع والتشبيه... وشعر هو شر كله، وذلك هو الهجاء... وشعر يتكسب به وذلك أن يحمل إلى لكل سوق ما ينفق فيها، ويخاطب كل إنسان من حيث هو، ويأتي إليه من جهة فهمه))¹ إضافة إلى تعيينه وحديثه عن تقسيمات أخرى للشعر في مواضع مختلفة، تنبئ عن سعة اطلاعه على الموروث النقدي العربي، سواء ما تعلق بالأمدي أو الجاحظ أو الجرجاني .

وفي معرض حديثه عن أثر البيئة في عمل الشعر²، يحاول التخلّص والتنصّل من أقوال من سبقه ولكنّه قلّمًا يجدد فيها، وخلاصة تحبيره ومقولته، أنّ البيئة لها دور فعّال في النّظم والتّحرير، فما يستحسن في وقت لا يستحسن في آخر، وما هو عند أهل البلد في زمن لا يتقيّد عند أهل البلد الآخر، وحتى استعمال الألفاظ لها مزية التّفرد في الأزمان والأمصار، وهذا المذهب سنجدّه عند القيرواني ابن رشيق بكليته.

* - منهج النهشلي في قراءة الدرس البلاغي ونقد النصوص:

¹ - ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2001، ج1، ص 126 .

² - ينظر: إحسان عباس، تاريخ النقد، م.س، ص443 . وينظر: ابن رشيق، العمدة، م.س، ص97.

إذا كان النهشلي في معرض حديثه عن مفهوم الشعر، قد ربطه بالفطنة، فإنه جعل الدرس البلاغي يتكئ في تحليله الخاص ((على بعض البنى الإفرادية للنص الشعري، ويزيدنا بيانا بالتوضيح والتفصيل... ويقوم بإبداء وجهة نظره مدخلا شخصيته من غير أن يضيف إضافات كثيرة))¹ ومن أبرز الأمثلة على ذلك، ما حلله لقصائد حسّان بن ثابت وآخرون، معلّقا على الجانب اللغوي و المفرداتي، أمّا التصوير والبيان فقليل في إشاراته وتصانيفه، في حدود اطلّاعنا.

ب- أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروان (-412هـ).

يعدّ كتاب [الضرائر الشعرية]، أو كما جاء في النسخ الأخرى [ما يجوز للشاعر في الضرورة]* للقرزاز القيرواني فرادة عصره، من حيث التبويب والتعليل، ويعتبره النقاد مخالفا لما ألفناه عند مواطنه النهشلي، فلا ينتصر للشعراء مثلا أو يدافع عنهم، وإتّما يعيد إحياء قضية القدماء والمحدثين، وينتصر للمحدثين، ويقصد بالضرائر: الضرورات التي قد يلجأ إليها الشاعر، على اعتبار أنها تنقسم إلى: لفظية ومعنوية، تتمثل في كثير من الأحيان في التحايل في اللفظ والتركيب، ومحاولة الخروج عن المألوف من قواعد اللغة العربية أو العرف العام المتداول.

يقول صاحب المؤلّف، في معرض حديثه عن الدوافع في مستهلّ حديثه: ((هذا كتاب أذكر فيه إن شاء الله ما يجوز للشاعر في الضرورة، من الزيادة والنقصان والاتساع، وسائر المباني من التقديم

¹ - محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، م.س، ص 48.

* - كتب القزاز هذا الكتاب سنة 431هـ بحسب النسخة الخطية الموجودة بدار الكتب المصرية ولكن بعنوان " ما يجوز للشاعر في الضرورة " ، في حين ذكره صاحب كشف الظنون باسم " ضرائر الشعر " وفي خزنة الأدب للبغدادى كلام مخالف لهذا . ينظر: محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري، م.س، ص 273.

والتأخير، والقلب والإبدال، وما يتصل بذلك من الحجج عليه¹، ثم يتوجّه نحو الحديث عن ماهية العمل على هذا النحو، وما يريد التوقف عنده والوصول إليه بعد النظر في الأصول والفروع فيقول: ((...وتبيين ما عسر من المعاني، فأردّه إلى أصوله وأقيسه على نظائره، وهو باب من العلم لا يسع الشاعر جهله ولا يستغني عن معرفته، ليكون له حجة لما يقع في شعره مما يضطر إليه، من استقامة قافية أو وزن بيت أو إصلاح إعراب))²، فهذه المقدمة التي ذكرنا جزءا منها، للاستدلال على أهم المسوّغات التي جعلت القزاز يرجع إلى ابتكار هذا النوع، من الهروب . إن صح القول . عن الإجماع المتعارف عليه عند الشعراء في ضبط المنظوم، نحو أحقية الشاعر في وضع قوانين تمتح من المعين الذي يرتضيه نظمه، وتستقيم معه القصيدة، فلا ضير في ذلك مادام الهدف هو خدمة الأدب على حد تعبيره.

وبالرجوع إلى القصائد التي وقف عندها مطولا، - ونقد الكثير من المعاني التي ألّفت بنيانها والألفاظ التي شيدت قوافيها -، قصائد امرئ القيس وطرفة بن العبد والنابعة الذبياني، وبعض المحدثين كجرير وغيره، حيث كانت الملاحظات في موضعها الدال على سعة اطلاع القزاز ودرايته بعيوب الشعراء وأفانين القول، فيقول: ((ولم نقصد في هذا الكتاب إلى العيوب التي تجري في الشعر مما يؤخذ على الشعراء في كل فن إذا لعظم ما أردت تقليده وصعب ما قصدت تسهيله ... وإنما قصدت إلى فن الناس فيه أحوج منهم إلى غيره ومعرفتهم له ألزم والفائدة فيه أعظم فاقترصت عليه ولم ألتفت إلى ما

¹ - ينظر: القزاز، ما يجوز للشاعر في الضرورة، م.س، ص 99 .

² - ينظر: م. نفسه، ص 100.

سواه¹)، ففيه من المخارج التي يأوي إليها الشعراء الكثير، وإن كان لم يحتط لنفسه، منهجا قائما بحد ذاته، على حسب ما جاء في كلام المحقق.

ويتضح من تتبع القزاز لعيوب الشعراء والمآخذ عليهم، أنه من المتساهلين، فلا يعيب شاعرا بشيء يرى أن فيه مخرجا، فلا يأخذ عليه إلا في أضيق الحدود، ويجعل دفاعه عن عيوب الشعراء قسما كبيرا من كتابه، يردفه بتفصيلات فيما يركبون من الضرورات.

ولا يكاد القزاز يبرح الشعر، حتى يوضح بعض المسائل البلاغية، التي كان الشعراء يؤاخذون عليها، كالتشبيهات والاستعارات مثلا، فيجد لهم مخرجا في القسم الثاني من الكتاب، كما يعالج ما يتصل بفساد المعاني واللحن في دقائق العربية، واختلاف القول و الإكفاء والإقواء ونظيريهما، راجعا بذلك إلى ما أورده اللغويون من مسالك التخلّص في القياس اللغوي من غير تنافر، على مستوى البناء والبلاغة.

ولا ننكر أن للكتاب فائدة جلييلة، من حيث قدرته على حمل أوزار الشعراء النحوية والتركيبية، وردّه الكثير منها، إما لجهل بالمستجد من اللغة والقاعدة النحوية، أو لضرورة أملتها القصيدة، فلا غرو من التأكيد على جاهزية الشاعر النظمية والتركيبية، وإنما العلة في القارئ - بحسب القزاز - الذي لا بدّ وأن يكون ذا اطلاع على كل شيء.

ج - أحمد بن شرف الجذامي القيرواني (390هـ - 460هـ).

لم يكن ابن شرف ((من الذين قصرُوا اهتمامهم على الشعر، بل كان إلى جانب ذلك ابن بيئته في

¹ - ينظر: القزاز، ما يجوز للشاعر في الضرورة، م. س، ص 18.

مجالات العلوم الأدبية والنقد والرواية واللغة والنحو)¹، فمن تصانيفه (أبكار الأفكار)* وهو مدونة شعرية ونثرية، امتاز بها عن أهل عصره، و [مسائل الانتقاد] وهي أشبه بمقامات بديع الزمان الهمذاني، - حسب النقد - حيث تناول فيها طائفة من شعراء الجاهلية والإسلام بالنقد، وقسم الرسالة إلى قسمين أساسيين: الأول قصره على الشعراء المشهورين على اختلاف زمانهم وأبرز خصائص حسناتهم، أما في القسم الثاني فقد تعرض إلى مساوئهم .

يقول ابن شرف: ((وإن من الشعراء ما يملأ لفظه المسامع، ويرد على السامع من قعاقع، فلا ترعك شماعة مبناه، وانظر إلى ما في سكناه من معناه، فإن كان في البيت ساكن، فتلك المحاسن وإن كان خاليا فاعدهه جسما باليا، وكذلك إذا سمعت ألفاظا مستعملة وكلمات مبتذلة فلا تعجل باستضعافها حتى ترى ما في أضعافها، فكم من معنى عجيب في لفظ غير غريب والمعاني هي الأرواح والألفاظ هي الأشباح فإن حسن فذلك الحظ الممدوح وإن قبح أحدهما فلا يكون الروح)).²، ومنه كان الحديث مضمرا عن أحقية اللفظ والمعنى بالدراسة و التناول.

إن الإبداع الفني من وجهة نظر ابن شرف القيرواني، لا يتأتى إلا من خلال جودة اللفظ والمعاني، بغض النظر عن الطبع والصنعة، ومن هذا المنطلق سعى جاهدا إلى إبراز مثالب أبي نواس وامرئ القيس

¹ - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب في المغرب العربي، م.س، ص 114.

* - قال ابن بسام: (ولأبي عبد الله عدة تأليف أفاضها مجارا وأطلعها شوسا وأقمارا، منها كتابه الموسوم ب"أعلام الكلام"، وكتاب "أبكار الأفكار" الذي لم يصلنا منه إلا ما نقله ظافر في كتابه "بدائع البدائه" والكتاب الأول رسالة مقامات عارض بها البديع في بابه، وصب فيها على قلبه ومنها مقامة في أخبار الأدباء وذكر الشعر والشعراء).

ينظر: زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري، م.س، ص 332.

² - ابن شرف أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد، مسائل الانتقاد، تحقيق وشرح: النبوي عبد الواحد شعلان، القاهرة، مصر مطبعة المدني، 1982، ص 161 .

وقال عن البحري: ((...لفظه ماء ثجاج، ودُرُّ رجراج، ومعناه سراج وهاج، على أهدي منهاج يسبقه شعره إلى ما يجيش به صدره،... لا يمل كثيره ولا يستنكف غزيره))¹، وليس بعيد عن معنى قوله هذا، حتى نلفي توجيهات نقدية أخرى لهذا الناقد، متضمنة في حديث إحسان عباس بقوله: ((... إن الناقد بحاجة إلى التأني قبل إصدار الحكم، ويترتّب مفتّشا عمّا وراء ذلك المعنى كما يتحرّز عن الإعجاب بالقديم دون تمييز لجيد فيه من الرديء))²، الذي قد يكون عنده الجديد، فلا بد من الأخذ من كل السبل المؤدّية إلى العلم بما يمكنه الإفادة والاستفادة.

إنّ الأحكام التي جاءت في [رسالة الانتقاد] ما هي إلا مقدمات للكشف عن سقطات امرئ القيس، الذي عدّه الكثيرون مثالا للابتكار والإبداع، كما هو الحال عند ابن رشيق كما سنرى. ولا نعجب حين نجد ابن شرف يخالف ابن رشيق في ذلك، على الرّغم من الصداقة التي كانت بينهما في البلاط الملكي على عهد الصنهاجيين، ذلك إنّ كل أحد أراد أن يتفرّد بالمسألة من وجهة نظر مختلفة عن معاصره.

تناول ابن شرف القيرواني، الأحكام التّقدية التي ترجع إلى الناحية الأخلاقية، واعتبرها طريق إلى التقدير الفنّي، فتناول الغزل والفخر، وخطّ من شعر زهير بن أبي سلمى في بيته القائل (خبط عشواء) فطالبه ابن شرف بحكم عقلي لهذا الخبط العشواء، ((مما يدلّ على أنّه كان ملماً بثقافة عصره، وأنّه على علم بما يجري من محاورات أدبيّة ومعارك نقدية كان الشّعر والشّعراء ميدانا لها))³، شأنه في ذلك

¹ - ابن شرف، مسائل الانتقاد، م.س، ص، 142 - 143.

² - ينظر: إحسان عباس، تاريخ النقد، م.س، ص 463.

³ - ينظر: بشير خلدون، الحركة النقدية أيام ابن رشيق، الجزائر، ط1، 1981، ص164 - 165.

شأن أرباب المدرسة الأدبية المغربية، فمتى صحّ الدليل عندهم أخذوا بالنص وإلاّ فلا.

وما جاء به ابن شرف من دلالات على الحس الفني في التعامل مع النقد، هو خير مثال على البعد المقامي والذوق الفني، الذي امتاز به عن غيره، وإلى هذا الحد ذاعت ملاسنات بينه وبين ابن رشيق وتعالّت معها التأويلات، التي لا تنقص من همّة الرجلين.

وعلى مقربة من هذا التقرير، يقول حنا الفاخوري نقلا عن عبد الرحمن ياغي: ((... وتبقى في افريقية هذه الطريقة في النقد الأدبي تتناول أخبارا نقدية متناثرة وأحكاما على الأدب متفرقة وآراء في الشعراء جزئية غير متقصية، إلى أن يجيء ابن رشيق فيختص في نقد الشعر عامة ويوب البحث ويجمع له عدته وينظم منهجه))¹، وهو ما سنلحقه بهذا العنصر، تحليلا وتدقيقا.

د- ابن رشيق القيرواني (385هـ - 463هـ).

يعدّ ابن رشيق من النقاد الأفاضل الذين جعلوا السّاحة النقدية والبلاغية، تزخر بالمدونات النّادرة التي تخطّى صداها المغرب العربي، فلم يكن شارحا لمادّة المشاركة فحسب، وإنما كان ((يعوّل على فهمه لها والتعبير عنها بعباراته، مبديا رأيه بعد ذلك بالموافقة أو المخالفة ولم يلجأ إلى ذكر كلام بنصه، إلا إذا كان خبرا ضبطته الرواية، فإنه كما يقول لا سبيل إلى تغيير شيء من لفظه ولا معناه ليؤتى بالأمر على وجهه))²، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الجاهزية المعرفية لابن رشيق .

و وفاق ما ذكرناه، فإن البداية التي ركز عليها ابن رشيق، تكاد تكون بالانتقال من التنظير إلى

¹ - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب في المغرب العربي، م.س، ص 118، نقلا عن ابراهيم ياغي..

² - شفيق السيد، فن القول بين البلاغة العربية وأرسطو، دار غريب، ط 1، 2006، ص 166.

التطبيق؛ من "العمدة"^{*} في محاسن الشعر إلى "قراضة الذهب"؛ أين كان الكتاب أشبه بـ"عيار الشعر" و"نقد الشعر" على حد تعبير النقاد والدارسين للكاتبين، بيد أن ما سنحاول تسليط الضوء عليه لأهميته النقدية والبلاغية، هو "العمدة".

فلقد استهلّ ابن رشيق مؤلّفه الأخير، بتبيان فضل الشعر وعلوّ منزلته على النثر، إذ لا يخالف شيخه النهشلي في هذه المسألة، بل ويزيد الأمر استيضاحا وشرحاً، مبيّناً قدر رأيه في الأمر حينما يهّم بالرّد على منكري الشعر، والذين تسوّوا بقوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾^{*}، فيقول معلقاً على المعنى العام لهذه الآية، وما يحتاجه من إفهام للمنكرين: ((وكلام العرب نوعان: منظوم ومنتور، لكل نوع منهما ثلاث طبقات: جيدة ومتوسطة ورديفة... لأن كل منظوم أحسن من كل منتور من جنسه في معترف العادة))¹، ومسألة تفضيل الشعر على النثر أول ما بدأت ((مع التفكير الأشعري ممثلاً في الباقلاني وفق أبعاد ثلاثة، وظفها في كتابه إعجاز القرآن ضمن مقولته الشهيرة: أن معظم براعة العرب كانت في الشعر))²، بصفته ديوان العرب، ومن المسائل النقدية والبلاغية المشهورة التي أوردها ابن رشيق في كتابه :

^{*} - بعض النسخ المحققة جاءت بعنوان (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) وبعضها اقتصر على القسم الأول من العنوان، كما تم تحقيق وفق نسخته المتعددة من ذلك تحقيق: محمد عبد القادر، وأخرى لمحي الدين عبد الحميد وثالثة للنبي شعلان بمكتبة الخانجي والمعتمدة في هذا البحث ما حققها محمد عبد القادر أحمد عطا.

^{*} - سورة الشعراء، الآية: 224.

¹ - ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، م.س، ص 16.

² - شتوان بوجعة، بلاغة النقد وعلم الشعر في التراث النقدي، تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر، (د ط)، 2007، ص 153

* - حدّ الشعر وبنيته و أغراضه:

لم يقف ابن رشيق موقف الواصف للشعر، وتحديد بنيته المادية فقط، وإنما يراه مادّة، إضافة إلى كونه يخضع لمقياس الوزن والقافية، إلا أنه يشترط لذلك النية في نظم القصائد، وهو ما أخرجته عن الدائرة النقدية الضيقة، ولا نعجب لهذا التحديد الجديد، وإنما فعلها حتى يخرج القرآن والأحاديث من كونها شعرا، فيقول: ((الشعر يقوم بعد النية* من أربعة أشياء، وهي: اللفظ والمعنى والوزن والقافية؛ فهذا هو حدّ الشعر؛ لأنّ من الكلام موزون مقفّى وليس بشعر، لعدم القصد والنية، كأشياء اتّزنت من القرآن، ومن كلام النبي وغير ذلك، ممّا لم يطلق عليه أنّه شعر))¹، وهذا محدّد آخر يعصف بقول قدامة بن جعفر، ويعطي تفصيلا آخر لم تعهده الذائقة العربية، ثم ما لبث أن بيّن أركان الشعر وقواعده وأغراضه وأصنافه، مراوحا في ذلك ما بين اجتهاده تارة، وكلام الرماني أو شيخه النهشلي، حتى يصل إلى قوله: ((والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية))²، وهدفه من الوصول إلى هذه النتيجة، محاولة التأكيد على الأساس والمبنى العام للقصيدة.

ويضيف السيد شفيع معلقا على هذا القول: ((لكن يبقى بعد ذلك أنّ بنية الشعر ذات الأركان الأربعة تكاد تكون شكلية محضة، لا تعبر تعبيرا حقيقيا عن جوهر الشعر وروحه))¹ فيحتاج إلى

* - لم يكن ابن رشيق السباق إلى محدد النية والقصد حسب ما تحدث عنه بعض شراح العمدة، وإنما سبقه إليه ابن سنان الخفاجي والأصفهاني في مفردات غريب القرآن والجرجاني في التعريفات، وقد ربط الراغب الأصفهاني بين ماهية الشعر والقصد إليه من خلال الالتزام بعناصره الشكلية، أما مسألة سبب تسميته شاعر فقد وردت عند ابن وهب في البرهان في وجوه البيان، بقوله: (والشاعر من شعر يشعر شعرا فهو شاعر)، ينظر: بلاغة النقد وعلم الشعر، م. س، ص 154-155.

¹ - العمدة، ابن رشيق، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981، ج1، ص 119.

² - م. نفسه، 121.

¹ - شفيع السيد، فن القول بين البلاغة العربية و أرسطو، م. س، ص171.

تعديل، من وجهات نظر عديدة، كونه لا يوافق مذهب ابن رشيق.

ولا نكاد نبرح حدّ الشعر عند ابن رشيق، حتى نجد يتعرّض إلى سبب تسمية الشاعر بهذا الاسم فيقول: ((وإنما سمي الشاعر شاعرا، لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره؛ فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى واختراعه... كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة))¹، وهناك التفاتة طيبة تستحق الوقوف عليها والإتيان بها شرحا لما تفضل به ابن رشيق، يقول زغلول سلام: ((هذه الإشارة من ابن رشيق صحيحة موفقة، لو أتبعها بما يسندها ويوضحها ويناسبها لأن الشاعر هو الذي يدرك برهافة حسه ورقة عاطفته ما يحيط به، أقوى من غيره على التعبير عما أحس به، في صورة قوية جميلة))²، فيكون شعره أبلغ صورة وأتم معرفة بما هو كائن، من غير تزييف.

على أننا نلقيه، في معرض حديثه عن الأنواع الشعرية، غير ابن رشيق عن معرفة أو دون معرفة مصطلح [الغرض الشعري] بوصفه مصطلحا قويا ذا بال، واستعاض عنه بما يناسب المرجعية النقدية والمنهجية التي ابتكرها لنفسه في التأليف، بمصطلح [الأنواع الشعرية]، وعدد منها:

النسيب والافتخار، والاقتضاء ثم الهجاء فالاعتذار، و المديح يليه الرثاء ثم العتاب، ليحتل الوعيد والإنذار ذيل الترتيب، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ونحن نعدد هذه الأنواع، أين البقية التي أعتمدها السابقون، مثل الحمريات والطرديات، وشعر الهزل إلى آخره؟ كما يقول النقاد في الوقوف على هذا الطرح الجديد.

¹ - ابن رشيق، العمدة، م.س، ص 116.

² - زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغي، م. س، ص 171.

وعلى هذا الأساس، يجمع النقاد على أنّ ابن رشيق، لم يضع بابا خاصا لهذه الموضوعات، بل أبقاها كما هي في قائمة أغراضه، وقسم الموضوعات إلى صنفين هما: الأولى وتتضمن وظيفة اجتماعية محددة وبمعنى آخر الشعر الرسمي، وأما الثانية ((فهي على خلاف الأولى وهي وظيفة خاصة))¹، إنه مما يمكن استخلاصه من هذا التقسيم، أن النظرية النقدية العربية قد حظيت باهتمام كبير من خلال تفرعات ابن رشيق، حيث استطاعت أن تفصل بين صنفين من الأنواع الفنية الجوهرية، من خلال الأغراض الشعرية التي تعرضنا لها آنفا.

كما لا يفوتنا التنبيه إلى تناوله قضية لا تقل أهمية عن السابق المذكور، وهي مسألة قد انشغل بها ما سبق ابن رشيق بكثير، وهي الطّبع و الصّنعَة، يقول الشيخ بوقربة: ((احتلّت قضية الطبع والصنعة مكانا بارزا في مؤلفات ابن رشيق، درسها وعرض فيها لأراء سابقيه، واستلهم بعض عناصر محور الشعر منها))²، متخذا الرأي الذي يناسبه مقام نقده في العمدة، ومستشهدا بأكثر من شاهد في القضية والمسألة الواحدة.

* - البلاغة والبيان والنظم والبديع:

حظيت مفاهيم البلاغة والبيان والنظم، بعناية ابن رشيق، فتجده في ((باب البلاغة))¹ يبدأ من أول استعمال لكلمة بلاغة، بحسب ما أشرنا إلى ذلك في المدخل من هذا البحث، والمراد منها أنّها لم

¹ - جريجور شولر، نظرية الأدب الأرسطية العربية، ترجمة وتقديم: محمود درابسة، الأردن، دار جرير، ط1، 2008 ص 23.

² - الشيخ بوقربة، مفهوم الشعر في التراث النقدي المغربي، من القرن 5هـ إلى القرن 8هـ، رسالة دكتوراة، إشراف: عبد الملك مرتاض، جامعة وهران، ص 165.

¹ - م. نفسه، ص 244

تستقر على حال إلا في التآدر اليسير، ويسوق لنا مجموعة من التعاريف، سواء ما تعلق بحدود اللّغويين أو النقاد؛ فيبدأ بالخليل ثم خلف الأحمر، ثم الرّماني وهكذا، ولا تجده يناقش التعاريف، وربما مال إلى الجاحظ في قوله: ((ومدار هذا الباب كله على أن البلاغة وضع الكلام موضعه من طول أو إيجاز مع حسن العبارة، ومن جيد ما حفظته قول بعضهم: البلاغة شد الكلام معانيه وإن قصر، وحسن التأليف وإن طال))¹، فلا يزيد على ما احتفظت به ذاكرته، إلا في التحليل والتعليل.

وفي معرض حديثه عن البيان تراه يستشهد بكلام الرّماني: ((هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك))²، ويعزو إلى الجاحظ قصب السبق في ذلك، وعلو منزلته في كتاباته عن علم البيان في حين نجد أنه من الكتب التي ((تتعرض لبحوث البيان: الموازنة للآمدي، الوساطة للجرجاني وإعجاز القرءان للباقلاني، والعمدة لابن رشيق وهو أكثرها اتصالا بالبلاغة، وسر الفصاحة لابن سنان، وهو كتاب جليل في النقد والبيان والأدب، وإذا كان الجاحظ هو واضع أسس البيان العربي حقا فإن الجرجاني هو الذي رفع قواعده))³، وهذا لا يختلف فيه اثنان، إذ يعد الجرجاني الجامع لكل العناصر المختلف والمتفق حولها وبنائها على شاکلة النظم.

أما في تناوله لقضية النّظم، فيستهلّ حديثه انطلاقا من مقولة الجاحظ في المسألة و((أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم أنه أفرغ إفراغا واحدا ... و إذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ لذا سماعه، وخف محمله، وقرب فهمه وعذب النطق به وتحلى في

¹ - ابن رشيق، العمدة، م.س، ص 250.

² - م. نفسه، ص 254.

³ - خفاجي محمد عبد المنعم، الأسلوبية والبيان العربي، م.س، ص 28.

قلب سامعه...))¹ ، فلا ينفك البتة عن افتراق تفكير الجاحظ، أو من سبقه شريطة أن يكون في كلامه بعد نظر، وتحورا جيّدا للمسألة، فلا يأخذ من معين لا يعلم له أصل.

وبعد هذا العرض المختصر، عن المدرسة النقدية والبلاغية، التي اتخذت من الذوق الأدبي والفني الشيء الكثير في إرساء دعائمها، ومناشدتها الإعجاز القرآني بكل السبل المتاحة، من مدونات الكتاب وقصائد الشعراء؛ حيث امتازوا بأدب غزير وذوق سليم، فغدوا شعراء ونقاداً وبلغاء في آن واحد، ((فكان من نتائج تلك العوامل أن اتجهت البلاغة اتجاهها أدبيا بعيداص عن المدرسة الكلامية، وكانت لها خصائص واضحة تميزها عن المدرسة الأخرى))²، من حيث التوجه والتفكير والتأليف الذي أخضع لميزان النقد أكثر منه البلاغة.

وعليه فإن المرحلة الثانية في هذا الفصل تحديد متعلقات ومرجعيات المدرسة النقدية والبلاغية الفلسفية والمنطقية الرياضية المغربية.

¹ - ابن رشيق، العمدة، م.س، ص 257-258.

² - أحمد مطلوب، البلاغة و التطبيق، م.س، ص 32.

المدارس النقدية والبلاغية المغربية القديمة

2- المدرسة النقدية و البلاغية الفلسفية:

أ- المطرّف أحمد بن عميرة (-658هـ)

ب- حازم القرطاجني (-684هـ)

ج- ابن البناء المراكشي (-721هـ)

د- السجلماسي (-734هـ بالتقريب)

2 - المدرسة النقدية والبلاغية الفلسفية :

يبدو أن ازدهار الفلسفة الأرسطية في الأندلس* خلال القرن السادس الهجري خاصة، ((كان وراء ظهور مدرسة بلاغية، احتكّت بالتراث اليوناني، وتشرّبت بالمنطق الأرسطي بوجه خاص وغلب على هذه الدراسة، التجريد وبناء النظريات الكلية، التي تتيح استقصاء الجزئيات من فنون القول))¹ ولكن هذه الحركة النشيطة، كانت تابعة لنشاط المشاركة، وفيها استمرارية لحركة الترجمة التي عرفها القرنان الثاني والثالث الهجريين.

ساهمت هذه الحركة النشيطة، في عملية المثاقفة* التي غذّت المرجعيات البلاغية العربية بالموارد المعرفية القادمة من اليونان والهند وفارس، و التي عبّر عنها خلدون جمعة ((بالعلاقة بين ثقافة غازية وأخرى مغزّوة، ليست وحيدة الاتجاه، فالثقافة الأقوى غير قادرة على ابتلاع الأضعف بالضرورة، وبالتالي فالعلاقة بين التأثير والتأثر كما أراها، ليست مرتبطة ارتباطا نسبيا بمفهومي الضّعف والقوّة))¹، وعليه، فقد أوضحت مجالا للدراسة والتنقيح والتمحيص.

* - أفاض محمد عابد الجابري في مسألة ظهور الفلسفة بالشرق، ومن مثلها ما ظهر في المغرب والأندلس، وهي مقارنة تنم عن سعة إطلاعا وتمكن من المادّة العلمية، وإن كان قد حرص على إضاءة بعض الجوانب المعتمدة في تراثنا الفلسفي، فإن هذا ما ترومه الدراسة الحقيقية والعلمية لمثل هذه الفجوات والعوالم المظلمة. ينظر الجابري، نحن والتراث، من الصفحة 55 إلى نهاية الكتاب.
¹ - عباس أرحيلة ، الأثر الأرسطي، في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود ق8هـ، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ط1، 1999، ص 634.

* - المثاقفة بمعنى عمليات التبادل الفكري والثقافي بين الثقافات، وليس بالمعنى الإمبريالي الذي يحددها بالعلاقة بين ثقافة متفوقة وأخرى ضعيفة، ينظر: زياد الزعبي، "المثاقفة وتحولات المصطلح النقدي"، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد36، الكويت، 2007، ص 255.

¹ - خلدون جمعة، "المثاقفة كوعي للحدث"، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي عدد:48-49، بيروت/باريس، 1989، ص 109.

ومن هنا نشأ الخلاف بين النقاد والدارسين، حول مدى التأثير الذي لحق المسلمين جرّاء هذا الوافد الجديد على الثقافة العربيّة، يقول إحسان عباس: ((وإذا استثنينا الجاحظ في القرن الثالث وجدنا أنّ هذه الثقافات المختلفة لم تترك آثاراً عميقة في البلاغة والنقد))¹، ويوافقه على هذا الطرح شكري عياد، في معرض حديثه عن التيار اليوناني.

أما الذي يهّمنا من بين هذه الثقافات والمرجعيات، هو ما تناقلته الأعلام العربية عن اليونان والمتمثل في كتابات أرسطو [فن الشعر] و [الخطابة]* ؛ أما ((كتاب الشعر فقد ترجمه إسحاق بن حنين -) 298هـ، وأعاد ترجمته متى بن يونس القنائي (328هـ)، ويذكر صاحب الفهرست أن الكندي (-260هـ) في أوائل القرن الثالث اختصر كتاب الشعر وأن الفارابي (339هـ) فسر كتاب الخطابة، ولكن ((شروح الفلاسفة العرب - الفارابي وابن سينا وابن رشد- للكاتبين كان لهما الأثر الملائمة بينهما وبين الأفكار العربية))¹، ومن هذا القول نقف على ما يلي:

- إن التيارات الفكرية الغربية دخلت البلاد العربية بعد التوسّع الإسلامي.

¹ - إحسان عباس، تاريخ النقد، م.س، ص 187.

* - ساد الاعتقاد إل غاية الثلاثينيات من القرن الماضي أن الظواهر البلاغية و مصطلحاتها عربية النشأة والجدور، إلا أن هذا الاعتقاد اهتز بالمؤتمر الثاني عشر للمستشرقين 1931، أين قوض طه حسين كل ذلك وربط كل ما جاء من الجاحظ حتى القرن الخامس الهجري بالبيان اليوناني متمثلاً في -- كتاب الخطابة الأرسطي خاصة مع قدامة بن جعفر وابن المعتز، وليس طه حسين وحده بل تلاه أمين الخولي ومحمد مندور وغيرهم. ينظر السيد شفيع، فن القول بين البلاغة العربية وأرسطو. ص 185 وما بعدها . و رد على هذه المزاعم كلا من 'عبد الرحمن بدوي' و'شكري عياد' و'ابراهيم سلامة' بتحفظ شديد ومن المغاربة : 'عباس أرحيلة' و 'علال الغازي' و'أحمد الطرابلسي' وغيرهم، ولكن وقع هؤلاء في فخ ابعاد الشبهات عن البلاغة العربية حتى تناسوا فعلاً التأثير الأرسطي الحقيقي في الدرس البلاغي ومنهجية بناء الدرس البديعي في تقسيماته وتبويبه على نمط محدد، وهو ما سنوضحه لاحقاً في المتن.

¹ - شكري عياد، البلاغة والنقد، ص 33، كما ينظر: مقال الأستاذ عباس أرحيلة، كتاب الخطابة لأرسطو في الثقافة العربية مجلة علامات، جدة، ج 29، مج 9، بتاريخ جمادى الأولى 1419هـ. / سبتمبر 1998، ص 311 .

- ساهمت الترجمة في تفسير الفكر الوافد بكل حمولته المعرفية.
- كان للثقافة اليونانية الأثر الأبرز على الساحة النقدية والبلاغية العربية انطلاقا من دوافع مختلفة لا يسع المجال لذكرها.
- الفلاسفة المسلمون شكلوا نواة التعامل الفعلي مع المعرفة الجديدة، على مستوى التشكيل والتصنيف، و التقريب من المتلقي العربي بكل أطيافه و أصنافه.
- ولقد كان لابن سينا(428هـ) وأتباعه الفلسفي . مثلا . آثاره الباقية في توجّه الكثير من علماء البلاغة والنقد، في خراسان والمشرق والمغرب، ((بدت عليهم ملامح من الفكر الأرسطي في كتابة الشعر إما مباشرة، أو بواسطة مؤلفات ابن سينا))¹ ، أما ابن رشد (-595هـ) فقد بدت آثاره بادية على بعض الأعمال النقدية والبلاغية المغربية ، وإن بدرجات متفاوتة.
- وركحا على ما سبق، فقد وجدت هناك مدرسة أندلسية مغربية فلسفية، تتجلى في ابن رشد وتلامذته، على أن ((هذه المدرسة لها خصائص تشترك فيها مع المدارس الفلسفية المشرقية ولها مميزات خاصة بما فرضها المحيط الجغرافي والصورورة التاريخية والاجتماعية... خصوصا ما يتعلق منه بنظرية التحديد والقياس وأنواعه وعلائق القضايا))¹، وشكّل هذا التناغم ما بين المنطق الرياضي و التناسب الدلالي والمنطق الأرسطي وسطا علميا، امتاز بفرادة العصر، ودرّة العلوم على مدار قرون من الزمن، على الرّغم من الظروف السياسية، التي ما فتئت تقوّض الفلسفة، التي رأت إليها من وجهة نظر معادية، ولكن

¹ - محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغي، م.س، ص 296 - 302.

¹ - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، م.س، ص 19.

انبرى هؤلاء التفرد نحو محددات ابستمولوجية أخرى، أثروا من خلالها المكتبة المغاربية بأبهر التصانيف وأمتع المدونات، التي صنعت تاريخ القوم وتاج فنونهم.

فقد تمكن ابن رشد بفضل القياس البرهاني من شرح وتفسير ((النص الأرسطي* ، لأن هذا المنهج يقوم على مقدمات يقينية واضحة، وبترتيب هذه المقدمات ترتيبا منطقيًا، يسهّل على القارئ إدراك النتيجة وفهمها... كما تمكن ابن رشد من تخليص النص الأرسطي من كل ما هو غامض على مستوى اللفظ والمعنى، إذ استبدل بعض المصطلحات الغامضة غير المتداولة آنذاك بمصطلحات متداولة))¹، وهذا مطلب كان قد أمر به لحاجة في نفس يعقوب؟.

ويذكر محمد بن شريفة، محقق كتاب المطرف أحمد بن عميرة إن: ((ابن عميرة والقرطاجني والسجلماسي وابن البناء، يمثلون اتجاهًا جديدًا في التأليف البلاغي، ويقدمون اجتهادًا خاصًا في التناول، وهم يجمعون بين المأثور البلاغي والتراث اليوناني الأرسطي، وذلك بواسطة ابن سينا والفارابي وابن رشد* على وجه الخصوص))¹، وإن كانوا يختلفون في الطرح والتنظير.

* - غير أن مما يؤخذ عليه ابن رشد ربطه الفلسفة بالبرهان مما أدى إلى تصور الفلسفة علما خالصا ، ومن ثم تعاليها عن النقد واتخاذها المعيار الوحيد لتقييم أي فكر ، وعدم تمام الترجمة الحقيقية لبعض المصطلحات الأرسطية..

ينظر: محمد المصباحي، الوجه الآخر لحدائث ابن رشد ، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1998، ص 72.

¹ - فتيحة فاطمي، قراءة ابن رشد للنص الأرسطي، ضمن كتاب جماعي بعنوان، أرسطو في الفلسفة العربية الإسلامية² فلاسفة المغرب، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر، ط1، 2001، ج 2 ، ص 112 .

* - ينصّ الجابري صراحة على أن (المشروع الفلسفي لابن رشد يقوم على أساس الفصل بين الفلسفة والدين، حتى يتأتى الحفاظ على لكل منهما على هويته الخاصة، ويصبح في الإمكان رسم الحدود وتعيين مجال كل منهما، م جهة، والبرهنة من جهة أخرى على أنهما معا يهدفان إلى نفس الهدف) ينظر: الجابري، نحن والتراث، ص 213.

¹ - ابن عميرة، التنبيهات على ما في التبيان من التموهيات، تقديم وتحقيق: رضوان بن شريفة ، دار النجاح الدار البيضاء المغرب، ط1، 1991، ص9. وأضاف ابن شريفة أنه كان من جملتهم: (ابن القويح التونسي، محمد بن رشيد السبتي في مؤلفه: إحكام التأسيس في أحكام التجنيس، وابن شريف الزندي، وشرف الدين المرسي في كتابه: كتاب في البديع والبلاغة).

وسنركز الاهتمام في هذه المدرسة الفلسفية، على هؤلاء الأربعة، الذين تداخلت أنساقهم المعرفية من حين لآخر، فضلا عن اشتراكهم في المنطق الصوري بأشكاله المختلفة والأقيسة المتنوعة يقول عباس أرحيلة في هذا المقام: ((ازدهرت الحياة الفكرية في العهد الصنهاجي، حين أصبحت القيروان واسطة العقدة بين الشرق والغرب وعرفت حركة علمية مزدهرة، في ميدان الطب والرياضيات والكيمياء))¹، فنبغ من العلماء نفر كبير، وزادت التأليف المغربية على اختلافها، بعد انحسارها في المشرق.

يحاول الأستاذ عباس أرحيلة في هذا المجال، إبعاد شبح الفلسفة عن البلاغة المغاربية والعربية والتقليل من شأنها، فضلا عن محاولته إيجاد طريق يخرج من خلاله النقد من برائين المنطق الرياضي ولكن ما من سبيل إلى تحرير هذا الأمر من مرجعياته.

حقيقة هي مدارس أصيلة من ناحية المد العربي والمنشأ الإسلامي، وإن كانت تلقفتها مجموعة من العوامل أعادت رسم الخريطة البلاغية والنقدية من جديد، فأنتى له ذلك وهو القائل في معرض حديثه عن المدرسة البلاغية المغربية وخصائصها، ((إنَّ ازدهار الفلسفة الأرسطية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري خاصة، كان وراء ظهور مدرسة بلاغية احتكت بالتراث اليوناني وتشربت بالمنطق الأرسطي بوجه خاص وغلب على هذه المدرسة التجريد وبناء النظريات الكلية التي تتيح استقصاء الجزئيات في فنون القول))¹، ثم يأتي بعد هذا القول ويقلّل من التأثير، خصوصا فيما كتبه من كتب بعد رسالة الدكتوراه هذه.

¹ - عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي، م. س، ص 538.

¹ - عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي، م. س، ص 634.

ولما كان لنا معه لقاء، اعترف لنا بوجود قطب يحاول أن يفسخ البلاغة العربية عن مرجعياتها العربية المتأصلة ويلحقها باليونان، ولكن لم ينكر التأثير الواضح للعلماء العرب بالفكر الأرسطي الرياضي والصوري، من باب التقليد على حد توجهه.

ولا ريب في أننا لا نتوجه الشُّرعة التي تؤمن هذا الإيمان، ولا في كون البلاغة العربية إنما هي فلسفية محضة، وإنما لا يجب إنكار المدرسة الرشدية وما فعلته بالمريدين، على الطريقة الصوفية.

ولا نشك أن هذه المدرسة، أعادت النظر في التأويل على مستوى الشواهد البلاغية القرآنية مباشرة بعد أبو حامد الغزالي (505هـ) الذي مال إلى نوع من المصالحة والمهادنة مع المنطق، وثم الثورة التيمية (ابن تيمية الحراني) التي ألحقت المنطق بالسفسطة التي لا طائل من ورائها، وكان ابن خلدون قد أفاض في التعريف بهذه الأمور في مقدمته، وساق جملة من الأدلة على صحة مداركه.

ولو حاولنا تقييم جهود ابن رشد من منظور آخر، لكان أحسن للدرس البلاغي الأندلسي والمغربي على الأخص ((في محاولة تمثله الفكر البلاغي والنقدي لأرسطو، وعدم الاكتفاء بتزديد مقولاته ومصطلحاته ولكن محاولة إنعاش التفكير النقدي والبلاغي العربي من خلال محاولة إيجاد تصور مواز تصك له المصطلحات المناسبة له)).¹، ومنه تحديث المنطق البلاغي العربي والمغربي وهو نتيج سار عليه ابن رشد والقرطاجني ومن في شاكتهما.

أما القرطاجني فقد قال فيه محققه، الحبيب بن خوجة، بأن كتابه يصور بغاية الوضوح التأثيرات

¹ - أحمد درويش، النص البلاغي في التراث العربي والأوربي، دار غريب للنشر، القاهرة، (د ط)، 1998، ص، 33. كما ينظر محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، م . س، ص 266-267.

اليونانية في صناعة النقد عند العرب، وجاء بعده محقق السجلماسي الأستاذ علال الغازي* يعضد ما ذهب إليه سابقه، في أن كتاب المنزع يمثل اللقاء العضوي بين العرب واليونان. ثم تلتها مجموعة من التحقيقات للتراث المغربي الذي ينم عن اتصال وثيق ما بين العرب واليونان خاصة ما تعلق بالمنطق الصوري والحدود والتناسب والأقيسة.

أ-المطرف أحمد بن عميرة(-658هـ):*

لابن عميرة مكتبة نقدية وبلاغية ونحوية ثرية، ولكن يبقى البحث في أسرار هذا النابغة المغربي قليلة بالمقارنة مع جلّائه المشاركة، ولا نعلم ما السبب في ذلك؟.

لم يؤلّف ابن عميرة كتابا في البلاغة، أو تجنيس البديع، وإنما يعد كتابه [التنبيهات على ما في التبيان من التموهيات] ردا منطقيا مقنعا على معاصره ابن الزملكاني (-651هـ)، في كتابه (التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن)*، حيث حاول ابن عميرة مناقشة بعض القضايا والشواهد النقدية والبلاغية والنحوية، التي أوردها ابن الزملكاني، فلذلك ((لم يوضع كتابه في معالجة قضايا البيان العربي

*- علال الغازي محقق [المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع]، وله مقال ذكر فيه أن هذه المدرسة لا توأكب الشرق في الروح والأسلوب والمنهاج، وأن الفلسفة اليونانية قد امتزجت برواد المدرسة فلم تعد هنا ازدواجية، بل وأوضح مسألة مهمة، وهي أن النقد القديم اتخذ منعطفًا آخر بعد توظيفه المنطق الأرسطي. أعمال ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية، نشر كلية الآداب بالرباط 1385، ص 389، كما ذكرها عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العرييين، ص 635.

• - أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي شقوري الأصل، يكنى أبو مطرف، ولد بجزيرة شقر في رمضان سنة 582هـ، زار بجاية في طريقه إلى تونس أين توفي بها في الجمعة 20 ذي الحجة 658هـ، من مؤلفاته التنبيهات على ما في التبيان من التموهيات، كتاب المعالم على الفخر الرازي، وغيرها. ينظر: أحمد بن القاضي المكناسي (960هـ)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقية، الرباط 1973، ج1، ص 146 وما بعدها.. كما ينظر، الزركلي، الأعلام، ج1، ص 159.

*- الكتاب حققه الدكتور أحمد مطلوب وحديجة الحديشي، بغداد، مطبعة العاني، ط1، 1964، ويعد هذا الكتاب شرح لدلائل الإعجاز، مع إعادة ترتيب وتبويب المقاييس البلاغية المحتواة في الدلائل، وجمع مقاصده وقواعده وضبط مجاميعه وجوامعه.

برؤية محددة، وإنما جاء لمراجعة ابن الزملاكي، وإن حاول أن يقدم ملاحظات عامة في بعض القضايا أثناء متابعته لتلك الجزئيات¹، ولكن تحصلت لدينا جملة من القضايا البلاغية والأحكام النقدية المعللة من وراء هذا العمل النقدي.

ولعل هناك ضابط آخر، جعل ابن عميرة ينكب على هذه المدونة البلاغية وينقدها، بل وأكثر من ذلك حاول دحض كل الشواهد التي ألمّ بها ابن الزملاكي، وأرجعها إلى جملة من القضايا المنطقية التي لا يجب إغفالها، وهو ما سنقف عليه في هذا الملخص.

لقد أورد محمد مفتاح مسألة تداخل الأنساق المعرفية، وأثرها في فكر ابن عميرة والتي من خلالها تمت مناقشته لرؤية ابن الزملاكي، حول عديد من القضايا، يقول محمد مفتاح: ((إن تداخل الأنساق وتغليب نسق على آخر، هو الذي كان وراء جدّة مناقشة ابن عميرة لابن الزملاكي))¹، وفي حديثه عن طبيعة المعالجة التي أفردتها للغة والبلاغة، معرّجا على ذكر طبيعة الكتابين، يقول: ((فقد عالج هذا الأخير البلاغة في إطار يتحكم فيه الذوق ومرونة اللغة الطبيعية والقواعد النحوية، التي لا تسمو إلى درجة القواعد المنطقية، وآراء نقاد الأشعار وبعض القواعد الأصولية. وأمّا ابن عميرة فيرى أنّ النسق المنطقي لا يعلى عليه... منطلقات الرجلين، إذن، بينهما خلاف كبير))²، وهذا فعلا ملمح نراه من

¹ - عباس أرحيلة، مقال بعنوان: مسألة التأثير الأرسطي في البلاغة المغربية، من خلال كتاب التنبهات لابن عميرة مجلة المناهل، المغرب، العدد 54، السنة 22، ذو القعدة/مارس 1417هـ، ص 284.

¹ - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، ص 20، ولا بد من الإشارة أننا اعتمدنا اعتمادا كلياً على 3 مراجع في مناقشة فكر ابن عميرة، وهذا لانعدام المراجع التي ناقشت كتابه، بالرغم من اجتهادنا في البحث عنها، كما أنه يقصد بالأنساق المعرفية جملة العلوم التي كانت سائدة: (المنطق الصوري، أصول الفقه، أصول النحو، النقد الشعري، البلاغة). مفتاح: ص 20.

² - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، م. السابق، ص 21.

خلال الردود المنطقية واللغوية التي أفردها ابن عميرة للرد على ابن الزمלקاني، الذي خصّ النحو دون غيره بالدراسة، من حيث علاقته بتوضيح المعاني التي في الأذهان.

إن المحدثات المنهجية التي اتكأ عليها كلا العالمين، تتنافس على تبيان المقصود من الشواهد التي جعلها ابن الزملكاني* محور دراسته، ولا نغفل جانباً مهماً في هذا الصدد، وهو المرجعية الفلسفية لابن عميرة، والتي حددها شيخ المحققين للكتاب، حيث صرّح في غير ما موضع، أن ابن عميرة، تشبع بالعلوم القديمة التي اتخذت من الفلسفة منطلقاً لها، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه أخذ العلم عن ابن الشلوين (645هـ) أحد تلامذة ابن رشد، وشيخ القرطاجني .

ولقد جاء في كلام كلٍّ من محقق الكتاب وعباس أرحيلة، أنّ ابن عميرة كان ملماً بتلخيصات أرسطو في فن الخطابة والشعر، فقد قال الأستاذ محمد بن شريفة محقق الكتاب، في معرض تبيانه لقيّمته ومرجعياته أنّه ((ثاني مجهود أندلسي في سبيل المزاجحة بين البلاغة اليونانية والعربية أو محاولة تطبيق الأولى على الثانية))¹، في حين يرجع عباس أرحيلة أصول كتاب ابن عميرة إلى ما أخذه واقتبسه من ابن سينا (429هـ) وابن رشد (595هـ)* وغيرهما، حيث استفاد من مصطلحاتهما وشروحهما لأرسطو، وما

* - هو عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري الزمלקاني، أبو المكارم كمال الدين، ويقال له ابن الخطيب، توفي بدمشق، سنة 651هـ، من مؤلفاته: التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، الخصائص النبوية وغيرها. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4 ص 176.

¹ - ابن عميرة، التنبهات على ما في التبيان من التموهيات، م.س، ص 31 (كلام المحقق).

* - لقد اتخذ عباس أرحيلة موقفاً من الكتاب ومسألة التأثير الهليلي فيه، سواء من خلال مقالاته - في مجلة المناهل السابقة- أو في التصريحات، ولو تيسر لنا كتاب المحقق محمد بن شريفة الموسوم ب: ابن عميرة حياته وآثاره لكان لنا اطلاعاً آخر على هذه المسألة عن كتب، ولكن وجدنا أن نسخ هذا الكتاب قد نفذت في المكتبات المغربية، وقد طلبنا من عباس أرحيلة أن يمدنا بما، في القريب العاجل، حتى نكون على بينة مما قيل وما يقال، خصوصاً وأنا مقصرون في خدمة التراث النقدي والبلاغي المغربي بوجه عام.

كان منه إلاّ نقل هذه المعارف إلى الدرس البلاغي ومحاوره ابن الزمكاني.

إن استعمال ابن الزمكاني للأدوات النحوية في التقسيم، بخلاف ابن عميرة الذي يستند إلى الآليات المنطقية جعل من الدرس النقدي متنوعاً، والبلاغي يتقدم، ويأخذ من المنطق غايته التي بها بات أهم غرض فيه، هو كيفية التنصيص والحكم على الأمثلة التي بين أيدينا، والتعليل والتدليل على صحتها، فإنّ ابن عميرة يرى أنّ القواعد الإعرابية لا تجدي في الكشف عن ((معاني الكلام وجماله، أو أنّها ليست من مسببات الجمال فيه))¹، على نحو يجعلنا نعيد النظر في الكثير من القضايا ذات التوجه الفقهي والبلاغي والنحوي، ممّا أثار استغراب واستفهام النحويين، في سلكه هذا التوجّه الفريد في زمانه. وعلى هذا الأساس، فإنّ كتاب ابن عميرة ((ليس كتاباً في المنطق، وإنما وظف بعض العناصر في النظرية القياسية الأرسطية مثل التصور والتصديق، وعلائق القضايا فيما بينها سيرا مع ما شاع لدى المناطق والأصوليين))¹، من أمثال الغزالي والشاطبي ونحوهما، ولكن فاق التوجه المغربي التوجه المشرقي، في مسائل إلحاق النسق المنطقي بكل العلوم، وبالتحديد عند المدرسة الفلسفية، حيث ((لم يقنع النسق النحوي والنقدي والأصولي ابن عميرة في الوصف والتفسير والتأويل، ولقد غلب عليه النسق المنطقي))²، الذي رد به مفهوم المخالفة، إلاّ العالي الدرجة الذي قال فيه: ((... المعروف في أصول

¹ - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، م.س، ص 22.

¹ - التلقي والتأويل، م . السابق، ص 23 ، ونود أن نشير إلى أن محمد مفتاح أفاض في هذه المسائل المتعلقة بالتنبيهات في كتابه التلقي والتأويل، وما جاء به في ثنايا حديثه عن الاستدلال وهيمنة النسق المنطقي لدي ابن عميرة، وزاد أرحيلة عباس من إنارة هذه الزوايا التي تحتاج بدورها على إعادة التناول من منظور القراءة الحديثة.

² - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، م.س، ص 23.

الفقه بمفهوم المخالفة، لكنه في أعلى مراتبه إذ هو ضروري للزوم¹، وأقسام الاسم الجامد والمشتق، وتأويل الكثير من الآيات التي اتخذها ابن الزمكاني نموذجاً، في التحليل والتعليل.

*- ابن عميرة ومسألة التعريفات والتصورات:

إن مسألة ضبط المصطلحات النقدية والبلاغية، تقتضي حتماً الوقوف على التحديد المعرفي للمصطلح، ضمن إطاره المعرفي الخاص والعام، وفي صيرورته التي تتوافق والبناء الاستمولوجي الذي يندمج فيه المصطلح، تبعاً للانفصال أو الاتصال داخل المنظومة الأدبية أو المنطقية الكلية ذلك أن ((نقاداً كبيراً مثل حازم و السجلماسي وابن البناء ومن داخل في شاكلتهم، آمنوا بوحدة المصطلح في الممارسة النقدية، كما آمنوا بنفس الوحدة في الممارسة الإبداعية، ونظروا بغير النظرة التعليمية التي جنت على البلاغة والنقد معاً¹، وهذه طبيعة المدرسة المنطقية، التي تبحث عن طبيعة المصطلح ودلالته المفهومية، ومدى تطابقه مع ما في الذهن والواقع العملي.

ومن هنا، نصادف ابن عميرة يركز على مسألة التعاريف، ويشترط لها جملة من الشروط أولها: ذكر ((الصفات الذاتية والعرضية الخاصة والعامية²)) للمفردة، مع وجوب ذكر، ماهية الشيء عينه، وما تحد به المفهوم في الأعيان والأذهان، بعيداً عن المشترك، أو المترادف، يقول ابن عميرة: ((ومنها ما هية تشتترط فيها الوحدة من غير تعرض لتجريد أو خلط، وهذا الأخير هو الذي يجري في استعمال الفقهاء

¹ - ابن عميرة، التنبهات، م.س، ص 92 وما بعدها، في رده على تأويل آية من القرآن الكريم.

¹ - علال الغازي، مناهج النقد الأدبي بالمغرب، خلال القرن الثامن للهجرة، المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط1، 1999، ص 22.

² - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، م.س، ص 24.

إذ هو الذي يقع عليه الطلب... وامتثال الأمر به إذ لا يمكن التعبد إلا به¹، وهكذا نقلت آليات التعريف الأرسطي، بكل إشكالاتها إلى البلاغة العربية، كما ظهر ذلك عنده في تحديد الكناية والمجاز المرسل والاستعارة، وحتى بعض التخريجات في التأويل.

ولقد اعتمد خطاظة منطقيّة في منهجيّة التصورات والتحديدات والتعريفات، لم يكن الهدف من ورائها ((تطويع المفاهيم وتكييفها حتى يتمكن من التفسير والتأويل))²، ولكن للاستعمال الصحيح، فقد نقل معظمها من ابن سينا وابن رشد، وحاول تقريب الفهم المصطلحي لمباحث البلاغة انطلاقا من: - اسم الجنس - اسم النوع - فصل النوع - الانتماء.

ولتوضيح المسألة والرؤية، يورد الأستاذ عباس أرحيلة، مجموعة من الأمثلة التي ساقها ابن الزملكاني، والتي أبانت عن اتباع ابن عميرة لردود عليها، وفق ما اخترع عنده من شيوع لتأثير الخطابة السينوية و الرشدية على حد تعبير - الجابري، في كتابه نحن والتراث -، ومنها بيت زياد الأعجم في باب الكناية* في قول الشاعر :

إِنَّ السَّمَاخَةَ وَالْمُرْوَةَ وَالنَّدَى
فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجِ¹

¹ - ابن عميرة، التنبيهات، م.س،ص 69.

² - ينظر: محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996، ص 6.

* - يرى بيار جيرو أن الكناية كالمجاز المرسل قائمة على انتقال الاسم عبر تجاوز المعنى وقوام هذا الانتقال أن يعنى الجزء على أنه الكل والمحتوى على الشيء المحتوى، والأداة على أنها الفعل، وهذا التجاور قد يكون مكانيا أو زمانيا ويكون أيضا سبب . وهو المقصود عند ابن عميرة .. ينظر: عبد الواحد حسن الشيخ، العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي ، مكتبة الإشعاع الفني، ط1، 1999، ص 25.

¹ - عباس أرحيلة، مسألة التأثير الأرسطي في البلاغة المغربية، م.س،ص286، ولقد شرحها ابن الزملكاني بقوله: (السماحة والمروءة والندي مجموعة في ابن الحشرج، ومقصورة عليه، فالقبة كناية على دخول الأوصاف السابقة تحتها، وجاء بما يقوي توجهه من بيت

ولبلوغ غاية الإفهام، أردف على هذا الدليل بيت حسان بن ثابت، أين تساءل ابن عميرة عن مفهوم الكناية، ومسألة الإلحاق بالفعل أم بصفة الفعل؟، كما هيمنت على استنتاجاته وفرضياته العلائق بين القضايا، سواء أكانت حملية بنوعيتها: المثبتة والنافية، أو شرطية بأنواعها الثلاثة: المتلازمة والمتعاندة والمقترنة.

إن الرّهان الذي كان يسعى ابن عميرة جاهدا لكسبه، على حد تعبير محمد مفتاح. هو الحاجة الملحة لاعتماد المعايير العلميّة السليمة على المقدمات البرهانيّة، تليها في الترتيب المقدمات الجدلية والخطابية، من أجل غاية واحدة، حتى وإن كانت مشتركة بين البلاغيين المغاربة على اختلافهم الفكري، فإنها مقيدة بصفة العلمية الدقيقة، ألا وهي تفسير وتأويل آي القرآن الكريم بما تحتمله الأوجه السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، فلا يكون الحديث عمّا تعمّ به البلوى واختلاف الأدلة .

يقول محمد مفتاح في ختام حديثه عن تداخل الأنساق المعرفية في تحديدات ابن عميرة، وتمثّلاته الأرسطية في توجيه بلاغته المنطقية الجديدة، التابعة من قوانين التأويل لدى ابن رشد في كتابه (فصل المقال) إنّ ((الرّهان الأول هو تقنين التأويل وخصوصا تأويل القرآن حتى لا يقال فيه بغير علم... وأما الرّهان الثاني فكان صياغة قواعد بلاغية مختصرة يمكن أن تتعلم وتُعلّم لحوك خطاب فعال يمكن أن يحقّق وظائفه الدينية... والوظائف الدنيويّة))¹.

وجدير بالذكر أنّ توظيف ابن عميرة لمفهومي: التّناسب والتّبديل، غير من خلالهما الكثير من

حسان بن ثابت، وما كان أن رد عليه ابن عميرة بوجود اختلاف في: الإسناد بين الفعل وفاعله، في البيتين، بين المجد والبيت، في قول حسان، وبين الأوصاف والقبة في البيت الأول. والمجاز والكناية، والمسكوت والمنطوق به.

¹ - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، م. س، ص 39.

التقسيمات البلاغية، منها الاستعارة التي رفض تقسيمها وألحق التشبيه البليغ بها، يقول: ((والتشبيه يجري مجرى الاستعارة))¹ و التمثيل الذي وسمه بأنه لامعنى له، فضلا عن رفضه القاطع للمجاز الإسنادي الذي جاء به ابن الزملاكاني.

ومن حسن تدبير ابن عميرة، و دقة اشتغاله داخل معترك الدرس البلاغي أنه جعل ((من أقسام البلاغة قسمان كبيران؛ أولهما: الاستعارة بما تحويه من تشبيه وتمثيل؛ وثانيهما الكناية؛ فعن طريق الاستعارة يتجاوز الشاعر المؤلف، ... وهكذا حافظ ابن عميرة على المنطلقات البلاغية الأصيلة لتحافظ البلاغة على الوظائف التي أنشئت لأجلها وهي التواصل والإقناع والإمتاع))¹، على اعتبار ما جاء في تعريفها الأولي، وتماشيا مع توظيفها في الأداء الكلامي بين المتخاطبين، ونظير ما انفرد به في التوضيح وتعريفها بقوله: ((صناعة تفيد قوة الإفهام على ما يريد الإنسان أو يراد منه، بتمكن من إيقاع التصديق به وإذعان النفس له... واستدعاء المخاطب إلى فضل تأمل وزيادة تفهم...))²، وهي دعوى إلى التمسك بالقواعد المنطقية من أجل التدليل على صحة القول، وقوة إيصاله إلى السامع (المتلقي).

¹ - ابن عميرة، التنبهات، م.س، ص 59 وما بعدها. وقد فرق في معرض الرد هنا ما بين الحقيقة والمجاز جريا على غير المعتاد عند البلاغيين من حيث الدلالة على المعنى. ينظر للاستزادة والتفصيل. ص 61 وما بعدها.

¹ - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، م.س، ص، 37-38.

² - ابن عميرة، التنبهات، م.س، ص 113 وما بعدها.

ب- حازم القرطاجني (-684هـ):*

بعد اطلاعنا على ما جاء به ابن عميرة، من ردود نقدية وبلاغية، ومحاولة تأسيسه نظرية تأويلية، تقوم على المنطق الصحيح، وتتجاوز آلية النحو، التي أراد أن يبين لنا من خلال ردوده عليها أنه لا يستقيم التأويل عند اتخاذ منهجا وحيدا، من دون الاستعانة بغيره من المناهج الأخرى، ها نحن نقف على شخصية فذة في التراث المغربي على وجه العموم، والذي أصّل للمصطلح النقدي من وجهة نظر مخالفة تماما لما وجدناه عند سابقه، وإن كانت المنطلقات واحدة، فإن التنظير ومبدأ اتساع المصطلح، وشمولية الخطاب الشعري لدى المنشئ والمتلقي على حد سواء، مختلف عن من سبقوه.

وعليه، فإنه لا يكاد ينتهي القرن السادس الهجري حتى يظهر ((التأثير اليوناني على أتم صورة عند حازم القرطاجني صاحب منهاج البلغاء، وهذا الكتاب قمة من قمم النقد في العربية ... فيوازن بينه وبين غيره ... وربما وُلد من الفكرة القديمة أفكار جديدة، وإن غلبت على الكتاب صفة البحث النظري))¹، والتطبيقي في المباحث النقدية وتطعيمها بما هو منطقي.

لقد قسّم القرطاجني الكتاب إلى أربعة أقسام: قسم للألفاظ، وقسم للمعاني، والثالث للنظم أما الرابع فهو في الطرق الشعرية، حيث يعتبر عمله ((تكميلا لعمل الحكماء الذين تناولوا موضوع الشعرية، وذلك من حيث نظره في الكليات، على ضوء متن إضافي غني و تخصيصا له من حيث توجيه

* - في سنة 1966 ظهر كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني (-684هـ) محققا تحقيقا علميا ، بعدما نال صاحبه محمد الحبيب بن خوجة درجة الدكتوراه من جامعة باريس في يونيو حزيران 1964 تحت إشراف المستشرق ريجيس بلا نشير (-1973م).

¹ - شكري عياد، البلاغة والنقد، م.س، ص36 و ينظر: إحسان عباس، تاريخ النقد، م.س، ص 543.

القوانين البلاغية نحو ضبط الخصوصية الشعرية))¹، فضلا عن تحديد الكثير من المصطلحات التي تخدم التوجه التي ارتضته المدرسة النقدية الفلسفية المغربية.

ولا شك في أن القرطاجني استفاد من ابن سينا وابن رشد في تحديد ماهية الشعر، ثم ماهية الغرض من الشعر ووظائفه، فقد جاءت من خلال اطلاعه على عمل ابن سينا في الشعر، ولذلك فلا بد في هذا الصدد من الربط بين حازم وابن سينا لأن كلاهما مرتبط معا، وهذا الارتباط ((ينبع من كونهما ينظران إلى الشعر من جهة فوائده ومنافعه...))².

* - المصطلح عند القرطاجني:

يلح الكثير من الباحثين، على أهمية المصطلح في أي دراسة علمية، أو أدبية، ذلك أن ((التعاسة بين بني الإنسان في هذه الدنيا تعزى أولا وقبل كل شيء، إلى تباين الناس في دلالة الألفاظ واختلاف فهمهم لها، وافتقاد الأسس والمقاييس المشتركة في أذهانهم نحو تلك الدلالة))¹، هذا الإحساس بقيمة المصطلحات، وحرص القرطاجني على استعمالها في مواطنها، دفع الباحث الشاهد البوشيخي للقول إن ((دراسة المصطلحات من أوجب الواجبات وأسبقها وأكدها على كل باحث في أي فن من فنون التراث، لا يقدم - ولا ينبغي أن يقدم - عليها تاريخ ولا مقارنة، ولا حكم عام ولا موازنة، لأنها الخطوة الأولى للفهم السليم الذي عليه يبنى التقويم السليم))²، ولا عبرة بغير التعامل مع

¹ - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، م.س، ص 498.

² - جريجور شولر، نظرية الأدب الأرسطية العربية، م.س، ص 37.

¹ - ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، المكتبة الأنجلو المصرية، ط 2، 1963، ص 9-10.

² - الشاهد البوشيخي، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ بيروت، دا الآفاق الجديدة، ط 1، 1982،

المصطلحات والعناية بتوظيف مفاهيمها على أحسن وجه، فغاية العلم إنما توضيح المسار المفاهيمي لجملة من الاصطلاحات التي قد تقرب الفهم أو تشد القاعدة، فتكسر أفق انتظار المتلقي.

فإذا [كانت دراسة المصطلحات من أوجب الواجبات، عند الاقتراب من عوالم التراث بغضّ النظر عن خصوصياته ولغته، فما بالك بخطاب نقدي ييوى المصطلح مكانة سامية، كما هو الأمر بالنسبة لحازم القرطاجني؟ وهذا ما تفتن له علي لغزيوي، عند دراسته مناهج النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق، خلال القرنين السابع والثامن للهجرة، في معرض الحديث عن إشراكه للتعريف الاصطلاحية¹ يقول: ((لم يفتني الوقوف عند المصطلحات النقدية الكبرى تعريفا ودراسة، في سياقها العام، باعتبار أن المصطلح هو عمدة الخطاب النقدي والبلاغي، ومفتاح النص ولاسيما بعد أن تبين لي أن هناك وعيا كبيرا وعميقا بأهمية المصطلح عند النقاد والبلاغيين الأندلسيين))².

ويكشف لنا الباحث نفسه في معرض آخر، أهمية تلك الدراسة المصطلحية عند حازم القرطاجني خاصة، بقوله: إن ((مصطلح حازم يتميز بخصوصيته، لكونه مرتبطا ببنية كتابه ومنهجه، مما يجعل دراسته ضرورة ملحة لفهم نظريته))³، ذلك أن المصطلح ذاته يساهم في عملية التواصل بين المتكلم والمخاطب وبين المبدع والمتلقي.

ويرى سعد مصلوح أن ((المصطلح هو عقد اتفاق بين الكاتب والقارئ وشفرة مشتركة يتمكنان من إقامة اتصال بينهما لا يكتنفه غموض أو لبس، ولعل فوضى المصطلح هو الداء العضال الذي يتهدد

¹ - محمد بنلحسن، مصطلح التلقي لدى حازم القرطاجني، الوعي المصطلحي في النقد العربي، فبراير 2007.

² - علي لغزيوي، مناهج النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق، م.س، ص 135.

³ - علي لغزيوي، مناهج النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق م . س، ص 388.

دراسة الأدب))¹، ويُلَبَسُ الممكن لبوس المحال، فيتعجل القارئ الدليل، ولا يجد متطلبه أمامه، فينقطع خيط الاجتهاد.

إن [احتلال المصطلح لهذه المنزلة السامية في فهم الخطاب النقدي، هو الذي حجب عنا التوصل إلى كثير من أحكام الأسلاف حول قضايا بارزة في النقد والبلاغة]²، كل ذلك بسبب سوء الفهم والسقوط في الإبهام المصطلحي، ((فلا يزال كثير من المصطلحات النقدية في موروثنا القديم يروح تحت ضباب كثيف من الغموض، يحول دون الرؤية الواضحة لمدلوله في نظر نقادنا القدماء الأمر الذي يمثل حجر عثرة في سبيل التفهم الحقيقي، لطبيعة القضايا والمواقف النقدية، التي تتردد فيها تلك المصطلحات))¹، بل ما يحتاجه اليوم هو إعادة الاعتبار للمصطلح النقدي والبلاغي العربي القديم وتعيينه ضمن القراءة في فضاء الحداثة.

إن من خصائص المدرسة الكلامية المتمنطقة، الاهتمام ((بالتحديد والتعريف والتقسيم المنطقي والاهتمام يجعل التعريف جامعا مانعا، ثم استعمال أساليب الفلسفة والمنطق، في تحديد الموضوعات وتقسيمها وحصرها، واستعمال الألفاظ الفلسفية والمنطقية والإقلال من الشواهد والأمثلة الأدبية))² وهو ما حاول القرطاجني وعضاريط المدرسة النقدية، العمل عليه من خلال ضبط المصطلحات النقدية والبلاغية، وغيرها من المصطلحات التي وردت في مدوناتهم.

¹ - سعد مصلوح، الأسلوب، القاهرة، دار عالم الكتب، ط3، 1992، ص 30.

² - محمد بنلحسن، م. السابق. نفس الصفحة.

¹ - حسن طبل، المعنى الشعري في التراث النقدي، دار الفكر العربي، ط3، 1998م، ص 3.

² - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، م.س، ص 477.

إن المتصفح لمنهاج البلغاء وسراج الأدباء، يجد تنوع المصطلحات المتداولة فيه، من بلاغية إلى نقدية إلى لسانية، إلى غيرها من المصطلحات والضوابط المعرفية الأخرى، التي إن دلت على شيء إنما دلت على ((أنه لم يترك مصطلحا يمكن الإفادة منه في منهجه النقدي إلا حشده لهذه الغاية))¹ وفي هذا الصدد يبرر القرطاجني نفسه هذا التوجه فيقول: ((...فالتطبع قد تداخلها من الاختلال والفساد أضعاف ما تداخل الألسنة من اللحن، فهي تستجيد الغث وتستهت الجيد من الكلام ما لم تسمع بردها إلى اعتبار الكلام بالقوانين البلاغية))¹، هذه القوانين البلاغية التي أفرزها الواقع العربي المتدي على زمن القرطاجني، حاول من منظور جديد إضفاء طابع المنطق والفلسفة الأرسطية* على مباحث الأدب العربي، في طبعته الجديدة، من أجل غايات محددة، وإن لم يشر إليها في التقديم إلا أنه انفرد باطلاعنا عليها متى راجعنا الفصول والمباحث.

ولقد انتبه لهذا الوعي المصطلحي كذلك، الباحث علي لغزيوي حين أشار إلى ((إدراك حازم أهمية المصطلح، فاعتنى به عناية زائدة سواء أتم ذلك على صعيد التصور النظري، أم على صعيد التعريف وتحديد المفاهيم أو على صعيد الاستعمال المجرد))²، مما جعلنا نتوقف عند المصطلحات ذات الوزن

¹ - إحسان عباس، تاريخ النقد، م.س، ص 562.

¹ - القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986، ص 26.

* - ظل السؤال مطروحا زمنا طويلا، ومفاده لماذا أرسطو في الثقافة العربية المشرقية والمغربية، ولتبيان وجهة نظر راجحة نعمد إلى الدكتور عباس أرحيلة لنجد عنده الجواب الكافي في أحد الحوارات إذ يقول: (إن أرسطو هو الأصل الثابت في مرجعية المركزية الأوروبية، ولأنه من الأدمغة التي أدهشت العالم على مر العصور، وقد دعاه الفلاسفة المسلمون بالمعلم الأول والحكيم . لأنهم وجدوه قطب الفلسفة اليونانية والمنطق، منذ أن رأى الخليفة المأمون أرسطو في المنام اتضح أن الحاجة تدعو إلى الاستعانة بالمنطق الأرسطي من أجل الذود عن الدين). ينظر: الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الاشتراكي، الأحد 22 نوفمبر 1992، العدد 426.

² - علي لغزيوي، مناهج النقد الأدبي في الأندلس، بين النظرية والتطبيق خلال القرنين السابع والثامن، ص 386.

الثقيل، على مستوى الساحة النقدية المعاصرة، قصد تقريب وجهة النظر الحازمية من المناهج النقدية المعاصرة، التي أفرزها الجو المشحون بالأعمال المتنوعة العربية والغربية.

إن هذه النظرة التي صرح لأجلها المحقق بن خوجة بقوله: ((المنهاج يصور بغاية الوضوح التأثيرات اليونانية في صناعة النقد عند العرب...))¹، تجعل الكثير من الدارسين المغاربة وغيرهم يراجعون الكثير من الأبحاث بعد تحقيق الكتاب، والعمل على الاستزادة من التحقيقات التي تلتها متمثلة في السجل ماسي وابن البناء العددي وابن عميرة.

ومن أجل ((تحقيق الإصلاح، استعمل القرطاجني منهجا اعتبره آلية، به تقمع الطباع المختلفة بردها إلى قوانين البلاغة، لتمييز الطباع بين ما يحسن وما لا يحسن، وفق العلم بالقوانين الأساسية الضابطة للعلم بالشعر))²، ولهذا كان للقرطاجني باع طويل في الدرس البلاغي، ومرجعية فكرية مهمة لكل دارس للبلاغة المغربية، كما كان دافعا مهما بعد تحقيقه إلى إعادة النظر في الكثير من المسائل المنطقية التي كانت محل خلاف ما بين التأثير الأرسطي من عدمه.

ونلني الباحثة فاطمة عبد الله الوهبي، ترى ((أن كثيرا من مصطلحات حازم ثنائية مزدوجة أو مركبة، كما أن مصطلحاته النقدية إما مبتكرة أو معدلة، فليس ثمة موروث بقي كما هو، والتعليل غالبا ما يأتي معمقا، ويضيف إضافاته بمزيد من التحديد للمفهوم، بتعميقه وإغناء أبعاده، في نسق مفهومي وشبكة علاقات مع مصطلحات أخرى))³، وما هو في ثنايا الكتاب لخير دليل على سعة مدارك حازم،

¹ - القرطاجني، منهاج البلغاء، م.س، ص 31-32، وص 87.

² - عباس أرحيلة، حازم القرطاجني والفكر الأرسطي، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 32 أكتوبر/ديسمبر 2003، ص 208.

³ - فاطمة عبد الله الوهبي، نظرية المعنى عند القرطاجني، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 2003م، ص 259.

وفطنته في التعامل مع المصطلح، إما إعادة لمنظوره الكلي، أو إلغاء له والاستعاضة عنه بما هو جلي، ولا يعتسف فيه على غير هدى.

إن [الخصائص التي يتميز بها المصطلح الحازمي، تجعلنا نركز كثيرا على ضبطه جيدا، واعتبار ذلك المدخل الذي لا غنى عنه، من أجل الغوص في أعماق الخطاب النقدي وإدراك أسراره، ويتأكد هذا العمل بالنظر إلى خصوصية المنهج نفسه، وهو موضوع متصل بالفهم الجيد الذي من شأن غيابه أو انعدامه التشويش على عملية الخلق والإخفاق في التواصل]¹.

و بناء على هذه الأحكام ((كانت الحاجة ماسة إلى ضبط المصطلح النقدي في ذلك الموروث وتحديد مدلوله تحديدا دقيقا يقوم على استقراء النصوص، والتفهم الواعي لأنماط السياق وطبيعة المواقف التي يتردد فيها، فهذا التحديد يمثل الخطوة الأولى في دراسة النقد))²، كما أن مهمة الابتكار عند حازم تتمثل في طريقة تشغيله للمصطلحات مجتمعة متناغمة، أي ((تكمُن في إعطاء المصطلح حيويته الوظيفية لا لينصب كمصطلح منفردا، بل ليشكل مع مجموعته أو منظومته من المصطلحات آليات فاعلة في إنتاج نظريته النقدية))³، وبعث الطروحات الفكرية من رقدتها مع استشارة الحس المصطلحي الوافد والراكد.

* - مفهوم الشعر والأسلوب والنظم عند حازم:

¹ - محمد بن الحسن، السابق.

² - حسن طبل، المعنى الشعري في التراث النقدي، م.س، ص 3.

³ - فاطمة عبد الله الوهبي، نظرية المعنى عند القرطاجني، ص 259.

يرى حازم أنّ علم البلاغة يشتمل على صناعتي الشعر والخطابة، فهما يشتركان في مادة المعاني ولا يكادان يفترقان إلا في التصور والتخييل والإقناع، وإذا ما تتبعنا المنهاج نجده يقارن في مناسبات عدة ما بين الشعر والخطابة ومكونات الحجاج عند القسمين، ولا ينفك يشير إلى أن مكنون الكتاب وفحواه هو بلاغة الشعر أو الشعرية.

والشعر عنده ((كلام موزون مقفى، من شأنه أن يجب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ويكره إليها ما قصد تكريهه لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه بما يتضمن من حسن تخيل له ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام))¹، فلا يخرج عن محددات قدامة بن جعفر في الوزن والقافية، ولا يخرج عن مفهوم ابن سينا في معرض الحديث عن سيكولوجية الشعر ومدى قربه أو بعده عن الجو العاطفي الانفعالي للإنسان، فيقول ابن سينا: ((كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاة... أما الكلام المخيل فهو الذي تدعن له النفس فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور، من غير رويّة وفكر واختيار، وبالجملة تنفعل له انفعالا نفسانيا غير فكري سواء كان القول مصدقا به أو غير مصدق))²، وهذا القول دارت حوله تعاريف المدرسة المغاربية سواء من قريب أو بعيد.

إن الشعر بهذا المعنى، وجب عليه إثارة السامع، وإثارة الدهشة لدى المتلقي، مع إرجاء أفق الانتظار، ولو راجعنا بديعة الخرازي لوجدناها تقف على التخييل الشعري من ((الجانب الإبداعي لعملية التعبير الشعري، فالمحاكاة التي تشكل حقبة الخطاب الشعري مرتكزها، تجعله عملا فنيا منطقيا

¹ - م. نفسه، ص 71.

² - ابن سينا، كتاب الشفاء، فن المنطق (قسم الشعر)، تحقيق عبد الرحمن بدوي، (د ط)، الدار المصرية للتأليف والنشر القاهرة 1966م، ص 24.

يتحقق دون فاعلية التخيل عند الشاعر المبدع وهو ما يعني أن المحاكاة والتخيل مقومان متكاملان في تشكيل العمل الشعري¹، وهو ما اعتبره حازم جوهر الشعر مقلدا في ذلك أرسطو وشراحه.

وبالجملة، فإن حازم القرطاجني لا يزال في عرضه الواسع، والتوزيع الجيد للكلام داخل متن الكتاب، يقرر مع ما ذهب إليه أرسطو أن المحاكاة هي ((الخاصة المميزة للشعر عن سائر أنواع الكلام، ويضيف أنها يمكن أن تستقل بنفسها كما يمكن أن تقترن بحسن تأليف الكلام أو قوة صدقه أو قوة شهرته... ولا شك أن أي تنظير للشعر العربي الذي قام في كثير من الأحيان بوظيفة الخطابة كان حريا أن يلتقط هذه الإشارة، ليؤكد الارتباط بينهما))²، وهو ما فعله حازم في فصول كثيرة من كتابه، في معرض الحديث عن الشعر في تخيالاته وشعريته.

ولقد أخذ القرطاجني القواعد العامة التي تناولها ابن سينا، وحري به أن يتوصل إلى أن الشعر يتميز بخاصتي الضرر و النفع، ولا ريب في أنه اعتمد اعتمادا كليا على الدراسات التي سبقته ولو بشيء قليل، حين نبذه يربط الغرض بالقصدية، ((فكان حصييفا إلى حد كبير، حيث لم ير بأن الشعر هو عمل خاص أو شخصي، بل له أهداف قصدية ووظائف محددة ولهذا قدم أربعة معايير نقدية تمثل التصور الإيجابي أو السلبي للشعر، وهي الدين والعقل و الشجاعة والمروءة والحظ العاجل))³، على اعتبار أن الصنعة الشعرية محتاجة إلى جودة الأفكار، وخصائص الشعرية. أما مفهومه للأسلوب فيبدو من خلال

¹ - بديعة الخرازي، مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس في القرنين السابع والثامن الهجريين، مطبعة المعارف الجديدة، ط 1،

2005، ص 74.

² - شكري عياد، البلاغة والنقد، م.س، ص 39.

³ - جريجور شولر، نظرية الأدب الأرسطية، م.س، ص 37-38.

القراءة المتواضعة والمتمعنة للمتن أنه انشغل بالمرجاني في نظرية النظم ثم مزج بينه وبين أرسطو الذي درس الوحدة المتكاملة، و أوجد صيغة ارتضاها بناء على مكتسباته القبلية ومصداقا للتوجه الذي أراد تسويقه للمتلقى العربي قديما واستشرافا للمستقبل، في عمله الدءوب في الانتقال من دراسة الجملة إلى دراسة القطعة الأدبية كاملة، فكان لزاما عليه أن يجعل مدار الأسلوب متعلقا بالمعاني والنظم متعلقه الألفاظ، ولذا نجده يقول: "... وجب أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني و نسبة النظم إلى الألفاظ، لأن الأسلوب يحصل عن كيفية الاستمرار في أوصاف جهة من جهات غرض القول، وكيفية الاطراد من أوصاف جهة إلى جهة فكان بمنزلة النظم في الألفاظ الذي هو صورة كيفية الاستمرار في الألفاظ والعبارات"¹.

ويعلق محمد عبد المطلب على هذا القول فيجعل " الأسلوب يشمل جانبا من البناء اللغوي يختص بالتأليفات المعنوية بينما ينصب النظم على التأليفات اللفظية . من وجهة نظر حازم وكان حازم قام بعملية التلفيق بين مفهوم أرسطو للأسلوب وفهوم عبد القاهر للنظم فجعل النظم بمثابة التعبير وو سائل الصياغة وهو مفهوم أرسطو للأسلوب، وجعل الأسلوب مرتبط في الحسن القولي بوحدة الكلام أي مجموع أجزاءه المترابطة ... وذلك يمثل الجانب الآخر من مفهوم أرسطو للأسلوب الذي يتصل بنظرية المحاكاة"¹.

¹ - حازم القرطاجني ، السابق، م.س، ص، 363

¹ - محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، م.السابق، ص، 39، كما ينظر : إحسان عباس ، م.السابق، ص، 565

ولا نجد حازم القرطاجني يتناول هذا التفصيل بناء على القصيدة فقط وإنما نجده يبني التصور في كلامه عن النظم والأسلوب قصد بلوغ غاية الإعجاز ومدارك القرآن انطلاقاً من الأسلوب الفذ الذي يمزج بين الجملة أي الآية والنص الكلي أي الصورة، الخالي من الفجوات، ورد التباين ما بين النظم والأسلوب، فقد، " نقل السيوطي في الإتقان وفي كتاب آخر المسمى معترك الأقران، فقرة لحازم نص على أنها من منهج البلغاء فسر فيها حازم الإعجاز بأنه ظاهر في اطراد أسلوبه من الفصاحة والبلاغة"¹.

وقد أوجز محمد العمري الحديث في هذا الاتجاه الفضايف فقال أن " منهج البلغاء مبني على تصور مستويين: مستوى الجملة، ويعالجه مبحث اللفظ والمعنى، ومستوى النص، ويعالجه مبحث النظم والأسلوب"².

* - المحاكاة والتخييل:

لا شك في أن بيان النظرية الشعرية، وقوامها عند القرطاجني هما التخييل والمحاكاة، لذا نجده يوظف مدلولات أخرى من مثل التخييل، والقوة المخيلة، والقوة المتخيلة وغيرها، والتخييل في الشعر عنده ((يقع من أربعة أنحاء: من جهة المعنى، من جهة الأسلوب، من جهة اللفظ، من جهة النظم والوزن... و أن تتمثل للسامع لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه وتقوم في خياله صورة أو

¹ - محمد رضوان الدايدة، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، دار الأنوار بيروت، طبعة 1968، ص، 525

² - محمد العمري، م. السابق، ص، 501

صور ينفعل لتخيلها وتصورها))¹، ومراد قول حازم يفيد هنا من التراث الفلسفي السابق، بغية تحليل وتعميق ظاهرة التخيل الشعري، وتتبع المراحل التي تتكون خلالها الصورة الشعرية في الأذهان والأعيان، كما نجد في هذا التعريف يصر على جعل التخيل وسيلة للتواصل بين مبدع الشعر - الملقى - ومستقبله - المتلقي - وعما يتم به التواصل من خلال الصورة الفنية - النص - .

وفي باب المحاكاة، أراد حازم أن يحقق حلم ابن سينا في توجيهه الذي رسمه مذاك، في رسمه للطريق الأرسطي فقال حازم: ((وقد ذكرت في هذا الكتاب من تفاصيل هذه الصنعة ما أرجو أنه من جملة ما أشار إليه علي بن سينا))²، فقد جعل ابن سينا للمحاكاة ثلاثة أوجه: تشبيه واستعارة وتركيب، ومثله ما نجد عند حازم في تضاعيف كتابه من تقسيمه المحاكاة إلى قسمين: محاكاة مستقلة بنفسها وهي التشبيه والاستعارة، ومحاكاة متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، وهي باب من أبواب أثر تركيب العبارة في المحاكاة، وقد لا نعجب حين نرى عصام قصبجي يرى: ((أن حازم أفرط في استعمال المحاكاة على نحو يشي بالأثر الإغريقي،... وظلت لا تعني سوى التشبيه المرئي عند حازم))¹، ذلك أنه بوب وفسر، بخلاف الأوائل، وجعل المتبع ((يرهق في التوصل إلى المبتغى من أول وهلة، وقطع الصلة مع محاكاة الأفعال التي نص عليها أرسطو))²، وأفرد مساحة واسعة من كتابه في الحديث عن مثل هذه القضايا التي تأثر بها بطريق أو بآخر بالثقافة اليونانية.

¹ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، م.س، ص 89.

² - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، م.السابق، ص 70.

¹ - عصام قصبجي، نظرية المحاكاة في النقد العربي، ، حلب، سوريا، دار التقدم، ط 1، 1980، ص 178-179.

² - سعد مصلوح، حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخيل في الشعر، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1980، ص 85.

وإذا كان هذا هو حال القرطاجني في محاولة الوصول إلى الغاية التي بدأها في مستهل الكتاب والتي مفادها رد الشعر إلى سِكَتِه الحقيقية، بناء على الذوق الفعال، والصنعة الجيدة ذات الرونق العربي الأصيل، معتمدا في ذلك على شيوخه في الفلسفة والمنطق والبلاغة، فما هو حال ابن بيئته وصاحب دعوته الفلسفية الرائدة ذات التوجه الرياضي، ابن البناء المراكشي العددي.

ج- ابن البناء العددي المراكشي (-721هـ).

إن الحديث عن ابن البناء المراكشي العددي، سيقودنا لا محالة إلى الوقوف على أكثر من باب في شأن البلاغة الرياضية، لما له من قصب السبق في هذا المجال، حيث عد من الأفذاذ القلائل الذين ساهموا بقسط وافر في تحليل العناصر البلاغية وفق نمط البرهان الرياضي والاستدلال الأرسطي.

وفي هذا الصدد نجد أحد المؤرخين يقول أنه لم ير بالمغرب إلا عالِمين؛ ابن الشاط بسبته وابن البناء المراكشي، هذا الأخير الذي ينبي مقاله أساسا على مقدمات صحيحة ونتائج مضمونة بحسب استدلالاته، بعد الملاحظة الدقيقة والقياس الذي يتعدى الفارق، ولا يشوبه عيب لا في الأصل ولا في الفرع.

ويعد كتاب "الروض المريع في صناعة البديع" من الكتب الهامة في التراث البلاغي المغربي لما يحتويه من منطق سليم، وتبويب أكثر متانة من غيره، واهتمام زائد بالبيان العربي، المفضي إلى ظاهرة الإعجاز، هذا القرآن الذي ((قصرت دون بلاغته وبراعته الفهوم، وانحصرت تحت كلياته وجزئياته جميع العلوم ... فقامت به الحجة))¹، فكان أن أُلزم ابن البناء نفسه بإثبات الدليل على مكامن الإعجاز، وتقريب ذلك إلى القارئ.

إن الغاية التي حاول ابن البناء التقرب منها حسب ما جاء في كتابه أنها ((تقريب أصول صناعة البديع من أساليبها البلاغية ووجوه التفريع تقريبا غير محل ... ومنفعته في زيادة المنة وفهم الكتاب والسنة))²، و بالتالي تكون غايته وفق مستويين؛ قريب ينحصر في تقريب أساليب البلاغة ووجوه تفريعها، أما المستوى الثاني فينبني على مقصدين: أولهما أدبي فني يهيئ الأديب للإبداع ويعد الناقد للتذوق، أما الثاني فديني، مهمته الأساس، فهم أسرار وجمال آي القرآن الكريم، وفق نمط التأويل الرياضي للنصوص، مع توظيف نظرية التناسب والقياس وغيرهما، مما أعطى للكتاب صبغة علمية جليلة، تهيئ النقاد التعامل معه لانشغالهم مما دونه من مدونات أخرى، كما اعتمد بنية العلم الرياضي في تأسيس الكليات التي تنطوي تحتها جملة من الجزئيات ذات الهدف الواحد.

ومنه نقول، أننا سنتناول ابن البناء العددي المراكشي، بشيء من التفصيل في ثنايا الفصل الثاني والثالث من هذا المشروع البحثي، والذي نطمح من خلاله تسليط الضوء على المرئي و اللامرئي في هذا الكتاب، محاولين تتبع بعض التداخل بينه وبين السجل ماسي، الذي يعتبره البعض شارحا لابن البناء

¹ - ابن البناء العددي، الروض المريع في صناعة البديع، تحقيق رضوان بن شقرون، ص 67.

² - ابن البناء العددي، م. السابق، ص 68.

العددي، ومفصلاً لما جاء مجملاً في "الروض المريع في صناعة البديع"، لذلك نجد الباحث ابراهيم عبد النور يقول: ((مشروع ابن البناء يشبه إلى حد بعيد مشروع السجلماسي))¹، والحق أن يقول الباحث إن مشروع السجلماسي يشبه مشروع ابن البناء العددي، لأن هذا الأخير متقدم عن السجلماسي .
وحتى وإن كانت المصادر شحيحة في شأنه، إلا أننا نغالب الجهد ونباشر البحث والتنقيب عن المصادر ذلك أن ((أهمية البلاغة البنّاءية تكمن في الخروج عن التقسيم الذي سنّته البلاغة المدرسية وكذلك في عدم حصر البديع في المحسنات اللفظية أو المعنوية بل الرجوع به إلى دلالاته الأولى عند العرب حيث البديع هو البلاغة عموماً))¹، وهو ما سنعمد إلى تحليله في ثنايا الفصل القادم.

د- أبو القاسم السجلماسي (- 723هـ تقريباً).

لا تكاد تتفق المصادر على تاريخ ميلاد أو وفاة السجلماسي لما يسود حياته من غموض؟ اللهم إلا ما كان من اجتهادات المؤرخين في محاولة البحث عن ميلاده، من خلال كتابه المنزَع البديع الذي أبان فيه عن الانتهاء من تدوينه، أو محاولتهم ترجيح النصوص التي كتبها، والمعاصرة له ككتاب ابن البناء المراكشي وغيره ممن اهتمم بالبلاغة والنقد عموماً.

ولكن، لا يخالف معانداً ما للكتاب - المنزَع - من قيمة علمية كبيرة، فاق مداها شأنه واشربأت الأعناق بسماعه، وكثرت الأقلام التي كتبت عنه، وحاولت التقرب من مصطلحاته البلاغية

¹ - ابراهيم عبد النور، اتجاهات النقد في المغرب العربي، إشراف: بوقربة الشيخ، رسالة دكتوراة، مخطوط، نوقشت في 2009/12/16، جامعة وهران، ص 346. وللاستزادة في تصويب هذا المذهب لا بد من الرجوع إلى الروض نفسه، ص 48،

ففيه صورة واضحة عن المتقدم والمتأخر، على الرغم من شح المصادر في هذا الأمر.

¹ - عمر أوكّان، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، 2001، ص 120.

والنقدية، التي جعلها تنظيرا أكثر منه تطبيقا، على مستوى إعادة صناعة المصطلحات والشواهد البلاغية والتبويب، ولا نخالف من ذهب مذهب الحديث عن المنطق الفلسفي ومدى اعتماد السجلماسي على قوانينه، لذا عُدَّ من أبناء المدرسة الفلسفية المغربية، مثلما ذهب إلى ذلك محقق الكتاب، ومن درس المنجز النقدي والبلاغي لدى السجلماسي، الذي ينبئ بدوره عن وعي علمي ومعرفة بلاغية عميقة، عمق الفكرة التي حاول تبيانها ضمن أفق البحث في كلياته، الدلالية والاصطلاحية.

وبالرجوع إلى كتابه الموسوم بـ : [المنزِع البديع في بَحْثِ أسَالِيب البديع] نجده مثل باقي تلاميذ المدرسة الفلسفية المغربية، الذين ينظرون إلى البديع ((نظرة ترادفية تكاملية وتراجعية عما آلت إليه مصطلحات هذا العلم، نحو نظرة القدماء الموحدة في بنية النص الأدب فهي ترادف البلاغة في شمولها، وترجع إلى نظرة الجاحظ الكلية للبلاغة ، كما أنها تتكامل في الأسلوب مع كل مصطلحات البلاغة (والفصاحة)¹، وللسجلماسي مزايا عديدة فاقت خلاله من أبناء المدرسة المنطقية.

فهذه النظرة الكليانية وجدناها ونحن نتصفح المدونات النقدية، التي تأخرت أو عاصرت السجلماسي، وحاولت العودة بالدرس البلاغي - البديع - إلى بداياته الأولى، مع ابن المعتز والجاحظ وابن قتيبة الدينوري، إن على مستوى الاصطلاحات، أو مستوى التمثيل والإفراد.

ولا عجب حينما نجد ابن البناء يصرِّح بهذا، في معرض حديثه عن البلاغة والبديع والفصاحة وما بينهما من تداخل أحيانا و تشاكل أحيانا أخرى، على حد ما نصَّ عليه في أكثر من مقام، نَفِدُ إليه بعد هذا العمل.

¹ - علال الغازي، مناهج النقد الأدبي بالمغرب، م.س، ص 491.

وبما إنّ اللّغة ((نسق تعبيرى جمالى يحتوى على الاستعارات والكنائيات وصور المجاز الأخرى))¹، فإنّ السجلماسى حاول استنطاق هذه المعارف من جملة نصوص حاول استدراج مفاهيمها نحو محاولته صناعة مصطلحات، تفي بالغرض المطلوب التى توخاه من خلال كتابه، أو التعرّيج على دلالات أخرى وُلد منها معايير نقدية وبلاغية جديدة.

وإذا ما أعملنا النّظر فى عنوان الكتاب، وجدنا عناصره الاصطلاحية تتمحور حول حلقة معرفية جديدة، وتأسّس على منظومة خاصّة حيث يكون مفهوم "المنزّع" مرتبطاً بدلالة بالمنهاج أو "المنهاجية" على حد اصطلاح محمد مفتاح فى كتابه " التلقى والتأويل"، تيمّناً بما ورد عند حازم القرطاجنى فى منهاج البلغاء ، أما مصطلح ((البديع المذكور أولاً فهو (الجديد) ومفهوم المنهاج الجديد، أما الدلالة الاصطلاحية لكلمة بديع فى الشق الثانى، فتدل على البلاغة عموماً، بمفهومها (الأسلوبى))¹ -على حد تعبير علّالّ الغازى -، هذا التوجّه الجديد القديم كان قد عرف عند الجاحظ وقدامة بن جعفر وحازم القرطاجنى.

يتكون كتاب المنزّع البديع من فهرس خاص بالمصطلحات، التى تدل على صناعة البديع بلغت فى مجملها مائة وتسع وثمانين مصطلحاً، لم يُفصّل أو يُوصّل فيها صاحب المنزّع كلامه على الثالث البلاغى المدرسى المعروف، خصوصاً إذا ما تأكّد لدينا أن علم البيان عنده هو النظرية الفلسفية فى شموليتها فى النقد والبلاغة، والتى انبنى عليها كتابه المنزّع، فىقول السجلماسى معلّقاً:

¹ - مشبال محمد، البلاغة والأصول، دراسة فى أسس التفكير البلاغى العربى ، أفريقيا الشرق، المغرب، ط4، 2007، ص 104.

¹ - ينظر: علّالّ الغازى، مناهج النقد الأدبى بالمغرب، م.س، ص 494.

((فقصدنا في هذا الكتاب، الملقب بكتاب المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع ، إحصاء قوانين أساليب النُظوم، التي تشتمل عليها الصناعة الموضوعية لعلم البيان وأساليب البديع، وتجنيسها في التصنيف، وترتيب أجزاء الصناعة في التأليف، على جهة الجنس والنوع، وتمهيد الأصل في ذلك للفرع، وتحرير تلك القوانين الكلية))¹، ويقصد هاهنا ما أُجمل عند ابن البناء سيقوم بتفسيره .

وعليه، فإن الملاحظة الأولى المنبثقة من كلامه، هي الإفصاح عن العنوان، ثم السبيل إلى تبيان ما احتواه في أصله من بيان لأصول أساليب النظم، مع حرصه على التبويب و تأليف كتاب في علم البيان وأساليب البديع، والإشارة ضمنا إلى منهج ابن البناء العددي في كلياته، حيث يحاول السجلماسي تحرير هذه الكليات المغلقة، ثم يستطرد الحديث عن المنازل أو الأجناس العشرة التي تنحصر في أوجه البيان وأساليب البديع، فيقول: ((إن هذه الصناعة الملقبة بعلم البيان وصنعة البلاغة والبديع مشتملة على عشرة أجناس عالية وهي: الإيجاز والتخييل والإشارة والمبالغة والرصف والمظاهرة والتوضيح، والاتساع والانشاء والتكرير))²، بخلاف الرماني الذي جعلها عشرة أقسام وهي: ((الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف، التضمين المبالغة، حسن البيان))³، على اختلاف في بنية المصطلحات والأقسام ما بين السجلماسي وابن البناء العددي الذي أخذ عنه صاحب المنزح الكثير من الأمور.

¹ - القاسم أبو محمد السجلماسي، المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع، تح، علال الغازي، مطبعة النجاح الجديدة 1980 ص180.

² - القاسم أبو محمد السجلماسي، المنزح البديع، م.س، ص180.

³ - محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، م.س، ص168.

وجملة القول، فإن السجلماسي كان يعتمد في كتابته على إحالة كل جنس إلى تعريفه اللغوي، ثم يردفه بمعناه الاصطلاحي ((حسب قواعد التحديد والرسم في المنطق، أو بحسب العلل مثل تسمية الشيء باسم فاعله، أو غايته، أو صورته أو مادته))¹، على أن المرحلة التالية تكمن في محاولته تحديد قسمة ثنائية أو غيرها لكل جنس حسب طبيعة المادة المكونة له، ومثال ذلك ما فعله مع جنس التخيل بأن ألحق به، التشبيه والاستعارة، والتمثيل والمجاز. وهكذا درج مع بقية الأجناس حتى تكون لنا في نهاية المطاف الكتاب كاملا، حيث يكاد يُشبه في مصطلحاته كتب من سبقه، ولكن تكمن قيمته في جماليات الطرح العلمي، والتبويب المنطقي الذي يتبع تصور السجلماسي للبلاغة والنقد.

وبالإجمال، فإن النظرية النقدية البلاغية في المنزح، تبنى أساسا على علم الأساليب المتكفل بطريقة مباشرة بعلم البيان، الذي عدّه بوابة المنطق والفلسفة، ومن ثمة طرق ورود البلاغة وأساليب البديع، وهو بهذا يجاري ابن البناء العددي وابن عميرة في الكثير من المسائل، حيث حاول أن يتغيا ((قوانين للتأويل تعصم من الهذر والقول في المخاطبات بغير علم، ومن النزعة الظاهرية التي تضاد قواعد اللغة الطبيعية))²، فكان له ذلك بعد الانتهاء من الكتاب، وحصره لجملة من المعارف البلاغية، والآراء النقدية.

وصفوة القول، فإن المدرسة البلاغية المنطقية المغربية حتى وإن حاولت الاستنجاد بالمنطق الأرسطي أو الرياضي في عمومياته، إلا أنها امتازت بخصائص جمّة، وأبقت لنفسها قصب السبق في الكثير من الإشارات والتنبيهات، لا سيما ما تعلق بمنهج التأويل والاستنباط والكليات، مع التزامها

¹ - محمد مفتاح، مشكاة المفاهيم، النقد المعرفي والمتأقفة، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2000، ص 123.

² - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، م. س، ص 61 وما بعدها.

بالاستقراء والاستنتاج والبرهنة ، فعدت بذلك معلما علميا وبلاغيا فاق المشاركة في الكثير من الأمور

العلمية والنقدية المهمّة، برغم المحيط السياسي والعلمي الذي ساد المنطقة المغاربية زمنا طويلا.

ومدار هذا الأمر على ما ابتدعه أرباب المدرسة من اجتهادات وعلم متين منوط بالحجة والبرهان

المنطقي على ما سنين في الفصل الثاني من هذا البحث.

الفصل الثاني

[لا ريب أنّ المنطق العربي، مدين بأمر كثيرة لليونان، لكنه بعيد كل البعد عن أن يكون مجرد شرح مفصّل

لمنطق هؤلاء...]

د. عادل فاخوري

منطق العرب من وجهة نظر المنطق الحديث

ص16

تجليات التفكير المنطقي في صناعة مصطلحات البديع عند ابن البناء المراكشي

تمهيد

1) كليّات البلاغة عند "ابن البناء العددي" .

2) مصطلحات صناعة البديع عند "ابن البناء العددي" .

تمهيد:

من الأهمية بما كان، تتبّع مسار الدرس البلاغي والنقدي المشبّع بالفكر الفلسفي ما قبل ابن البناء العددي المراكشي¹، ذلك أننا أمام صيرورة تاريخية، تفرض علينا التعامل معها من منطلقات عدّة، تستهدف الغرض نفسه، ألا وهو الجانب المعرفي، المتمثّل في تقوّي مراحل نضج هذا الدرس وفق معطيات جماليّة فنيّة وفلسفية، استقطبت الناقد نحو نصوصها، والبلاغي نحو شواهداها، فكان أن تمّ تمازج المعارف في جو من المثاقفة الحيّة، التي أخذت من شتى فنون القول، متّجهة نحو إرساء دعائم الدرس البلاغي والنقدي العربي عامّة والمغاربي بصفة خاصّة.

ولا نبالغ إن قلنا، إنّ الدرس البلاغي العربي بوجه عام، بدأ ينحو منحى مغاير لسابقه بعد مفتاح العلوم للسكاكي، وهو ما عبّر عنه محمد العُمري بمصطلح " الانقلاب " إذ يقول: ((برغم الانقلاب الذي وقع داخل مفتاح العلوم، بانتقال المركز من الصرف والنحو، إلى علمي المعاني والبيان، وظهور البلاغة لتعني ما عناه علم الأدب في المشروع الأول، فإن الانطلاق من النحو ومن المفهوم الذي أعطى

¹ - هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي، الشهير بابن البناء العددي، المراكشي مولدا ونشأة ووفاة، وقد لُقّب بابن البناء لأن أباه امتهن حرفة البناء، وكنيته العددي حتى يتميّز عن ابن البناء السرقسطي، وغيره كثير، ولد في التاسع من ذي الحجة عام 654هـ الموافق لـ 1256م. تلقى تعليمه في مختلف المجالات العلمية والبلاغية والدينية والفلكية والرياضيات وكان أن برع في الرياضيات وتبحّر فيها إلى غير منتهى، ارتقى إلى مصاف العلماء الأجلّاء في وقت ليس بالطويل، حتى قال فيه ابن رشيد: (ليس بالمغرب عالم إلا ابن البناء بمراكش وابن الشاط بلبنة) من مؤلّفاته في العربية والبلاغة: الروض المربع في صناعة البديع، كليات في العربية، قانون في معرفة الشعر، مقالة في عيوب الشعر، ... و مما فقد منها الكثير. أما في الرياضيات فألّف: تلخيص أعمال الحساب، ووجوه أعمال الحساب ورسالة في الكسور وغيرها من المؤلّفات التي فاقت السبعين مؤلّفا. توفي رحمه الله في يوم السبت السادس من شهر رجب 721هـ الموافق لـ 1323م. ينظر ترجمته في: ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بفاس، الرباط، دار المنصورة للطباعة، 1983، ص148، العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثمانية، تح، محمد سعيد جاد الحق، ط1، ج1، ص278، وخير الدين الزركلي، تاريخ الأعلام، ج1، ط4، بيروت، دار العلم للملايين، 1979، ص222. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح، محمد سعيد العريان، ط1978/7، ص505. عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ص5 وما بعدها. وغيرها من التراجم.

لعلم الأدب: التحرز من الخطأ، قد جعلهما يبسطان ظلالهما على صياغة السكاكي للبلاغة العربية
ضف إلى ذلك محاولة صياغة التحويلات الدلالية صياغة استدلالية منطقيّة¹)، مع الأخذ بعين الاعتبار
التحولات الفكرية التي غذت مثل هكذا اجتهادات..

إن هيمنة النحو والمنطق على الوظائف البلاغية، قد بدأ فعلا مع السكاكي* بوجه عام ولكن
المنطق البلاغي، أو البلاغة المرتكزة على مبادئ المنطق، - على حد تعبير أحدهم- في المغرب العربي
بدأ مع القرطاجني الذي ((جمع بين المبادئ والأصول الهيلينية والعربية))²، وحرك آلة تقويم الفكر من
أجل الكشف عن مواطن العتمة في النقد العربي، والدرس البلاغي.

لقد تمثل حازم الأصول المعرفية العربية، محاولا الاغتراف منها في بداية تحصيله، ثم ما لبث أن
تجاوزها في الكثير من المسائل، فكان أن اعتمد على الحفاجي في كتابه سرّ الفصاحة، وغيره ((من
البلاغيين؛ كقدامة بن جعفر والآمدي والعسكري وابن الأثير. كما اتّصل بالأصول المعرفية المنطقية بفعل
تأثره بأرسطو وابن سينا**، ويتضح ذلك جليا في باب المعاني، حيث أخذ مقولات أرسطو في الشعر،

¹ - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، م. السابق، ص، 495.

* - (تقع بلاغة السكاكي عند تقاطع ثلاث مباحث متداخلة ومتنافرة في الوقت نفسه، هي النحو والمنطق والشعر، فالبلاغة مرتبطة
بعلم المعاني والبيان عنده أما الشعر فمصدره البديع، وكلاهما يستعمل النحو ومصطلحاته، أما المنطق، فهو عماد الاستدلال على
مستوى التحديدات المنطقية، ذلك أن البيان ينتمي في جوهره إلى العمليات الاستدلالية، فهو يقع بين منزلة الشعر والمنطق، بين وظيفة
التحليل ووظيفة المعرفة والاستدلال). ينظر، محمد العمري، م. السابق، ص: 488-489.

² - عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي، م. س، ص 700.

** - اعتمد القرطاجني على ترجمة ابن سينا لكتب أرسطو ولم يعتمد على " ابن رشد" وهو ما علق عليه محمد مفتاح في كتبه، ولم
يجد له ما يبرره؟. وذكره عباس أرحيلة في كتابه " الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين" المرجع السابق، ص 686- كما تناول
هذه المسألة بالتفصيل صفوت عبد الله الخطيب، في مؤلفه " نظرية حازم القرطاجني النقدية والجمالية في ضوء التأثيرات اليونانية، ص
50. حين تحدّث عن سبب إعراض وتجاهل حازم لابن رشد وهو بذلك قد ترك الباب واسعا أمام جملة من التأويلات، في حين أن
من يعرف السبب يُبطل لنا العجب.

عن كتاب ابن سينا " فنّ الشعر " وهو ترجمة لعمل أرسطو¹ ، وهو ما أهله لبلوغ مرتبة عالية في مجال اختصاصه، على أن ترافقه في هذا التوجه زمرة من العلماء الذين اتخذوا من القرطاجي سبيلهم ومنهجهم، في التفكير.

ولا شك أن من يُنعم النظر ويستجلى الخاطر، في استكناه دلالات المنطق الأرسطي في الدرس البلاغي المغاربي، يجد أن ((الذين ساروا في اتجاه حازم بدرجات متفاوتة، ثلاث شخصيات مهمة في مجالات متعددة، وهي ابن عميرة المخزومي الذي كان معاصرا لحازم، والسجلماسي وابن البناء المراكشي العددي²، فهؤلاء الثلاثة حتى وإن تفاوتوا في درجة التعامل والتصنيف البلاغي، فإنهم لا محالة ينتمون إلى مدرسة فلسفية بلاغية مغاربية*، قرأت كتب المعلم الأول بأذهان صافية وأفكار نقيّة فاستناروا بها ووقفوا على أغراضها، وثبت التوحيد عندهم ببراهين ضرورية لا محيد عنها، فلم يسلكوا شعبا من شعاب العلوم، إلا وجدوا منفعة هذه الكتب أمامهم ومعهم، مع بيان الأساس واستنادا إلى جذوة الاقتباس.

لقد فاق ابن البناء علماء عصره، واجتنبى لنفسه علما معياريا، سمّاه تلخيص أعمال الحساب، حيث لم يدع المقام للمنطق الرياضي ونظريات المقايسة الجبرية والهندسية، تطغى على علومه، بل حاول استجلاء المعايير المنطقية والبراهين البلاغية، من خلال الاستنجد بالمنطق بشتى أضره وأشكاله، بغية

¹ - الطاهر بومزير، أصول الشعرية العربية، نظرية حازم القرطاجني ، في تأصيل الخطاب الشعري، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1، 2007، ص 19 .

² - محمد مفتاح، مشكاة المفاهيم، م.س، ص 123.

* - تجدر الإشارة إلى أن الباحث علال الغازي في كتابه : مناهج النقد الأدبي بالمغرب، أحصى من جملة علماء المدرسة المنطقية : أبو الحجاج الماكلاقي المتوفى 626هـ ، صاحب كتاب (لباب العقول في الرد على موقف الفلاسفة في علم الأصول)، كما كتب محمد مفتاح فصلا كاملا عن التأويل بالبرهان في كتاب الماكلاقي و استنبط ثلاث آليات منطقية استعملها في الرد على الفلاسفة والتي من ضمنها، المقايسة، ونظرية ضد المشابهة، ونظرية قياس البرهان. ينظر: علال الغازي، ص 491. كما ينظر: محمد مفتاح ، التلقي والتأويل، من ص 101 - 120.

بلوغ غايةٍ كان قد وطَّنها في نفسه قبل التصريح بها للقارئ، في مقدمة كتابه وألزم نفسه بها، بقيّة العمل في الرّوض المربع.

وتأسيساً على ما سبق، فإنّ القارئ المتفحّص لكتاب ابن البناء العددي المراكشي، الموسوم بـ [الرّوض المربع في صناعة البديع] يجد نفسه أمام كمّ هائل من المعارف، التي حوّلها ابن البناء نفسه إلى سياق اصطلاحي، حيث يمثّل هذا الكتاب ((مرحلة التّضح الفكري لابن البناء ... ويضيف ملمحاً جديداً إلى معرفتنا بصورة الفكر الفلسفي في بلاد المغرب والأندلس))¹، حين أراد العودة بالدرس البلاغي إلى الوراء، وخاصّة إلى الجاحظ وابن المعتز، أو ما أطلق عليه حينها " لحظة التأسيس " لعلم البديع، الذي ولد ضمن حدود الدرس البلاغي و النقدي الذي تشرب من العلوم والمعارف الممتزجة مع المنطق والفلسفة وأصول الفقه وعلم الكلام بطريقة أو بأخرى.

ومن هنا أمكننا القول، إن أفراد المدرسة البلاغية الفلسفية المغاربية ((يستقون من منابع واحدة ، ويسيرون في إبداعاتهم لبلوغ غاية واحدة، وقد امتزج في تفكيرهم وكتبهم آثار تراث العربية وآدابها، بآثار التراث اليوناني المتمثل في كتب أرسطو خاصة، ولا سيما كتبه في المنطق والنقد))².

كما لا يجب إغفال العوامل المحيطة بهذا الدرس، سواء في بداياته أو الجهود التي جاءت بعده مع أخذنا بعين الاعتبار، التأكيد الذي كرّره عبد الرحمن مرحبا، حين تحدّث عن أصل الفلسفة الإسلامية، التي ((لم تخرج إلى الوجود إلا من الاتصال بين الإسلام والنزاعات الفكرية الإسلامية وبين

¹ - ينظر: شوقي علي عمر، مقدمة كتاب: ابن البناء المراكشي، مراسم طريقة في فهم حال الخليفة ، تحقيق: شوقي علي عمر ، مصر، دار الجامعيين للطباعة، ط1، 1996 ، ص 3.

² - عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي، م.س، ص 635.

ثمرات الفكر الأجنبي، ومناهج العقل الفلسفي الأجنبي، ولا سيّما اليونان¹، في جوّ من التفاعل، والتعايش الحميم إن جاز لنا التعبير.

إن المنهج العلمي الدقيق، الذي رسمه ابن البناء العددي مطلع كتابه، يجعلنا نتوقف عند الكثير من النقاط التي تحتاج إلى تأصيل معرفي، واستنباط أسسها المعرفية، التي هيمنت على صياغة كليات البلاغة، بعد النظر في الجزئيات الممهّدة لنظرية بناوية (ابن البناء العددي)، قال عنها عمر أوكّان أمّها: ((خرجت عن التقسيم الذي سنّته البلاغة المدرسية، وكذلك في عدم حصر البديع في المحسّنات اللفظية أو المعنوية بل الرجوع به إلى دلالة الأولى عند العرب، حيث هو البلاغة عموما²)، عند ابن المعتز وغيره.

ومن هنا وجب لنا أن نتساءل: ماذا يعني ابن البناء العددي بالبلاغة؟ كيف نظر إلى علم البيان في شموليته المعرفية؟ وكيف تجاوز الآخر في محاولته المرور من علم البديع إلى صناعة البديع، عبر جسر كليات البلاغة، مستندا في كثير من الحالات إن لم نقل كلّها على المنطق الرياضي؟.

كل هذه الأسئلة وغيرها، نركّز عليها في هذا الفصل، بغية الوصول إلى غايتنا، والتي من خلالها نستكشف الفعل القرآني البناوي ومنطلقاته المعرفية، من خلال ما جاء في أهمّ كتبه التي عثرنا عليها بعد جهد وعناء شديدين، علّنا نقف على مدلولاتها، ومحاولة مقاربتها وفق مناهج القراءة المتاحة لنا دون لي أعناق النصوص، على حدّ تعبير الغدامي في بعض أطيّره.

¹ - عبد الرحمن مرجبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، مج1، عويدات للنشر، بيروت، لبنان، 2000 ص 344.

² - عمر أوكّان، اللغة والخطاب، م.س، ص 120.

1- كليات البلاغة عند "ابن البناء العددي" بين التّأصيل والتّجديد.

تمهيد

أ- من المفاهيم الأولى عند ابن البناء المراكشي.

ب- كليات البلاغة وصناعة المصطلح.

تمهيد:

قبل الخوض في قضايا كليات البلاغة عند ابن البناء العددي وما شاكلها، لا بدّ من التطرّق وتناول مسائل مهمّة وممهّدة، جعلها الكاتب نفسه - ابن البناء العددي - بداية الطّريق ومعالم فيه قصد تعيين المنهج السليم، والشّريعة القويمة، لما يصبو إليه من تراتبيّة معرفيّة، و تأسيس منهجي، قصده بداية كتابه، كما سنتناول القيمة الحقيقيّة لصناعة البديع، وإعادة ترميمه من جديد، وفق غاية محدّدة سلفا، تجنح نحو التّفلسف تارة، والمنطق الرّياضي تارة أخرى، ومنازعة المنطق الصوري في الكثير من الأحيان.

ولكن، وعلى حدّ تعبير محمد العمري ((ألا يمكن أن نذهب بعيدا فنجعل البلاغة أداة من أدوات الفلسفة؟ هل يمكن أن تعتمد الفلسفة على البلاغة في الاستكشاف و البرهنة؟))¹، إنّ هذا التساؤل المشروع، هو ما سنثبته أو نفيه، من خلال تناولنا للمدرسة البلاغيّة المغاربيّة الفلسفية، التي كانت منذ القديم، تحاول الولوج إلى إمبراطوريّة البلاغة من وجهة نظر فلسفية منطقية، قصد البحث عن سبل الاقتناع والإمتاع والإقناع.

إن هذه الإمبراطوريّة، التي قال عنها يوما حازم القرطاجيّ داهية زمانه: ((... وكيف يضمن إنسان أنّ صناعة البلاغة يأتي تحصيلها في الزّمن القريب، وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار))²، تجعل أساس هذا الإقناع يسعى إلى توظيف لغة الفهم والتداول، مع إبراز فن التّأويل بطابعه

¹ - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012، ص68. نقلا عن أوليفر روبول.

. La Rhétorique

² - حازم القرطاجيّ، منهاج البغاء، sK. ص 88.

التراكمي، الذي يبني أساسا على تفهّم الذات انطلاقا من النص، إذ و((منذ سقراط، يسعى الفلاسفة إلى إتقان اللغة التي يستعملونها، ويربطون التأمل الفلسفي بتجديد المعاني والكلمات والمفاهيم المستعملة))¹، التي تتماهى والفكر من أجل بلوغ الحقيقة.

أ - من المفاهيم الأولية عند ابن البناء العددي:

قبل تحليل مضامين هذا المطلب من البحث، وقبل الولوج إلى غياهب كليات البلاغة عند ابن البناء العددي وما دار حولها من نقاش، لا بدّ من التنبيه إلى بيانه لمجموعة من المفاهيم الأولية التي تخصّ الدرس البلاغي والنقدي، والتي كان المؤلّف قد جعلها عتبة فصوله المتلاحقة والمتّحدة .

فبعد أن أتمّ المؤلّف - ابن البناء - البسملة والحمدلة، على عادة أهل التراث في التدوين والكتابة، راح يتحدّث عن الإعجاز اللّغوي والبياني للقرآن الكريم، معرّجا على ذكر الكليات القرآنيّة التي انحصرت تحت جزئياتها جميع الفهوم، فقال شارحا هذا تصوّر: ((... فهو للنّاس بيّان ولكلّ شيء تبيّان، قصرت دون بلاغته وبراعته الفهوم وانحصرت تحت كليّاته وجزئياته جميع العلوم))² فمسألة البيان التي عناها المؤلّف في مستهل دراسته، قصد من خلالها كل ما له علاقة بالوضوح مصداقا لقوله تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾*، جلي لا لبس فيه ولا غموض، وتبيان أيّ عارض لكل شيء في الوجود، لا يعزّب عنه مثقال ذرّة في السماوات ولا في الأرض، بحيث قصرت دون بلاغته الفهوم، التي عجزت عن الإتيان بأقلّ من سورة، على دعوى ما نصّ عليه القرآن الكريم، في

¹ - ناصر عمارة، الفلسفة والبلاغة، مقارنة حجاجة للخطاب الفلسفي، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2009، ص 127.

² - ابن البناء، الروض المريع، م. س، ص 68.

* - سورة آل عمران، الآية 138.

مسألة التحدي الذي ما رسه الله تعالى على هؤلاء الكفرة، الذين جعلوا للقرآن بيان سحر، وغوغاء جنون.

ولا نستطرد الكلام في هذا المقام، لأجل تبيان ما ادّعاه المغالون من أهل الاعتزال، عن ماهية نظرية الصّرفة، والتي تصدّى لها النقاد والبلاغيون القدامى، وخاصة ما جاء به عبد القاهر الجرجاني في تعامله مع هذا الأمر في الأسرار والدلائل، منتصرا للإعجاز في ماهيته الفذة.

فإذا ما عدنا إلى كلام ابن البناء العددي، وجدناه يهتئ القارئ نحو ما هو داخل في الحديث عنه، من خلال توجّهه العام نحو تحديد مسألة الإعجاز القرآني* في آياته، وما تناوله القرآن في كلياته وجزئياته، والتي انفردت بتوضيح الحال والمآل، المنجز والمنتظر، وهي براهين علمية سيرزها ابن البناء المراكشي في ثنايا كتابه.

وحين أكمل الحديث عن الإعجاز اللغوي والفني في الكليات والجزئيات، اتّخذ من الغرض والهدف الذي رسمه محور الحديث في كلية الكتاب، حيث استقر رأيه على تبيان ثلاثة أمور أساسية في المقام الأول، ثم الحديث عن الأساليب البلاغية التي من الممكن أن يدخل ضمنها التأصيل الأول فيقول: ((غرضي أن أقرب في هذا الكتاب من أصول صناعة البديع ومن أساليبها البلاغية ووجوه التفريع، تقريبا غير مخل وتأليفا غير ممل، يصغر جرمه ويكثر علمه، وسميته الرّوض المريع في صناعة البديع ... ومنفعته

*- يقول نصر حامد أبو زيد : (تنبّه الباحثون إلى أثر القرآن الكريم في نشأة العلوم العربية عامة وفي نشأة النقد والبلاغة بصفة خاصة وحاولوا في أبحاث كثيرة و الكشف عن هذا الأثر وتحديد ملامحه و أبعاده. ينظر: نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير ، الدر البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط5 ، 2005، ص 5 .

في زيادة الميَّة وفهم الكتاب و السنة¹، وهذا ما كان سلفه يبحثون عن مغزاه، من خلال مدارستهم لأوجه البلاغة في القرآن الكريم.

ووافق هذا التأسيس، فإن أول ما نتلقاه في هذا النص المائل أمامنا، جملة من الخلاصات ذات بُعد علمي محض، وآخر فني بلاغي ذو صبغة جمالية، أين يمكننا ((الربط ما بين مقصدية النص ومقروئيته المتعددة، والتي تشكل أساس العلاقة بين المنطوق اللغوي للنص، وبين المعنى الذي يريده))². فضلا عن تنوع الأغراض والأهداف، التي لأجلها كتب هذه المدونة النقدية متداخلة مع البلاغة، في محاورها التي نطق بها الكتاب.

فمن تقريب صناعة البديع، وإبراز أصولها المعرفية وقوانينها العلمية والفنية، المرتبطة ارتباطا وثيق الصلة بالأساليب البلاغية، في كلياتها وتفريعاتها، يؤسس للكليات أو كما سماها المحقق بالأصول السبعة، وأوردها ابن البناء العددي ب ((بالقوانين الكلية))³، حيث إن هذه الكليات تتصل في جوهرها بما يستنبطه العقل من قوانين انطلاقا من الاستدلال والاستنتاج.

يعلق الباحث ناصر عمارة تعليقا جيدا على كليانية العقل فيقول: ((كليانية العقل هي اللغة وأن الكليانية الحقيقية للعقل ليست ممكنة دون لغة))⁴، شريطة أن يكون هذا التقريب الكلياني أو الاختصار اللغوي، لا يُنقص من هذا العمل الجبار - كليات البلاغة - شيئا .

¹ - ابن البناء العددي، الروض المريع، م.س، ص 68-69.

² - أحمد عرابي، جدلية الفعل القرآني عند علماء التراث ، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 2010، ص 205 .

³ - ابن البناء ، الروض المريع، م.س، ص 88.

⁴ - ناصر عمارة ، الفلسفة والبلاغة، م.س، ص 45.

والجدير بالذكر، أنّ ابن البناء العددي ((وظّف التّظريّات الأرسطية* في رحاب الدرس النقدي والبلاغي))¹ انطلاقاً من قناعاته الرّياضية بتفصيل وإحاطة كل شيء بالعلم المعياري، وفق الكليات التي تنطوي داخلها جملة من القضايا المكونة في نفسية ابن البناء العددي، ومتوجّها بها نحو الثقافة التي كانت سائدة حينها، دونما إفصاح عن الذات الفاعلة في مجال اختصاصه، أو غير ذلك من المجالات الأخرى، معتمداً على قياس الشمول* الذي يبنى عند المناطقة على الاستدلال بكلي على جزئي بواسطة اندراج ذلك الجزئي مع غيره تحت هذا الكلي، مع اشتراكه في حكم الكلي، بخلاف قياس التمثيل.

إنّ هذا التوظيف السديد والعلمي للمنطق الأرسطي، أراد من خلاله إيجاد مناخ ملائم يستطيع النّفاذ منه نحو تبسيء ((العلوم العقلية، وذلك من خلال البحث لها عن سند صلب يستند إلى المرجعية

* - يشير محمد العمري في كتابه، (البلاغة العربية ، أصولها وامتداداتها) إلى أن التفاعل الثقافي من العوامل المساعدة على توسيع المجال المعرفي والقدرات الاستيعابية للدرس البلاغي في كليته، حيث كان هذا التأثير بادياً في بداية المشاريع كما هو الحال عند الجاحظ من خلال بلورة جملة من التصورات العقدية والمعرفية التي تخدم أهل الاعتزال أخذها عن أرسطو من كتاب فن الخطابة، فانحاز إلى المقام على حساب البناء اللغوي، أمّا أنّها أسعفت الجرجاني في بناء بلاغة المفارقة الدلالية في الأسرار والدلائل ، فهذا أمر يحتاج إلى المزيد من التبصر ، ولعل ابن سنان الخفاجي أخذ عن فن الخطابة نفسه موازين الصحة والاعتدال في بناء بلاغة محافظة، وهي نفسها ما أسعفت القرطاجني وابن البناء والسجلماسي في المشروع الضخم لبناء البلاغة. ينظر: محمد العمري، ص 24-25.

¹ - علال الغازي، المغرب في مواجهة الفكر اليوناني، من خلال كتاب مغربي في النقد والبلاغة، ضمن أعمال ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية، نشر كلية الآداب بالرباط، 1985، ص 389.

* - يؤكّد الأصوليون والفقهاء على إنكار قياس الشمول(العام الشامل لجميع الأفراد) وقياس التمثيل في إثبات الأمور العقدية، وإثباتها في المنطق لما يلحق الذات الإلهية من تشبيه أو تعطيل ، وإنّما المعتبر في ذلك قياس الأولى، وهذا بعدما أبان الفلاسفة المسلمون على أصناف الحجج والتي منها: القياس والاستقراء والتمثيل، حيث يعترى الشمول انتقال الذهن من المعين الجزئي إلى المشترك الكلي، والحكم له بما في الكلي، بخلاف قياس العلة، أين تكون العلة ظاهرة في القضيتين. ينظر: ابن تيمية، الرد على المنطقيين،

الفكرية الدينية والثقافية العربية الإسلامية نفسها))¹، وهو ما أهله ليكون قطب البلاغة والرياضيات وشتى العلوم في عصره.

ولقد شهد له على هذه الفطنة، المقرّي التلمساني في كتاباته عنه بقوله: ((انتهت صناعة التأليف في علماء المغرب على صناعة أهل المشرق لشيخ شيوخ العلماء في وقته ابن البناء الأزدي المراكشي في جميع تصانيفه، أوجب بذلك براءة نسبه من البداوة وملكته في التصرف التي هي نتيجة تحصيله))²، وتلكم شهادة الجميع كل في مجال اهتمامه، معلّقا على سيرة وشهرة الرجل الذي ذاع صيته رغم محاولة البعض طمس الشخصية نظير ما تعلّق بها من شوائب لم نجد لها ما يبرّرها حتى نأتي بها في هذا البحث، ونتيجة لذلك، فقد شكل تداخل العلوم وتمكّنه منها كل كتابه، ومن الأمثلة على ذلك، مباحث الدلالة وأقسام الكلام وصناعة البديع عمدة الباب الأول فقال في مطلع الباب: ((مقدمات في البلاغة والبديع))³، الذي أبان من خلاله على شقاشقه البيانية، ودرايته بما سبقه ومحاولته التأسيس بنفسه للكثير من القضايا، والمسائل.

*- بيان الفصل الأول من الكتاب:

أما الفصل الأول من الباب الأوّل، فقد حصره في تبيان مصطلح الدلالة، إذ استهله بالحديث عن تقسيمات الكلام إلى لفظ ومعنى، على أن هذه الثنائية سرعان ما تستدعي تفرعات أخرى وفق نمط التفكيك والتسلسل، لتحيلنا إلى أشياء مركبة وأخرى مجزأة، إلى أن يصل الكاتب إلى

¹ - محمد أبلّاغ، البناء الثقافي للعلوم في مغرب القرن 13م و14م: ابن البناء—ابن خلدون، منشورات كلية الآداب، جامعة القنيطرة، المغرب، ص 1.

² - أحمد المقرّي التلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلي مطبعة الفضالة، (دط) (د ت)، ج 5، ص 25-26.

³ - ابن البناء العددي، الروض المربع، م.س، ص 71.

محددات المعرفة اللغوية، والبناء الفني والنحوي والاعتراف من الدرس الصّرفي وما شاكله قبل الولوج إلى مباحث البلاغة، التي تأتي بعد مراسم وتأييني واستنادا إلى دعم نحوي كبير.

ومن الواضح، أن ابن البناء العددي في معرض حديثه عن الدلالة، رجع إلى المدونة النقدية والبلاغية العربية القديمة، متمثلة في الجاحظ وأبي هلال العسكري وابن سنان الخفاجي وغيرهم، من أجل بلورة تصور جامع لكل الأطياف المشرقية، التي حاولت التقرب من الدلالة مبحثا ووصفا واصطلاحا، وهو ما نلمسه في معرض تقسيمه إياها إلى ثلاثة أقسام*: دلالة بالمطابقة ودلالة التضمنين ودلالة الالتزام، وهذه المباحث هي لب عمل الأصولي والفقهاء، حين تعامله مع النصوص، من أجل استنباط القواعد الكلية من أدلتها التفصيلية، ناهيك عن عمل الفلاسفة في تتبعهم لدلالة المفهوم والمنطوق والمعقول.

ويضيف ابن البناء العددي، لطيفة من لطائفه بنوع من الحسن الرّياضي والمنطقي، حين يصنّف الأقسام السابقة، ويجعل مرتكز كل قسم وفق ما يعتره التخاطب من جهة اللفظ أو الوضع، فيقول: ((وهذه القسمة أنسب من جهة التخاطب والقسمة الأولى أنسب من جهة أصل الوضع))¹، وإذا كان هذا هو ديدان ابن البناء في الكتابة والتأصيل، فإنه لا محالة ((يكتب بأسلوب يجمع بين سهولة اللفظ وقوة التركيب، ورونق التعبير، والتركيز على المعنى الذي يهدف إلى تبليغه حتى تبرز الفكرة واضحة جلية

* - قسمت الدلالة عند المناطق إلى : دلالة المطابقة، وهي أن يدل اللفظ على تمام ما وضع له، ودلالة التضمن: وهي أن يدل اللفظ على جزء ما وضع له، ودلالة الالتزام: أن يدل اللفظ على ما هو خارج عنه، ولكنه لازم عنه، ويقسم الأمدي اللفظ الدال إلى قسمين: قسم دلالاته لفظية وهي المطابقة والتضمنين وقسم دلالاته غير لفظية وهي الالتزام. ينظر: محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، ط2، 2007، ص85-86.

¹ - ابن البناء العددي، الروض المربع، م.س، ص76.

من غير اضطراب أو حشو أو تكلف¹، وهو ما عبر عن بيانه في مقدمة كتابه حين أشار إلى عمل يقل جرمه، ويكثر علمه.

وفي هذا الصدد، لا يبرح ابن البناء العددي المنطلقات الفلسفية التي ورثها عن الفلاسفة العرب أو تلك المصطلحات الواصفة، التي أبان بها عن مكنون آيات القرآن، وهو ما نلمسه في تقسيم دلالة المعقول إلى ثلاثة أصناف: الممتنع والجائز والواجب، وهي أقسام من صلب العقيدة إذ تداولها الأشاعرة في معرض تقسيم صفاته تعالى، وخالفهم الجمهور في هذا الباب.

وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدلّ على سعة اطلاعه، وقوة مداركه الأصولية والفلسفية الكلامية، يقول ابن البناء العددي: ((ومن جهة العقل تكون النسبة في تركيب الأخبار إما واجبة وإما ممتعة وإما ممكنة))²، فهنا يحدد ويعتبر أن المعاني، إما تكون في الأذهان فقط، أو تكون في الأعيان خارج النفس، لا بالنسبة إلى ذهن ولا إلى خارج عنه، وهو ما نقله عن شراح أرسطو في حديثه عن الأعيان والأذهان، وما يعتري المسألة من اعتبارات فلسفية، تناولها ابن سينا وابن رشد قبل ابن البناء العددي نفسه.

و ينبغي لنا أن نشير، إلى أنّ ابن البناء العددي من أنصار المعنى، استناداً إلى الكثير من القرائن التي وجدت في مختلف كتبه، وإلى الكثير من الآراء المعبرة عن فكر الرجل، خاصة ما جاء في تقريره أو حديثه عن الإخلال والحشو فقال: ((ومتى كانت المعاني بيّنة بنفسها أو بقرينة سياق الكلام أو غيرها

¹ - رضوان بن شقرون، مؤلفات ابن البناء وطريقته في الكتابة، مجلة المناهل، الرباط، المغرب، العدد: 32، 1985، ص 223.

² - ابن البناء العددي، الروض المريع، م.س، ص 77.

من القرائن كان الإيجاز نافعا، لأن الألفاظ غير مقصودة لذاتها إنما هي لإيصال المعنى إلى النفس))¹ وهذا الكلام لا مرء في أنه قصد به الانتصار للمعنى، على شاكلة المشاركة.

وبعد فراغه من الحديث عن الدلالة وأقسامها وتفرعاتها، انزاح إلى الحديث عن الكلام في الفصل الثاني من الباب الأول، فقال: ((وينقسم القول إلى موزون مقفى وهو المنظوم، وإلى غير ذلك وهو المنثور، ويستعمل كل واحد منهما في المخاطبات وهي على خمسة أنحاء على ما أحصيت قديما))²، ومن منطلق حديثه عن القول، يفرد الحديث عن الموزون المقفى، الذي يعدّ منه المنظوم، ولا يسميه شعر إلا بعد تمام تقسيماته، رابطا محلّها في الخطاب إلى فروع وأنحاء.

ونحن نتصفّح هذا الفصل، عنّت لنا خصيصة لازمة في ثناياه، تحدّد من وراء حديثه عن البرهان والجدل والخطابة والشعر والمغالطة، ناقلا عن ابن رشد* كلامه، من غير إشارة لا تلميحا ولا تصريحاً،

¹ - ابن البناء العددي، م. س، ص 83 - 84.

² - م. نفسه، ص 81.

* يرى ابن رشد أن أصناف الدلائل ثلاثة: الدلائل الخطابية والدلائل الجدلية والدلائل البرهانية، ويرى أن أنواع الأقيسة كثيرة منها: القياس البرهاني، الجدلي، الشعري، وينظر: الروض المريع، ص 8، نقلا عن، ابن رشد في كتابه: فصل المقال. وبعد أن تصفحنا تلخيص كتاب الشعر لابن رشد، وجدناه لا ينفك عن ما قرره أرسطو، إذ قبل أن يعرف الشعر انطلق في الحديث عن مقدمة وضعها، فيقول: (والتخييل والمحاكاة في الأقاويل الشعرية تكون من قبل ثلاثة أشياء: من قبل النغم المتفقة، ومن قبل الوزن ومن قبل التشبيه نفسه) وعلى اعتبار أن هذه الموجودات الثلاثة قد تنفرد وقد تجتمع فقد أكد على اجتماعها في الموشح، أما غيره فقال فيه: (إذا كانت الأشعار الطبيعية هي ما جمعت الثلاثة أمور ... فإن أشعار العرب ليس فيها لحن وإنما هي إما الوزن فقط أو الوزن والمحاكاة فيها معا، وإذا كانت هذا هكذا فالصناعات المخيلة أو التي تفعل فعل التخييل ثلاثة: (صناعة اللحن وصناعة الوزن، وصناعة عمل الأقاويل المحاكية)، وهذه هي الصناعة التي ننظر فيها في عمل هذا الكتاب) ويزدنا توضيحا حول نوعية بعض الموزون مما لا يدخل في نطاق الشعر لأنه عار عن التخييل والمحاكاة، فيقول: (وكثيرا ما يوجد في الأقاويل التي تسمى أشعارا ما ليس فيها من معنى الشعرية إلا الوزن فقط)، وعن حد الشعر، يذكر المواصفات التي تدخل الشاعر وشعره في بوتقة الشعراء فيقول: (ولذلك ليس ينبغي أن يسمى شعرا بالحقيقة إلا ما جمع هذين وأما تلك فهي أن تسمى أقاويل أخرى من أن تسمى شعرا)، ثم يبدأ الحديث عن المحاكاة بالفعل والقول ويستطرد الحديث عن المديح وما يشكله في علاقته مع التخييل والمحاكاة. ينظر: ابن رشد، تلخيص كتاب الشعر، تح: تشارلز بتروث، أحمد عبد الحميد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، 1986. ص 56 وما بعدها.

ولا ندري ما السبب في ذلك؟؟، و لكن ما ينفعنا هنا، هو تعريفه للشعر والبرهان والخطابة، ومحاولة الفصل ما بين الشعر والمغالطة في مقابل البرهان والجدل.

*- مفهوم الشعر عند ابن البناء العددي:

أما الشعر فلم يرجع فيه إلى التعريف المتواتر عن قدامة بن جعفر الذي ((أراد أن يصحح غلطا آنس أنّ من كان قبله من الناس قد تردّوا فيه ... فحدّد للشعر حدا مائزا له عما ليس بشعر فالشعر عنده: قول موزون مقفى يدل على معنى))¹، وهو بهذا المعنى قد استعمل القياس المنطقي القائم على مقدمة كبرى وصغرى ونتيجة، من أجل الوصول إلى تفاوت الشعراء في قرص الشعر، وتحديد نوعيته، وفق المستويات الثلاث، التي سنّها صاحب كتاب نقد الشعر، مع إمكانية الحديث ((عن الصناعة الشعرية وعن الكيفية التي يتم بها تشكيل الشعر، في ضوء تلك الصناعة، وما يستلزم ذلك من عدّة معرفية شاملة وذخيرة أدبية واسعة))²، وهذا الطرح انعكس على كل النقاد الذين جاءوا بعد قدامة بن جعفر، وكثير ممن حافظ حتى على هذا التعريف اللهمّ إلا من زاد في أطرافه مما خدم منهجية تفكيره أو نمط الكتابة التي ابتدعها لنفسه.

ولكنّ ابن البناء العددي، أخذ شطرا يسيرا من هذا وتصرّف في الباقي، حين صنّف و ألحق الشعر بالمغالطة، التي مردّها في كليتها إلى الكذب، فقال فيه: ((الشّعْر هو الخطاب بأقوال كاذبة مخيلة

¹ - العاكوب علي عيسى، التفكير النقدي عند العرب ، الجزائر، دار الوعي للنشر والتوزيع، ط9، 2012، ص204.

² - محمد الأمين المؤدب، في بلاغة النص الشعري القديم- معالم وعوامل، منشورات كلية الآداب، تطوان، المغرب (د ط) 2011، ص 9.

على سبيل المحاكاة يحصل عنها استفزاز بالتوهمات))^{*}، وهذا ما يؤدي إلى نتيجة حتمية مفادها أن ((الشاعر يخلق عملاً فنياً مجسداً... ولا يستطيع أن يؤدي وظيفة الناقد التقويمية ألا وهي إطلاق الأحكام))¹، أما حازم فيعرف التخيل بقوله: ((والتخيل أن تتمثل للسامع من لفظ الشعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه أن نظامه و تقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخليها و تصورها أو تصور شيء آخر بها انفعالا من غير رؤية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض))²، وقد كنا أشرنا إلى اختلافه عن أرسطو في الكثير من القضايا، سابقاً.

ومنه تنشأ لدينا معرفة حقيقية، بما هو في تعريف ابن البناء العددي، من عدم الخروج عن المقاس الأرسطي، ولا عن البلاغة العربية التي آمنت بالتخيل والمحاكاة، فأرسطو قد ربط دائماً الاستعارة بمفهومي التخيل و المحاكاة، ((التي هي طبيعية فطرية في الإنسان، ولها يرجع الفضل في إخراج الخطاب من عالم المؤلف إلى عالم غير مؤلف وهذا التخيل جوهر في الأقاويل الشعرية))³، على ما أخرجه القرطاجني وأوضحه كل من سار في فلكه.

^{*} - يعرف كولوريدج التوهم بأنه (القدرة على استحضار صور متباينة لشبه فيما بينها والوهم بذلك طاقة قادرة على الجمع والحشد... وفي هذه الحال تكون العلاقة التي تربط بين هذه الصور علاقة قائمة على المصادفة، والاتفاق وهي أشبه بتداعي المعاني) ينظر: سعد مصلوح، حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخيل في الشعر، سلسلة عالم الكتب القاهرة (د ط) ، 1978، ص 105 .

¹ - روني وليك، مفاهيم نقدية، ترجمة، محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، (د ط)، 1987، ص 339.

² - فاطمة عبد الله الوهبي، نظرية المعنى عند حازم القرطاجني، م. س، ص 284.

³ - عمر أوكان، أرسطو والاستعارة، مجلة فكر ونقد، السنة 2، ع 17، مارس 1999، دار النشر المغربية الدار البيضاء ص 207.

وعليه فلا نتعجب من تعريف ابن البناء العددي للشعر، كيف أنه ربط الشعر بالكذب والتخييل والمحاكاة، مما ينتج عنها في النهاية توهمات، لأن الشاعر يبني الكثير من أفكاره على التخييل* بتوظيفه (المجاز والاستعارة والكناية) والإتيان بعنصر المحاكاة، فيحصل تزييف للحقائق وكذب وشطط، فألحقه بذلك ابن البناء العددي بالقسم الثاني، في التقسيمات السالفة الذكر.

إن الذي يتبع كلام ابن البناء العددي، يجد أنه يقسم الكلام إلى: ماله علاقة بطريق الحق مستعينا ومعضدا قوله بالآية الكريمة ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾* أما ما عدا ذلك فهما (خارجان عن باب العلم وداخلان في باب الجهل)¹، ولا غرابة حين نبذه قد علق المنظوم على الشعر وغير الشعر، ولا يعتبر النظم شرط صحة الشعر لأن النثر يستهويه أكثر من الشعر، ومستنده هنا قول ابن سنان الخفاجي الذي يشير إلى كلامه صراحة، وينقل ما جاء عنه في هذا المقام من غير تحوير أو تحويل، فيقول: هو ((فضل يستغنى عنه ولا تدعو الحاجة إليه))²، فهذا التعليق على قصره يحتمل الكثير من الدلالات، والتفسيرات.

أما إذا ما توجهنا شطر المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، لأبي القاسم السجلماسي وجدنا أنفسنا أمام تعريف اتسم في مجمله بالدعاية المنطقيّة، وتحويره وفق ما أخذه عن شيوخه فقال ((إنّ الذي استقرّ عليه الأمر في صناعة المنطق، عند محقّقي الأوائل هو أنّ موضوع الصنّاعة الشعريّة هو

* - يقول القرطاجي (وينبغي أن تكون الأقاويل المقنعة الواقعة في الشعر تابعة لأقاويل مخيطة مؤكدة لمعانيها مناسبة لها فيما قصد بها من الأغراض، وأن تكون المخيطة هي العمدة وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأقاويل المخيطة الواقعة فيها تابعة لأقاويل مقنعة مناسبة لها مؤكدة لمعانيها وأن تكون الأقاويل المقنعة هي العمدة)، ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص362 .

* - سورة النحل ، الآية: 125 .

¹ - ابن البناء العددي، الروض المريع، م.س، ص 82.

² - م . نفسه، نفس الصفحة. نقلا عن الخفاجي من سر الفصاحة ، ص340 .

التخييل والاستفزاز، والقول المخيّل المستفزّ من قِبَل أنّ القضية الشعريّة إنّما تؤخذ من حيث التخييل والاستفزاز فقط))¹، وهذا ما توصل إليه السجلماسي بعد طول نظر في الرأيين الذين وجدهما أمامه، وخيّر بينهما، فرجّح الأوّل.

أما البرهان : فيرى ابن البناء العددي أنّه: ((الخطاب بأقوال اضطرارية يحصل عنها اليقين وأما الخطابية : الخطاب بأقوال مقبولة يحصل عنها الإقناع))²، ومرد هذا التعريف بهذه الصيغة والكيفية، إلى أنه سوف يستعمل هذا البرهان المنبثق من اليقين في تبرير موافقه، أما الخطاب فمصدره المتكلم وضرورة الفصاحة والبلاغة في هيئة صاحبهما.

وعليه، فالمتتبع لهذه النصوص يجد اهتماما بالمتلقي وأكثر من هذا؛ عناصر الرسالة في مجملها متوفرة في كلام ابن البناء العددي، بل ويستدعي القارئ كمثل حي في كلامه، إذ يقول في توضيح هذه المسألة : ((والأسباب التي يغمض الكلام على السامع ستة: اثنان في اللفظ بانفراده: أحدهما أن تكون الكلمة غريبة الآخر أن تكون من الأسماء المشتركة، واثنان في تأليف اللفظ : أحدهما فرط الإيجاز والآخر الإغلاق في النظم، واثنان في المعنى... وكل ما يسهل في الوصول إلى المطلوب فهو محبوب وكل ما يعوّق عنه فهو مكروه))³، على اعتبار أن الإيجاز من علامات البلاغة والتطويل من أمارات القول الثّمَام.

ولا ينبغي لنا أن نبرح هذا المقام، إلا بعد أن نستفرغ الجهد في قراءة ما توصل إليه ابن البناء، في معرض تقسيمه للفظ إلى حقيقة ومجاز، وهو مدار الباب الثاني والثالث من الكتاب من حيث ابتكاره

¹ - السجلماسي، المنزح البديع، م.س، ص274.

² - ابن البناء العددي ، الروض المريع، م.س، ص81.

³ - ابن البناء العددي، م. السابق، ص83.

مسألة كلييات* البلاغة، التي بناها على النمط المنطقي الرياضي والفلسفي المحض دون المرور على الكثير من الاصطلاحات النقدية والبلاغية، التي ورثها عن من سبقه سواء أكانوا مشاركة أو مغاربة، ذلك أن ابن البناء العددي وعلى حد تعبير المحقق رضوان ابن شريفة أنه ((استطاع أن يقدم في الكتاب صورة رائعة للبلاغة والبديع في عصر طغت فيه المناهج العلمية الجافة على الدرس البلاغي))¹، وهذا سبب تأليف ابن البناء لهذا الكتاب.

*- مفهوم البلاغة:

بهذا التقديم المنطقي المتسلسل، والذي أنشأ من خلاله جسر التواصل ما بين المنطق والفلسفة والبلاغة، يريد أن يوصلنا إلى نتائج جد مهمة سواء كانت ممهدة لدرس جديد، أو اجترار من نوع خاص، راح يتحدث عن مفهومه الخاص عن البلاغة وما تحويه من علوم وصناعات أخرى، فقال عنها* : ((والبلاغة هي أن يعبر عن المعنى المطلوب عبارة يسهل بها حصوله في النفس متمكنا من الغرض المقصود، وليس كل واحد من الناس يسهل عليه الوجيز ولا كلهم لا يفهم إلا من البسيط، بل هم على

* - الكليات: (ما من شأنه أن يحمل على أكثر من واحد، والكليات محيطة بالجزئيات وحاصرة لها) وأقسامها 5: الجنس، النوع، الفصل، العرض العام، الخاصة) ينظر: فريد جبر وآخرون، موسوعة علم المصطلحات عند العرب، ط1، مكتبة لبنان، 1969، ص736. وما بعدها .

¹ - ابن البناء العددي، الروض المربع، ص48، من كلام المحقق في معرض الحديث عن قيمة الكتاب وانتمائه العلمي للتأليف المبدع: حازم وابن البناء و أبو القاسم السجلماسي.

* - - ذكر في القرآن ما يدل على الفهم الحقيقي لمصطلح البلاغة، في قوله تعالى من سورة النساء، الآية: 63، قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ ، فهذه الآية الكريمة تحيلنا إلى ما يقصد بالبلاغة في جانبها البلاغي، فجاءت صفة للقول وهذا القول ينبغي أن يكون لهم في أنفسهم. ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفانها، ص19.

ثلاث رتب))¹، فألحق المعنى الذي في النفس بالقصدية في القول، من منطلق الإيجاز موضع الإيجاز والحذف موضع الحذف، والإطالة موضع الإطالة.

إن المتمعن في هذا التعريف، يجده لا يجاري ولا يجتر التعاريف السابقة، بل يحاول أن يجد لنفسه تعريفاً جامعاً مانعاً لما وصل إليه ذهنه من تفكير في المسألة، ذلك أن البلاغة في تعاريفها عند المشاركة ارتبطت حيناً بالفصاحة، وطوراً آخر انفكت عنها مكونة خطاباً دلاليّاً خاصاً، ينشئ فوارق ما بين العلمين، وتمثيلاً لذلك نورد ما قاله الأصمعي في مفهوم البليغ: ((البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسّر))²، وهذه واحدة من طرق البلاغة الكثيرة الموصلة للمعنى.

ولا جرم من التأكيد على أنّ مفهوم البلاغة تطور* منذ القرن الأول، نتيجة لاتساع المدارك تارة، والمثاقفة تارة أخرى، حين دخل عليها ترجمة فنّ الخطابة والشعر لأرسطو، وطُعّم الدّرس البلاغي العربي بالمفاهيم الفلسفية، وأعيد النظر في الكثير من التعاريف والحدود، وحتى مسألة نحت المصطلحات وتوليد الدلالة منها، حتى اكتمل على ما اكتمل عليه الدرس النقدي والبلاغي.

ولئن رجعنا إلى تعريف ابن البناء العددي، نجده يقف على شيئين أساسيين، يحاول ضمنا الوصول إليهما، خاصّة إذا ما وضعنا في الحسبان ما جاء في ثنايا هذا الفصل بعد التعريف فأولهما:

¹ - ينظر: ابن البناء العددي، الروض المريع، م.س، ص 87.

² - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، م.س، ص 113.

* - في الثقافة الغربيّة فإن المقابل لكلمة بلاغة تتردّد بين ثلاث مفاهيم كبرى: 1- المفهوم الأرسطي الذي يخصّصها لمجال الإقناع وآلياته، وهو ما حاول بيرلمان حديثاً إعادته. 2- المفهوم الأدبي الذي يجعلها بحثاً في صوّر الأسلوب، وهو ما حاول بارت وجماعة مي بلورته حديثاً. 3- المفهوم التّسقي الذي يسعى لجعل البلاغة علماً أعلى يشمل التخيل والحجاج معا... فكانت نفضة البلاغة حديثاً منصّبة على استرجاع البعد المفقود في تجاذب بين المنطق الأرسطي والبعد الأدبي. ينظر: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، ص 12.

- التركيز على مسائل البلاغة العقائدية - على حد تعبير حمادي صمود¹ - بحيث توظف لغايات جدلية إقناعية، تبعا لظروف وحاجات المتكلم من خطابه، وهو ما نلمسه في فن الخطابة* عند اليونان.

- التركيز على وصول المعنى للنفس بأيسر الطرق وهو ما يتعلق بالبنية الأسلوبية للنص في تعالقتها مع النظم ومستويات بناء الفهم من حيث الو جازة والتبسيط.

وعلى هذا الأساس نجده قد وضع على هامش وحاشية كتابه أنّ البلاغة ((التعبير عن معنى سديد بلفظ شريف رائق مُنبئٍ عن المقصود من غير مزيد فيه))². وحتى وإن لم يجتر ابن البناء العددي التعاريف السابقة له، فإنه قد اتّبع طريقة جديدة في رسم الحدود ووضع التعاريف انطلاقا من الفهم العام للمبحث المراد الدخول إلى غياهب معارفه، ومواضيعه المهيمنة على خصوصياته الموضوعية، ذات طابع بلاغي أو نقدي على العموم، ناهيك عن تفرقه ما بين البلاغة والفصاحة وعلم البيان وصناعة البديع، كما سيأتي تفصيل ذلك.

¹ - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، م.س، ص 115.

* - من منطلق مسألة الحجية والإقناع، يبرز إلى السطح الحديث عن "الخطابة والبلاغة"، التقارب والتباعد، التداخل والتنافر، يقول عمر أوكان: (يطرح المصطلح البلاغي على المترجم إشكاليته منذ البدء انطلاقا من مصطلح (rhétorique) ذاته، فبماذا نترجم : هل البلاغة ؟ هل الخطابة؟ أم نزاوج بينهما مثلما فعلت بعض (المعاجم الموحدة للمصطلحات اللسانية)، ومنشأ الخلاف هنا الانشطار في الترجمة الناتج عن الدلالة المزدوجة للمصطلح السالف الذكر إذ هو فن القول وأناقته التعبير من جهة، كما أنّه الكلام الهادف من جهة أخرى) وفي تراثنا النقدي ترجمه متى بن يونس إلى البلاغة وعند أرسطو الخطابة، أما ابن البناء فقد جمع ما بين المفهومين ليصيغ مفهوما مركبا في قوله ص 81 من الكتاب: (الخطاب بأقوال مقبولة يحصل عنها الإقناع). ينظر : عمر أوكان، اللغة والخطاب، ص. 101 . وينظر ما في الصفحة (118)، من حديثه عن البلاغة عند حازم والتي ردها إلى علم الأدب المشتمل على صناعتي الخطابة والشعر المشتركتين في مادة المعاني والمختلفتين بصورتين التخيلية والإقناع، من منظور الأوجه السبعة التي أشار إليها صاحب كتاب اللغة والخطاب، ص (118).

² - ابن البناء العددي، الروض المربع، م.س، ص 87.

ولو رجعنا إلى القرن الثاني من التأريخ الهجري مثلا، لوجدنا الجاحظ يعرّف البلاغة انطلاقا من تصوّره للفصاحة، عن طريق المزج ما بين المفهومين، وما يعتري ذلك المزج من تداخل إلى حدّ التشاكل والتطابق، فيقول: ((لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك))¹، على أننا نوجّه العناية إلى أنّه منح للألفاظ اهتماما عظيما وعناية خاصة، وعبر عنها في قولته المشهورة على ألسنة العامة والعلماء ومفادها أن: المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، ولكن العبرة عند الجاحظ باختيار الألفاظ وحسن السبك وصحة الطبع، وتلكم هي الأساسات التي يبني الجاحظ عليها فلسفته.

وبغية الاستزادة، فقد أوجد ابن البناء العددي للبلاغة (البديع) ثلاث مستويات تتعلق بالملقي، الذي يحاول فهم وتفكيك شفرة الرسالة الموجهة إليه، انطلاقا من دلالة الخطاب نفسه* فجعل الخطاب الوجيز، متعلق بمبحث الإيجاز، والثاني الخطاب البسيط وربطه بمبحث المساواة، أما الخطاب المتوسط فجعل مبحث التطويل مستنده، كما ربط أساليب الخطاب بأحوال المستمعين والمتلقين، ومثّل لذلك بما جاء في القرآن الكريم من قصص.

ولا يعزّب عن ابن البناء العددي، استعماله لهذه المستويات، إلا إيمانا منه بأن يكون للملقي

¹ - الجاحظ، البيان والتبيين، م. س، ج1، ص 115.

* - من الملفت للنظر ونحن نتصفح كتاب تودروف، المبدأ الحواري، لفت انتباهنا إلى معالجته لهذه المستويات من منظور دلالي حديث فقال: (من المهم بصورة خاصة أن نلفت الانتباه هنا إلى التمييز الشديد بين الأنواع الخطابية الأولية (المفردة) والأنواع الثانوية (المعقّدة) وليس هذا التمييز وظيفيا . إن الأنواع الخطابية المعقّدة - الروايات والمسرح والبحث العلمي من كل الأنواع، الأنواع الصحفية الكبرى إلخ، تظهر ضمن شروط للتواصل الثقافي أكثر تعقيدا وأكثر تطورا وتنظيما : وبالضرورة ينبغي أن يكون هذا النوع من التواصل الفني والعلمي مكتوبا (تزفتان تودروف، مخايل باختين، المبدأ الحواري، ترجمة: فخري صالح، الطبعة العربية الثانية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1996، ص 156.

((القدرة على صياغة كلامه في مستوى فهم السامع، وثقافته ومرتبته الاجتماعية... فعلى الأديب أن يراعي أحوال جمهوره ويحاول أن يصوغ أدبه بأسلوب تستطيع معه كل فئة أن تشارك في فهمه... وإلا طاش سهمه وأخطأ الغرض الذي يسعى إليه))¹، ويبقى لنا أن نشير إلى أنّ جلّ النقاد والبلاغيين العرب على مدار زمن معين، قد اهتموا بالمتلقي وفائدة الخطاب، التي تؤتي أكلها بعد الاستقرار في ذهن المرسل إليه، بعد أن تصدح الألسنة بها.

لقد التزم ابن البناء العددي ببعض ما جاء لدى الجاحظ، من معارف بلاغية ونقدية جدّ مهمة، وركز تدخلاته على تلك المختلف حولها بين المشاركة، ومجدداً الحديث كل مرّة عن أهمية التعبير بالمصطلح الصائب الذي يركز على مفهوم موحد، ولكنه حاول التأكيد على وجود فوارق ما بين "الفصاحة والبلاغة"^{*} ومتجاوزاً حازم القرطاجني، الذي لم يمنح البلاغة تعريفاً جامعاً لها، وإنما ربطها بالخطابة والشعر، وفاق السجل ماسي الذي أكد على أن البلاغة متمثلة في عشرة أجناس، دونما صياغة للتعريف.

*- مفهوم الفصاحة و صناعة البديع:

صنع ابن البناء للفصاحة تعريفاً، وميز لأطراف الرسالة المبتوثة، جملة من القوانين، لم تخرج في مجملها عن تراث المشاركة على وجه الإطلاق، وإنما نجد الخلاف واضحاً وجلياً في الكثير من التوجهات ذات مصداقية معرفية، في جانبها النقدي والبلاغي في إطار تحديد المصطلحات، في نوع من التماسف الدوكسولوجي الذي يمنحه حرية المبادرة والتجاوز.

¹ - ميشال عاصي، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، (د ط)، مؤسسة نوفل بيروت، لبنان، ص 33.

* - تجدر الإشارة إلى أن ابن البناء العددي فرّق ما بين الفصاحة والبلاغة بدعوى أنّ لهما أصلين مختلفين، في أول الوضع، فالفصاحة وضعت للتخلص من الشوائب أما البلاغة فاعتمدت على مفهومي الوصول والانتهاء، يقول فضل حسن عباس: (الفصاحة والبلاغة والبديع والبراعة) كلها تدل على شيء واحد وهو الكلام الجيد السهل. ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص 18.

وعلى هذا الأساس عرّف الفصاحة* بأنّها ((مشاكلة اللفظ للمعنى))¹ ، ونلمس في هذا التعريف موافقته لما جاء في لسان العرب (مادة فصح) يدل في مجمله على الظهور والإبانة والبيان، وموافقة اللفظ للمعنى، وجعل لذلك مقومات لا بد من التنبه إليها فقال: ((... فإذا اجتمع على الكلام أن يكون لفظه فصيحاً بسهولة مخارجه، وعذوبته في السمع وسهولة تصور معناه وحسن مبانيه بالمشاكلة العقلية، والنظام الطبيعي واتساع الفهم في لوازمه فهو العالي الدرجة))² فهذه شروط قد وضعها الجاحظ نفسه وقدامة بعده، ولكن دون فصل ما بين البلاغة والفصاحة فقد أشار أحمد مطلوب ((إلى جملة من تلك المواصفات وفق التدرج الكرونولوجي للنقاد))³ معرّجاً على مسألة المستكره من الألفاظ، والمتنافر من الحروف، داخل البيت الواحد والجملة الواحدة من النص، ومع هذا فإن ابن البناء العددي قيّد الفصاحة* ضمن الأطر الأربعة التي حددها:

- سهولة المخرج
- حسن التصور الذهني أو العقلي
- العذوبة في السمع
- اتساع الفهم = العالي الدرجة

* - إن أول من تحدث حديثاً شافياً عن الفصاحة ، هو ابن سنان الخفاجي، (- 432) في كتابه سر الفصاحة ، ومن بعده اغتفروا منه ، مثال ذلك ابن الأثير .

¹ - ابن البناء، الروض المريع، م.س، ص 87.

² - ابن البناء، م. نفسه ، نفس الصفحة.

³ - ينظر: أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، م.س، ص 37 وما بعدها.

** -- من الذين تناولوا الفصاحة بنوع من الاستقلالية المعرفية - إن جاز التعبير - عن البلاغة ، على سبيل التمثيل لا الحصر، السكاكي في مفتاح العلوم، والذي تحدث عن الفصاحة من الجهة المعنوية، حيث السلامة من التعقيد ومجارات الألفاظ على سنن العربية، سليمة عن التنافر، ومثله ما تناوله ابن سنان الخفاجي في " سر الفصاحة" حيث قصر الفصاحة على الألفاظ، وجعل البلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ على المعاني، كما جعل أبو هلال العسكري الفصاحة مشدودة إلى تمام آلة البيان، فالآلة تتعلق باللفظ دون المعنى، ولعلنا ننقل كلاماً لابن سنان يشفي الغليل حين يقول: (إني لما رأيت الناس مختلفين في ماهية الفصاحة وحققتها ، أودعت كتابي هذا طرفاً من شأنها ، وجملة من بيانها ، وقربت ذلك على الناظر وأوضحته للمتأمل) ينظر: ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تحقيق، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي صبيح، 1969، ص 3 .

في حين، أننا لا نكاد نعثر عند حازم القرطاجني على مثل هذا التأسيس، اللهم إلا ما ذكره من مجاورة الفصاحة للبلاغة، مع الإشارة إلى حسن موقع الكلام في النفس، الذي يعتبر شرطاً من شروط البلاغة ومرادفها الفصاحة عنده.

وهذا الكلام الذي يكون من الدرجة العالية والمنزلة الرفيعة، ويشهد له أولوا الطبقات الشريفة، له صناعة متكفلة به وهي ((صناعة البديع والعلم الذي منه هذه الصناعة هو علم البيان، والصناعة من حيث هي صناعة إنما تعطي القوانين الكلية التي تنضبط بها الجزئيات المدرجة تحتها))¹، فعلى ضوء هذا التقديم الهام، بنى ابن البناء العددي المراكشي مفهومه وتصوره للبديع، بالتساوق مع الفصاحة وعلم البيان، الذي أثبت له صفة الكمال، وألحقه بالتوفيق من الله تعالى، مصرحاً بقوله:

((فهو شيء يفيضه الحق من عنده على الأذهان، ويشهد به العقل الصريح لا باستفادة من إنسان إنما يحصل من المخلوقين التنبيه على العلم الذي علّمه الله خلقه))²، فكان له أن انشغل بالصناعة التي تنضبط، بخلاف العلم بالبيان الذي ينم عن توقيف، من دون اكتساب.

فمن هذا المنظور، حدّد ابن البناء العددي دلالة الصنّاعة، على وجه يختلف عما حدّده الجرجاني* صاحب التعريفات، فقال: ((والصناعة من حيث هي صناعة إنما تعطي القوانين الكلية التي تنضبط بها الجزئيات المدرجة تحتها))³، مفرّقاً بذلك ما بين العلم الذي ((يميّز الكليات ويميّز الجزئيات، ويميّز بين

¹ - ابن البناء، الروض المربع، م.س، ص 88.

² - ابن البناء العددي، الروض المربع، م. السابق، نفس الصفحة.

* - يعرف صاحب التعريفات الصنّاعة بقوله: (العلم المتعلق بكيفية العمل)، ينظر: سعاد صالح فريح التفقي المصطلح النقدي والبلاغي عند ابن البناء المراكشي، رسالة ماجستير، مخطوط، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، تحت إشراف الدكتور، حامد صالح الربيعي، سنة/ 1423هـ، 2002م، ص: 57، نقلاً عن القاضي الجرجاني، التعريفات، ص 134 .

³ - ابن البناء، م. س، ص 88.

جزئيات كلي وجزئيات كلي آخر حتى لا يختلط شيء بشيء ولا يشتبه في العلم شيء مما يشتبه في الصناعة¹، فهذا نص صريح في إعادة تشكيل دلالة كل من الصناعة التي تنبني على صناعة القول ودلالته على المعنى المقصود، بحيث يكون مستندها العلم الذي منه البيان.

فمحتوى العلم عام، كلي، تندرج أسفله صناعة البديع، والعلم متعلق بالمعاني، من حيث الوضوح وحقائق الأشياء، بخلاف الصناعة متعلقة بالألفاظ ولا فرق بين صناعة البديع وصناعة البيان، أما علم البيان فوقهما، ((فإطلاق علم البيان على الصناعة أمر غير سديد))²، لأنه مما أفاضه الحق على الإنسان.

فإذا كانت الصناعة اللفظية أو البديعية، تحتمل أوجهاً مختلفة عند النقاد من غير ابن البناء العددي ذلك أنها كانت تعني عندهم ((خبرة الشاعر وحذقه ومهارته التي تعينه على إجادة فنه))³، فإن ابن البناء المراكشي، يعتبرها جزءاً من الكل، هذا الكل الذي أبان عنه في كتاباته المتنوعة في محاولة تقريبه لحدود المنطق، والتي نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر، القانون الكلي في المنطق، وكتاب كليات في المنطق، وتشكل الرسالة التي ألفها في اللوازم العقلية التي تنبني عليها العلوم بمختلف أضرها، حجرة الأساس في معين الفكر البنائي أو البنائي على حد تسمية عمر أكان.

يكشف عباس أرحيلة عن الفرق الجوهرية، بين علم البيان وصناعة البديع، الذي استنتجه من مضمون تحليل ابن البناء، ومحاولته إيجاد تفرقة منطقية تصب في التوجه الذي ارتضاه منذ البداية في كتابه الروض المريع في صناعة البديع، فيقول: ((علم البيان لا ينحصر وصناعة البيان قد تنحصر... وعلم

¹ - م ، نفسه، نفس الصفحة .

² - ابن البناء العددي، الروض المريع، م. س، ص 89.

³ - إدريس الناقوري، المصطلح النقدي في نقد الشعر، ليبيا، المنشأة العامة للتوزيع، ط2، 1972م، ص 269.

البيان هو الأصل، يميّز الكليات ويميّز الجزئيات، وصناعة البديع ترجع إلى صناعة القول ودلالته على المعنى المقصود¹، فالعلم لا ينحصر لأنه منحة من الخالق، أما صناعة البديع فمرجعيتها صناعة القول والتفنن فيه، وانتخاب ألفاظه حتى يستقيم الأود في الكلام.

وهنا لا بد من القول أن أرحيلة لم يضيف شيئاً، بل نقل التحليل من الكتاب، فعلم البيان عند ابن البناء العددي موهبة لا صنعة، لأنه لا يكتسب بالتعلّم، وهذه ((التفاته من المؤلف تدل على فطنة وتنبّه لجانب له أهميّة كبيرة في مجال الدراسة النقدية والبلاغية، والممارسات الأدبيّة الجيدة))²، وهو كفيّة الاستناد إلى الاستعداد الفطري والجانب الأهم في الموهبة الخلاقة للفعل الأدبي، وتكوين الإنسان البليغ. ويشترط ابن البناء العددي، في البديع أن يكون اللفظ بإزاء المعنى، والمعنى مواجهها نحو الغرض المقصود، فإن الأغراض لا تنحصر من جهة المعنى بهذا الشكل، بسبب تقسيم الصناعة بحسب الأغراض، ولكن قد تنحصر من جهة العبارة باللفظ، ((فلذلك أهل صناعة البديع حصروها بالاستقراء من جهة عوارض اللفظ إلى أقسام سموها بأسماء بينهم))³، والحصر هنا مرده إلى علاقة الصناعة بالكليات، التي اتضحت بعدها الجزئيات وهكذا تكون المسألة وفق التسلسل المنطقي المفضي إلى حقائق النصوص.

ولا يبتعد ابن البناء كثيراً عن مسألة جد مهمّة، وهي تداخل أقسام البديع وتركيبها، مما انجر عنه اختلاف في الأمثلة الجزئية، وفي أسمائها ومسمياتها، مما جعل منهم الكثير ومنهم المقل. والاعتماد على

¹ - عباس أرحيلة، ابن البناء المراكشي والبحث عن كليات البلاغة، مقال في مجلة كلية الآداب، جامعة القاضي عياض، مراكش، العدد 1992/8، ص 255-256.

² - رضوان بن شقرون، مقدّمة كتاب الروض المربع، م، س، ص 30.

³ - ابن البناء، الروض المربع، م. س، ص 90.

الاستقراء عند الأوائل، كان إيذانا بتداخل المصطلحات، وتشابك المفاهيم، بحسب ما نص عليه ابن البناء، مما انجر عنه تصادم لكثير من هذه المفاهيم وحدثت فوضى اصطلاحية، فما كان من ابن البناء العددي إلا محاولة تدارك الموقف، والرجوع بالبلاغة إلى سابق عهدها، متّكئاً على جوهر المنطق في التعليل والتحليل والبرهنة.

وصفوة القول، فإن المدرسة الفلسفية البلاغية المغاربية، تنظر إلى البديع ((نظرة ترادفية وتكاملية وتراجعية عما آلت إليه مصطلحات هذا العلم، ... فهي ترادف البلاغة في شمولها ... كما أنها تتكامل في الأسلوب مع كل مصطلحات البلاغة والفصاحة... ولم يخرج ابن البناء عن معنى البديع كونه ظاهرة جمالية تفرزها محسنات أسلوب الخطاب))¹، ومنه فلا غرو من التأكيد على علمية ابن البناء العددي، من خلال استنباطه الفروق الجوهرية بين مختلف التيارات، ناهيك عن علم البيان الذي ((يمثل النظرة الفلسفية في النقد والبلاغة التي قامت عليها بنائية المنزع ... وكان الرواد الأوائل أحسن إطلاعا على منطق أرسطو وأعمق فهما لمضمون كتابيه، " الشعر " و " فن الخطابة " والبلاغيين الذين عرفتهم القرون السابقة))²، حيث وظفوا الكثير من مباحثه في منهج وتأليف مؤلفاتهم بصورة أو أخرى.

ولتوضيح الصورة أكثر وتقريب المشاهد البديعية، المقترنة بالصناعة اللفظية، نحتاج إلى إبراز الكم المصطلحي، والنوع الأدائي الذي وظفه ابن البناء العددي، ضمن اعتماده المطلق على الاستقراء والاستدلال، ودورانه في حدود نظرية التناسب التي جاءت من أجل ((تنظيم البلاغة وتأويلها

¹ - علال الغازي، مقدمة كتاب المنزع، م.س، ص 491-492.

² - علال الغزي، م. س، ص 496.

والاستدلال على معانيها)¹، وهو ما سنتعرض له بالتفصيل في ثنايا الفصل الثالث ضمن المجال الذي حدّدناه في البلاغة المعضودة بنظرية التناسب، وما استجد فيها من إمكانات البحث المباشر وغير المباشر، مما سيمكننا من تحليل العناصر البلاغية داخل الشواهد الشعرية والقرآنية داخل السند، الذي أراد له أن يمثل قالب التجربة والإفهام.

ولا جرم من التأكيد على أن ابن البناء العددي، تحدّث عن وجوه صناعة البديع واصطلاحه في خمسة عشر موضعا من الكتاب، إما مفسّرا، أو مؤوّلا أو باحثا عن وجوه أعمال النظر في النصوص من جديد، على أمل العثور على مكامن الإعجاز الذي بلور كل كتاباته من أجل الكشف عن الدلالات العميقة للكلمات داخل النصوص، أو خارجها ضمن ما يسمى حديثا في علم السّمياء، المحيط الخارجي والداخلي للخطاب.

إن القرن السادس الهجري وما بعده، وعلى الرّغم من التّطاحن السّيّاسي* والكثير من العوامل الأخرى، إلا أنّه عرف نقلة نوعيّة، بميلاد المدرسة الفلسفية هاته، كامتداد لأثر أرسطو((وعرفت البلاغة استمرارا آخر وتحوّلا آخر، وعرف البديع أمامه اندماجا جديدا وغيّابا اصطلاحيا كما غيّب علم المعاني وأعطى لعم البيان مفهوم علمي كلي ومقولي آخر عُوّض به علم البلاغة التي أضحت صنعةً تمارس

¹ - محمد مفتاح، مشكاة المفاهيم، م.س، ص 265.

* - لأجل الاستزادة في هذا المقام ينظر كتابين جليلين ، الأول : محمد شريف، تاريخ المغرب المريني وحضارته منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، 2011م ، والذي أبان فيه عن المعالم السياسية والثقافية والاجتماعية للمرينيين من 1244م إلى 1465م ف 221 سنة من الحكم كانت كفيّلة بوجود كم معرفي هائل متشكل من خليط ثقافي . أما الكتاب الآخر فهو : محمد المنوني، وراقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، جامعة محمد الخامس، 1979م، والذي أبان من خلاله عن الكثير من الزوايا المعتمة في التاريخ المريني وما جاورها من تذهب واعتقادات راسخة، ما انفك العلماء يكشفون زيفها، كما كشف عن التدخل الأندلسي في السياسة الحكم وما تعرض له العلماء جراء ذلك، من أمثال لسان الدين ابن الخطيب الذي أحرق في زمن أبي فارس عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن (- 779هـ).

أساليبها وطرقها تحت رقابة وتوجيه علم البيان¹، وهذا ما وُلد فيه نوع من الحركة المنطقية العلمية، ذات الجودة الاستدلالية العالية، وتحقيق مناط الاستدلال والاستقراء اللذين استعاض عنها ابن البناء بالاستنتاج، مما أعطى للدّرس البلاغي المغربي مصداقية القراءة والتوجيه.

وعلى الرغم من استنتاجات ابن البناء العددي بأن علم البيان فوق صناعته، التي جعلها حكراً على البديع، دونما الخوض في مسائل المعاني، - وإن كان قد أشار إلى ذلك ضمناً -، فإن الملفت للنّظر، أنّ كل ما يريد استنتاجه ينتقل فيه من الجزء إلى الكل، من أجل ضبط الظاهرة المراد معالجتها وفق البرهنة المنطقية الرياضية تارة، والصورية تارة أخرى، و التي تخضع العمل إلى دقة متناهية في الطرح والتحليل، وبناء معرفة عينية له؛ ومثال ذلك حينما أراد إثبات مسألة عدم حصر علم البيان بخلاف صناعة البديع. فقد مهّد بما عرفه الأصوليون في التّراجح والمرجوح، وما اعتوره من القوة والضعف المتعلقين بالدليل، مع مزجه بالفلسفة، خاصةً مبحثي العدم والإمكان إلى أن وصل إلى قوله: ((وكذلك سائر القواعد الكلية، المشتركة لبيان جزئيات العلوم كلّها هي من علم البيان فعلم البيان لا ينحصر وصناعة البيان قد تنحصر))²، فكأنه بهذا القول يدرج البلاغة والبيان ضمن إطار علم البيان، في شموليته الفطرية والبرهانية والكليّة.

وحين أتمّ المؤلّف الحديث عن المصطلحات الخاصّة بصناعة البديع، وصل إلى نتيجة مفادها أن أقسام البديع تلتفّ، وتتداخل أمثلتها الجزئية، وتفريعات أقسامها المشهورة وتصل حدّ الترادف والاشتراك اللّغوي، وهذا لا يضر الصناعة ما دام الاتفاق على الكلي قائم، والاستحواذ على ناصية الصناعة وارد،

¹ - ينظر: علال الغازي، مناهج النقد الأدبي بالمغرب، ص 495 .

² - ابن البناء، الرّوض المربع، م.س، ص 89.

والإلا لما وجدت كل هذه المدونات التقديية والبلاغية التي أشرت على بلوغ الدرس البلاغي المغاربي شأوه، عبر عصور متتالية ردحا من الزمن، ومفهوم المخالفة أن الذي يضر هو الاختلاف حول الكلي ومنه ستسلل الخطأ إلى الجزئي.

وعليه يعلّق ابن البناء العددي المراكشي بقوله: ((وقد تلتف أقسام البديع بعضها ببعض، فتتركب وتتداخل ... ولأجل ذلك يختلف أهل هذه الصناعة في الأمثلة الجزئية، ... وذلك لأجل اختلاف العبارات، وليس ذلك محلا بالصناعة فإنه قد وقع الاتفاق على الصور الجزئية التي فيها، فلا يضرُّ الاختلاف في إدراجها تحت أي كلي كان... وإنما يُحتاج إلى الأسماء والأجناس لأجل مخاطبة فيها وضبطها،...))¹، فكان له أن وضع كليات بعد استخراجها من الجزئيات التي تنحصر تحتها اعتمادا على قياس الشمول*.

وعليه فالحمود من الأساليب البلاغية عند ابن البناء، هو ما كان بعيدا عن التكلّف والحشو غير مطلوب بالتعسّف والغلط، ومنه رونق الفصاحة وطلاوة البديع، وفيه من المعاني ما كان مستنده القصد والبرهان، وجمال اللفظ ما كان متعلّقه إفهامك السّامع، والنزول عند رغبته الدلالية، مزاجا بين التبسيط والتقريب والتسهيل، وفق ((وعي النص ووعي القارئ))²، في جدلية الإلقاء والتقبل، ومدى وضوح أو خفاء الدلالة، عنهما معا.

وقبل الحديث عن صناعة البديع وكلياتها، والتي ابتدعها لا على مثال سابق، وكل ما تعلّق بالمصطلح البلاغي، لا بدّ من الإشارة إلى كيفية تعامل ابن البناء العددي وتعاطيه مع الدرس الفلسفي

¹ - ابن البناء، الروض المريع، م. س، ص 173.

* - قياس الشمول هو:]

² - بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المغرب الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط 1، 2001، ص 53.

ومكامن التأثير التي جعلته يُؤيِّ وجهه شطر المنطق الرياضي، من أجل البرهنة على ما جاء به من نظام استقرائي استنتاجي وفق منظور جديد على مستوى التبويب والتفصيل.

ولأجل ذلك سنعرِّج على تبيان أهم المعالم الفلسفية والمنطقية الرياضية التي وجدنا أن ابن البناء العددي قد جنح إليها، وتوسَّل بها نحو تحديد الغاية من كتابه الروض المريع في صناعة البديع، ومن الأمور التي عبَّر عنها صراحة أو متداخلة في ثنايا تفرعاته:

* - الاهتمام بالكليات وإدراج الجزئيات تحتها، حتى لا يختلط شيء بشيء ولا يشتهب فيها شيء بشيء، وهو ما جسَّده في الكثير من الفصول إن لم نقل محتوى جميع الكتاب، ولذلك ((كانت الأقسام الكلية التي فيها توضع بحسب ما يراه كل واحد))¹، والاستناد إلى الكليات أمر وارد في المواضيع الفلسفية من لَّدن أفلاطون.

* - الاستفادة من مؤلَّفات الفلاسفة السابقين له_ وإن كان لا يذكرهم إلا في القليل النادر_ ومحاولة استخدام المصطلحات الدالة على ما اتجه إليه والتي تخدمه في مجال بحثه، ومنها السِّبر والتقسيم والجنس، والقياس بنوعيه، والمادَّة بمفهومها الفلسفي، والمحال والجائز والممتنع والتناسب، والمشابهة بالمناسبة وغيرها من المصطلحات الواصفة والدالة.

وعلى ذكر الاستفادة من المصطلحات القديمة، لا بدَّ من الإشارة إلى القسمة المنطقية التي اعتمدها في الروض المريع في الفصل الأوَّل من الباب الأوَّل، حين قسَّم دلالة اللفظ على المعنى إلى ثلاثة أقسام، ثم قسَّم اللفظ بالنسبة إلى كل قسم من أقسام المعنى إلى أربعة أقسام، وهذه القسمة اعتمدها النحاة، ومثله قسَّم المركَّب معنى إلى أربعة أقسام كذلك، فكان أن جعل الأوَّل تركيب تقييد واشتراط،

¹ - ابن البناء، الروض المريع، م. س، ص 173.

وجعل من ضمنه النعت والمنعوت والمضاف مع المضاف إليه¹ ، وهكذا حتى انتهى من الأقسام الأربعة الباقية.

* - الاهتمام والتركيز على الأمثلة المصنوعة والشواهد المطبوعة، التي تغذي بطريقة أو أخرى التوجه البنّائي وهو ما نستخلصه في معرض حديثه عن التناسب والمناسبة في فصلين كاملين واللذين يشكّلان محور الدراسة برمتها، والتي وجدنا السجلماسي قد نقل تعريفها حرفياً عن ابن البناء العددي، ولا ضير إن تيمّمنا توجه القائلين بتأثير ابن البناء في فكر السجلماسي، على اعتبار فارق السنّ بين العالمين بناءً على ما ذكره الرواة وأصحاب السير والتراجم، من أمثال صاحب جذوة الاقتباس ومثله صاحب نيل الابتهاج وغيرهما.

وفي هذا الصدد يقول السجلماسي متحدّثاً عن التناسب وأنواعه ومجالاته: ((والمناسبة في أجزاء القول اسم جنس متوسّط تحته أربعة أنواع، الأول: إيراد الملائم، والثاني: إيراد النقيض، والثالث: الانجرار والرّابع: التناسب، وذلك لأن المناسبة في أجزاء القول هي على أربعة أنحاء))²، ثم يبدأ الحديث عن الأنحاء وسط ذكر لجملة من الشواهد التي تعضّد ما يذهب إليه، ممّا يبيّن ((استثماره منهاجية المقولات الأرسطية والشجرة الفرورية لتصنيف البلاغة العربية وترتيب أجناسها))³، ومن ثمّة نلمس نوعاً من تفصيله لما جاء مجملاً عند ابن البناء و تفسيره لما جاء مبهما ومؤولاً عنده، ولا غرابة في ذلك إذا ما علمنا أن هذا ما اختص به الرجلان، من شدّة تطعيم البحث البلاغي بالدرس النحوي والمنطقي وهلمّ جر.

¹ - ينظر: ابن البناء العددي، الروض المربع، م . س، ص 76 وما بعدها.

² - السجلماسي، المنزح البديع، م.س، ص 518.

³ - محمد مفتاح، مشكاة المفاهيم، م.س، ص 262.

* - الحديث المطول عن الشواهد البلاغية المراد بيان وجه استدلالها وفق معيارين:

1- ذكر وجه الدلالة من الشاهد دونما استطراد، وهذا ما لمسنا في كثير من الفصول نذكر على سبيل التمثيل، ما جاء في الفصل الثالث من الباب الثاني، من كلامه ((وجميع الاستعارات إنما إبدالات في المتناسبة))¹، ويسوق لنا ما يدل دلالة واضحة على مسعاه في ذلك من مثل ما ذكره من شطر لبيت الوأواء الدمشقي* الذي يقول فيه (وعضت على العنب بالبرد) ومثله ما ذكره في معرض استشهاده بشطر لامرئ القيس الكندي في قوله: (نؤوم الصّحى لم تنتطق عن تفضّل)، وما ذكره من تجزئته للشواهد القرآنية كثير في كتابه منها ما ذكره في فصل الحذف حين استشهد بقوله تعالى ﴿هُدًى لِّلْمُنْفِقِينَ﴾² وغير ذلك مما سيأتي تفصيله .

1- الاهتمام بصحة الشاهد دون الرجوع إلى جمالياته، وهو ما يؤكّد على ((الاستخدام الفعلي للشواهد المطابقة للقاعدة))³ فضلا عن استخراج وجه الدلالة منها ، ممّا جعله يختار هذه الشواهد وفق آليات تأويلية منطقية تارة وأدبية تارة أخرى.

هذه بعض أبرز السمات المنطقية والفلسفية، التي جعلت من ابن البناء العددي يستخدم كل ما أوتي من علم، بغية الإفراج عن مكنون غياهب الدرس البلاغي، والذي ستكشف من ورائه غايات الشاهد القرآني مثبتا إعجازيته الفدّة، وتكوينه الفريد، ومن ثمّة الرجوع بالدرس البلاغي إلى أوجّ صورته التي انبثقت منها أغلب الدراسات المعاصرة.

¹ - ابن البناء، الروض المريع، م.س، ص 115.

* - الوأواء الدمشقي، شاعر تويي (385هـ- /980م) وتمام البيت عنده : وأسبلت لأولّوا من نرجس وسقت وردا وعضت على العنّاب بالبرد، ينظر الهامش، من كتاب الروض المريع، الهامش، ص 116 .

² - سورة البقرة، الآية: 2

³ - سعاد صالح فريح الثقفي، المصطلح النقدي والبلاغي عند ابن البناء، م .س، ص 23

ولا نكاد نبرح هذا التفسير، حتى نجد أنفسنا أمام جملة من الكليات البلاغية، والقواعد العامة التي جعلها ابن البناء العددي محور البداية، قبل الخوض في جزئيات الأمور الاصطلاحية، التي يرجع سبب التكلف فيها إلى الحشو الذي طال أرجاءها الفسيحة، والمداد الذي نفذ بنفاذ المقالات المعبرة عن سر المحتوى الكامن في جدلية القراءة، عند كل دارس للبلاغة العربية في مشارق الأرض ومغاربها دونما حصر للمذاهب أو التيارات المحرك الأساس للنزوع .

ب - كليات البلاغة وصناعة المصطلح :

إن جدلية التفكير المنطقي في منهج البحث عن الكليات البلاغية عند ابن البناء العددي، على وجه الدقة منهج استنباطي - على حد تعبير أرحيلة عباس -؛ حيث يعتمد في روحه المنطقية على قياس الشمول أكثر من قياس التمثيل، فالاستقراء وحده معطل، وفيه نوع من التداخل الاصطلاحي فكان لزاما تدخل الاستنتاج والاستدلال لفك اللغز والغموض، وهذا المنهج متعلق بالاستدلال المشروط ((بانتقال العقل من أمر للآخر معقول، انتقالاً متدرجاً من قضية إلى أخرى بقصد الوصول إلى مدرك عقلي))¹، حيث تُستدل بواسطته النتائج الكلية من جزئيات، أين يسود العام الجامع للأفراد، وهو منهج المنطق الأرسطي، الذي ينتقل من الكليات إلى الجزئيات، وفق العلاقات المتداخلة داخل البنية العامة التي تتعاضد انطلاقاً من مشروعية التحليل ((المنطقي ضمن مستوى تحليل القضايا البسيطة داخل القضية الكبرى بواسطة الخطاطة الدالية لحساب المحمولات من جهة والعلاقات اقترانية التي تقوم بالربط

¹ - يعقوبي محمد، دروس المنطق الصوري، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص 115.

بين الوحدات والخطاب))¹، هذه الخطاطة الدالة حاول ابن البناء امتطاء سلّمها المنطقي والعبور من الرياضيات إلى البلاغة.

لقد تسلّح ابن البناء بمعارفه المنطقية والرياضية، خاصة الفصل المتعلق بأقسام الكلام متّخذاً من الغزالي و ابن رشد دليلاً في ذلك، في معرض حديثه عن العبارة، ومباحث علم أصول الفقه والبلاغة، ليضع ما أسماه، القوانين الكلية التي تنضبط بها الصناعة البلاغية.

ولا شك أنّ من أراد أن يضع كليّات الأمور، عليه اللّجوء إلى المنهج العلمي، والاستفادة من أصحاب التّنظير في القضايا الكلية، التي تأتي مصاحبة للبناء المنطقي المعرفي، والذي أتى به هو نفسه في المقدمة، من خلال إبراز جملة من القضايا التأويلية، ذات النسق المتحد والمتعدد في النقل والعقل.

وبهذا المعنى، نلفي أرسطو و الكثير من أتباع المدرسة المشائية، يعلنون صراحة أنّ الوصول إلى العلم، إنّما يكون من طريقين لا ثالث لهما: ((القياس الذي ينطلق من الحقائق الكلية، والاستقراء الذي ينطلق من وقائع التجربة الإدراكية الحسية وجزئياتها، فمعارفنا جميعها تعتمد من الناحية الصورية على المبادئ الأولى))²، فهذا التطابق ما بين القياس والاستقراء، جعل ابن البناء ينتقل من الكلي إلى الجزئي ومن الجزئي إلى الكلي.

ووافق هذا التأسيس، فقد أبان ابن البناء العددي عن صناعة البيان التي استطاع حصرها، وأن أهل صناعة البديع حصروه بالاستقراء من جهة عوارض اللفظ، واختلفوا في تسمية تلك العوارض فاختلّفت مصطلحاتهم، ووجد أن أقسام البديع (البلاغة)، ((يلتفتُ بعضها ببعض، وتتركّب وتنداخل

¹ - ينظر: دوني فرنان، مدخل إلى فلسفة المنطق، ترجمة، محمد اليعقوبي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2006، ص 59.

² - اليعقوبي محمد، دروس المنطق الصوري، م.س، ص 236.

.. فيختلف أهل البلاغة في الأمثلة الجزئية، ويختلفون في وضعها داخل أقسام البلاغة،... كما يختلفون أيضاً في أسامي الأقسام وفي عددها وتفصيلها¹، على حدّ تعبيره.

وعندما يتحقّق الاتفاق على الصوّر الجزئية ((فلا يضّر الاختلاف في إدراجها تحت أي كليّ كان، ولا تسميتها بأيّ اسم كان،... وإنما يحتاج إلى الأسماء والأجناس لأجل المخاطبة فيها وضبطها ولذلك كانت الأقسام الكلية، التي فيها توضع بحسب ما يراه كلُّ واحد منهم، ويذهب في اعتباره صفات تلك الصوّر الجزئية))²، فالعبرة عنده ليست في توظيف الأسماء والانشغال بها، وإنما المهمّ هو الضابط الكلي الذي يحكم لجام الجزئيات.

وبهذا يُبرّر ابن البناء العددي اختياره لكليات بلاغية أدرج في طياتها جزئيات قائلاً: ((ولأجل ما قلناه هنا ضبطناها نحن في هذا الكتاب على هذا النحو الذي فيه من الضبط))³، وهو ما يتناسب والاستنتاج، الذي أعلن عنه في مستهلّ الفصل الثالث من الباب الأول المسمى: "مقدمات في البلاغة والبديع"، يقول محمد مفتاح: ((لكن هذه الطريقة الاستنتاجية لا تقدم إلا كليات محتاجة إلى أن تملأ بجزئيات أو بأسماء))⁴، وهو ما فعله انطلاقاً من الاستقراء إلى الاستنتاج، استقراء في الأسماء أو الجزئيات ، واستنتاج في وضع الكليات بغية إدخال الصوّر الجزئية ضمنها.

إن المشروع البلاغي والنقدي الذي حاول أن يلتزم به ابن البناء العددي ارتكز على:

* - المجموعات (المحاور) :

¹ - ابن البناء العددي، الروض المريع، ص 173.

² - ابن البناء العددي، م. نفسه، ص 173.

³ - م . نفسه، 174 وما بعدها.

⁴ - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، م.س، ص42.

يتضمن الكتاب محورين أساسيين، يندرج أسفلهما كليات دالة بنفسها على جملة من الجزئيات، على غرار ما تضمّنه قياس الشمول الموظف ببراءة في الكتاب:

أولاً: من حيث أقسام اللفظ من جهة مواجهة المعنى نحو الغرض المقصود:

أي ما هو ((المقصود من الخطاب))*، وعليه يكون التقسيم على أربعة أوجه:

أ - الخروج من شيء إلى شيء: وضمّنه ((عشر جزئيات مندرجة تحت هذه الكلية))**، ومنها الخروج، الإدماج، التفريع، الاستطراد، التجريد ... وغيرها من المصطلحات الأخرى.

ب- تشبيه شيء بشيء: و أفرده للحدّث عن علاقة التناسب بمباحث المحاكاة والتشبيه والمكافأة و صور المتناسبة، وجعل قاعدة عامّة مفادها، أنّه ((إذا كانت النسبة التي بين شيئين كالنسبة التي بين شيئين آخرين، قيل لأربعة أشياء متناسبة))¹، و هذه القاعدة خصّص لها تحليلاً كبيراً، وشواهد كثيرة وهو ما سنقف على شرحه وتحليله في مبحث تأويل الشواهد البلاغية.

ج- تبديل شيء بشيء: وأدرج تحته الاستعارة والمجاز وأكّد على إنّ ((جميع الاستعارات إنما هي إبدالات في المتناسبة))²، وهذا ما تأثر به انطلاقاً من الفكر الأرسطي، الذي جعل الاستعارة ((ضمن المحاكاة أو التخييل، التي هي طبيعة فطريّة في الإنسان، ولها يرجع الفضل في إخراج الخطاب من عالم المؤلف إلى عالم غير مألوف، وهذا التخييل جوهرى في الأقاويل الشعرية، ومهمّ في الأقاويل

* - أي العلاقة النسبية بين الكلام المعبر وبين الفكرة المتوخاة منه، ينظر: ابن البناء، الروض المربع، ص 28. و ينظر التحليل والاستزادة، التلقي و التأويل، م. س، ص 42.

** - سيأتي بيان هذه الجزئيات في المبحث الثاني من هذا الفصل، وحذفناه هنا تفادياً للتكرار.

¹ - ابن البناء، الروض المربع، م. س، ص 105.

² - م. نفسه، ص 115.

الخطابية))¹، إذ من الصعوبة بما كان التمييز بين ما هو استعاري وغير استعاري مما جعل ابن البناء العددي يوظف التناسب قصد فهم الشاهد وتحديد نوعه ضمن النسق الدال.

د- تفصيل شيء بشيء: وهو ما تناول فيه مسائل بلاغية بصفة اصطلاحية منطقية، كحديثه عن التقسيم بالفعل والتقسيم بالقوة وتكمن أهمية المبحثين، في توظيفهما توظيفا سليما في تأويل الشواهد البلاغية التي ساقها.

ثانيا: من حيث أقسام اللفظ من جهة دلالاته على المعنى، ويندرج أسفله ثلاثة محاور:

1- الإيجاز و الاختصار 2- الإكثار 3- التكرير، وما يدور من وجوه التعريف والتقاليب المعرفية المفضية إلى جملة من الملخصات والشواهد التي أبانت عن فكر ابن البناء العددي.

وبهذه الطريقة حاول ابن البناء ((أن يختزل المباحث البلاغية داخل هذه الفصول، أو لنقل إنه حاول أن يُعيد ترتيب المباحث البلاغية في سبع كليات؛ يتحقق بموجبها تقريبُ البيان من الأذهان؛ فيُفهمُ كتابُ الله تعالى، وتُفهمُ سنةُ رسوله صلوات الله عليه، كما تُفهمُ المخاطبات البشرية كلها))² ومنه، فإننا نستنتج وفق التخطيط الذي بينى عليه الكتاب، أنّ صناعة البديع تتم وفق ما تقتضيه طبيعته الكلية العامة المندرجة بدورها تحت المحور العام، وهكذا تدرج ابن البناء من العام إلى الخاص، ومن الخاص إلى العام، حتى استطاع حصر أوجه الصناعة من غير إخلال أو تكرير.

*- الكليات.

¹ - عمر أوكان، اللغة والخطاب، م.س، ص 124.

² - عباس أرحيلة، كليات البلاغة، م.س، ص 260.

لقد وصل تفكير ابن البناء العددي، إلى مسألة وضع الكليات التي استقرّ الرأي عليها، والتي وافقت التنظير المنطقي، واحتكم أمرها إلى القاعدة المنطقية الرياضية، المبنية أساساً على التناسب الهندسي بكل تقابلاته فجعل:

- الكلية الأولى: وسمّاها ((الخروج من شيء إلى شيء)).¹ وتضمّ كل ما يتعلق بالأسلوب من تغيير، أو انتقال أو تفاوت، مع توضيح الأقسام الثمانية التي أفرد لها جانباً معتبراً من الكتاب وفق نظام الجزئيات.

- الكلية الثانية: وجعل محورها ((تشبيه شيء بشيء)):² ومن صورها: المقابلة، ردّ الأعجاز على الصدور، اللف، المكافأة، وهي مجال التناسب متمثلاً في التشبيه والاستعارات التي جعلها ابن البناء محور التناسب الرياضي على ما سنرى في التطبيق.

- الكلية الثالثة: تدرج ضمن، تبديل شيء بشيء: وهو ((بجاز كلُّه))³، على حد تعبيره، متخذاً من التورية والاستعارة في تقسيماتها والمحاجة و اللّغوز، مع تفرّده في بعض المصطلحات التي كانت متداخلة عند الأوائل وحرّرها تحت نظام كلي.

- الكلية الرابعة: وهي ((تفصيل شيء بشيء))⁴: وتضم مجموعة من المصطلحات ذات التوجّه الفريد في التصنيف، كمثل: التقسيم والتشكيك والتجاهل فالاتساع والتضمين والتوضيح وختم بالتفسير.

- الكلية الخامسة: ونسجلها هنا تنوع نمط التسمية من المركب إلى الأحادي، بحسب ما يندرج أسفلها من مصطلحات التي تستدعي بدورها الكلية، ومّا ذكره فيها: ((الإيجاز والاختصار))¹.

¹ - ابن البناء، الروض المريع، من ص 93 إلى ص 100.

² - م. نفسه، من ص. 101 إلى ص 112.

³ - ينظر ابن البناء، م. نفسه، من ص. 113 إلى ص 125.

⁴ - ابن البناء العددي، م.س، ص 125 إلى ص. 138.

وتتضمن أسفلها ((الاكتفاء))² وأنواعه، والحذف، وما يندرج أسفله من مباحث في هذا المسمى.

- الكلية السادسة: وتفسر عنصر ((الإكثار))³، وتحتوي على الاستظهار والاشتراط، والتذييل والقياس

والمثال والتتميم والتكميل، ثم التسوير والتخصيص والتعميم والمرادفة. وشدد ابن البناء العددي على

خصوصيات هذا المجال الاصطلاحي، وألزم نفسه بذكر الشواهد التي تفسر المحتوى المطلوب إباته.

- الكلية السابعة: وهي آخر الكليات، سعى ابن البناء العددي من خلالها إلى معالجة التكرير والمواطأة

بأنواعها، والمشاركة والتجنيس بأنواعه ودلالاته، والتركيز على هذا الأخير لما له من أهمية في الدرس

البلاغي.

وهكذا، فقد حاول في بقية مشروعه البلاغي، أن يضع كليات وفق ما اندرج تحتها من جزئيات

محصورة، والتي تتفرع في تصوره، ضمن الاستنتاج الذي ارتضاه كجهاز عقلي، والذي سلطه على

النصوص.

وإلى حد بعيد؛ يُعدُّ مشروع السلجماسي مثله في الطرح؛ إذ حاول ((الأول أن يحصر كليات

البلاغة في سبعة قوانين ضابطة لأنماط الخطاب، وسعى الثاني إلى حصر تلك الكليات في عشرة أجناس

عالية تفرعت في صورة مصطلحات في الأنحاء التعبيرية من ألوان الخطاب الأدبي))⁴، مع وجود رابط

¹ - م . نفسه، من ص 141 إلى 148.

² - سماه السلجماسي في المنزح البديع بالاكتفاء التقابلي والحذف المقابلي ويسميه المناطقة القياس المضمر، وهو القياس المركب من قضيتين شرطيتين تشتمل كل واحدة منها على جزئين : مقدم وتالي فيحذف بعض أجزائها ويكتفى عنه بالبعض الآخر، وذلك ما يعبرون عنه (بحذف بعض المقدمات في المخاطبات الجدلية أو جريا على قواعد البلاغة لمطابقة الكلام لمقتضى الحال)ينظر: محمد حسنين عبد الرزاق، علم المنطق الحديث، دار الكتب المصرية، 1926، ص، 163 وما بعدها. وهو باب متعلق بنظرية التناسب الرياضية البلاغية التي تفرد بها ابن البناء وحاول بدر الدين الزركشي تطبيق بعض معالمها من بعده.

³ - ابن البناء، الروض المريع، م.س، الفصل الثاني من الباب الأول، من ص 149 إلى ص 155.

⁴ - ينظر: أرحيلة عباس، كليات البلاغة، م.س، ص 262.

منطقي ما بين الطرفين على اعتبار أن المنزِع يعتبره البعض شرح للروض، على ما أورده السجلماسي في بعض الإشارات التي مفادها، أن المنزِع يجنح نحو تحليل الكليات التي استغلقت على مفاهيم المبتدئين، والاختصار الذي ضرَّ بالقوانين البلاغية على حد تعبيره، ومعنى ما جاء في منزعه.

وعلى ذكر الكليات البلاغية، التي حصرها ابن البناء العددي في سبع كليات، لا بدّ من الإشارة وتفصيل المصطلحات، التي تضمّنت داخل هذا الكل المجموع، وذلك حتى تتمّ فائدة هذا الفصل ونتعرّف من خلاله، على أهمّ المعالم الاصطلاحية عند ابن البناء العددي.

وقبل التفصيل في هذا المنحى لا بدّ من الإشارة إلى كيفية عمله في هذا الباب، وما هي مكنزمات عمله في هذه الدائرة الواسعة التي شملت كلّ الكتاب، محاولاً من ورائها إعادة تصنيف للبديع ضمن البلاغة العربية، ومحاولاً إعادة الاعتبار للنشوء البلاغي، متمثلاً في بلاغة الرّعيّل الأول، بعدما رأى أن الدّرس البديعي، أصابه الوهن و الاجترار، وجنح نحو التداخل ما بين المصطلحات، وكثرت المفاهيم، ذلك أنّه ((من عواقب عملية التحول داخل البناء تغيّر مفاهيم المصطلحات، بل وتناقضها أحياناً، فالواقع يجعل مهمّة استخراج المصطلحات وتعريفها دون الوصول إلى التصور العام أمراً محفوفاً بالمزلق))¹، فينتج عنه التأويل الخاطيء، والفهم السّقيم، مع خُفوت الحسّ الفنيّ العام، وهو ما أصاب المغاربة في مطلع القرن السابع.

وعليه فإنّ ابن البناء العددي، حاول تجنّب هذه المزلق والخلط في التصنيف والتبويب، متّبعا طريقة علمية جديرة بالقراءة والتحليل، والتي نورد تفاصيل مصطلحاتها فيما يأتي من ثنايا هذا الفصل.

¹ - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، م.س، ص 16.

2- مصطلحات صناعة البديع عند ابن البناء العددي المراكشي

- أ- تنهيج صناعة المصطلح.
- ب- مصطلحات الغموض.
- ج- شرح مخطط بياني للكليات والجزئيات.

تمهيد:

بعدها أشاد محقق الكتاب بقيمته، والمصادر التي استقى منها مادته المعرفية بكل جوانبها، والتي في مجملها استندت إلى كتب البلاغة القديمة، والمنجز التقدي المشرقي بصفة عامة، مع الاستئناس بما كتبه المغاربة قبله، والاعتراف من المنهل الفلسفي الإسلامي، مما كتبه ابن رشد وابن سينا والغزالي ((ومن تلخيصاتهم لكتب اليونان في الشعر والخطابة، وتأثروا بآراء كبار اللغويين كالخليل بن أحمد والأصمعي وسبويه))¹، استأنف الحديث عن المنهج الذي وضعه ابن البناء العددي في كتابه فيقول المحقق: ((يتبع المؤلف في كتابه، منهجا يكاد يكون مطّردا في سائر الفصول والأبواب، منذ البداية إلى الختام ويسلك المؤلف مسلك الإيجاز والاختصار من غير أن يخلّ بالمعنى))²، وهو مسلك وجدناه قد اعتمده في التقسيم الخاص بالكليات.

أ- تنهيج صناعة المصطلح:

لقد تحدّد وجه الاختصار في التعاريف عند ابن البناء المراكشي أحيانا، والمواضعة أحيانا أخرى دون الإخلال بالنظام المفرداتي العام، وحسن سير العملية التأصيلية للمنهج المراد الوصول إليه، وهو ما نفهمه من كلام الكاتب نفسه في مستهلّ الكتاب بقوله: ((... تأليفا غير ممل يصغر جرمه ويكثر علمه))³، وهذا الهدف تابعه إلى غاية الانتهاء من الكتاب.

¹ - رضوان ابن شقرون، مقدّمة كتاب الروض المربع، م.س، ص 41.

² - م. نفسه، ص 43.

³ - ابن البناء العددي، الروض المربع، م.س، ص 69.

ولكن كان هذا هو ديدان عمله في الشرح والتبويب، فإنه لا محالة سيحدّد ما تنجرّ عنه هذه المسائل من خلافات جوهرية، ما بينه وبين ما سبقه، لعلمه بأن الصّواب فيما اختاره وارتضاه لنفسه من تتبّع خواصّ المسائل الجوهرية في شموليتها المعرفية، بنوع من الجدّة المنطقية المفعمة بطلاوة صناعة البديع، وحلاوة الفصاحة وجودة العبارة، فيقول في شعر ذكره صاحب جذوة الاقتباس، ونقله المحقّق فيما يناسب مقامه، حيث يقول ابن البناء العددي في شعره التعليمي:

فَصَدْتُ إِلَى الْوَجَازَةِ فِي كَلَامِي لِعِلْمِي بِالصَّوَابِ فِي الْاِخْتِصَارِ

وَلَمْ أَحْذَرْ فُهُومًا دُونَ فَهْمِي وَلَكِنْ خِفْتُ إِزْرَاءَ الْكِبَارِ

فَشَأْنُ فُحُولَةِ الْعُلَمَاءِ شَأْنِي وَشَأْنُ الْبَسْطِ تَعْلِيمِ الصَّغَارِ¹

إن المتصقّح للكتاب، من حيث القيمة الاصطلاحية لفنون البديع التي أحصاها داخله، يلحظ تباينا واضحا في إحصاء وتعريف مدخلاته ومخرجاته، وفق ما استعمله من أدوات إجرائية، أسعفته إلى حدّ ما في استكناه الظواهر البلاغية والنقدية المراد التنبيه إليها، ولا سيّما التعامل مع الجزئيات الواردة في الكتاب، حيث نتلمّس ((اهتمام جاد بالمصطلح* وتأصيله، إذ لا يكاد يسبر غور أيّ بحث من أبحاثه حتى يستوفيّ الحديث عن المصطلحات المتداولة في مجاله تأصيلا، وتوضيحا وتقسима، وتفريعا بدقّة نادرة

¹ - ينظر: ابن شقرون، من مقدّمة كتاب الرّوض المربع، ص 44، نقلا عن جذوة الاقتباس، ج1، ص 152.

* - (يعتبر المصطلح في القراءة إجمالا وفي قراءة التراث النّقدي على الوجه الذي يهّمنا مدخلا مهمّا، بما أنّ المصطلح هو السياج المعرفي الذي يحتزل داخله جدليات في مستوى الحركة الذهنية المتصوّرية أساسا وفي حلبة الحركة السياقية التداولية أيضا. يحتزل المصطلح بالتالي حركيته الخارجيّة وهو لهذا تحديدا مدخل ضروري في البحث الإيستمّي الواعي) أسماء الجموسي، المتصوّر والمصطلح في الإجراء والقراءة، تونس، سلسلة أعمال وحدة البحث " مجتمع المصطلحات" كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، ط1، 2008، ص

ودراية واسعة، ويتناوله في الغالب على المستويات المعجمية والصوتية والصرفية والإعرابية** والبيانية والدلالية، وربما المنطقية والفلسفية أيضا. فتفجر من ثنايا أبحاثه العلمية الفسيحة المتأثرة إلى حد كبير بالمنهج الرياضي والعقلي، انطلاقا من علوم الشريعة وأصولها، وعبر العلوم العقلية والفلسفية والرياضية، وانتهاء بعلوم اللغة والأدب وفنون القول المختلفة¹، وهذه العلوم أسعفته في الوصول إلى حقائق التنزيل، وأسرار التأويل.

إن التعامل مع المعجم الاصطلاحي لابن البناء العددي، يميلنا إلى جملة من الخصائص المعرفية التي تتحدّد وفق نمط البرهنة و السياق العام للمصطلح الجامع، الذي لا ينفك عن الخصوصية الفكرية البتّوية، والتي تأسست في مجملها على اعتبارات ذهنية وعقلية وعلمية، ضمن المنجز البلاغي الكلي الخاص به، حتى وإن حاد عن بعض الخصوصيات، إلا أننا نلمح مسألة القصد باللفظ والوفاء بالمعنى قائمة على أصولها، لا تشوبها شائبة الانقطاع، ولا تعترتها جوائح الاندثار.

ومن الفوائد المشوّق في الكتاب، ما يستعمله من ذكاء أدبي فنيّ يزيد من قيمة الكتاب في تبيان بعض المصطلحات ((حيث يذكر المصطلح من دون تعريف له أو تعريف بسيط سهل مركز مفهوم ... محدد في عبارات مقتضبة ومنتظم في سلسلة من الأسر المفهومية والمصطلحية))²، وهذا أمر قد تنبّه له المحقق، من خلال التحقيق في الكتاب حيث وجد أنّه ((يسوق تعريف المصطلح البلاغي الذي يريد

** - من الأمثلة البيانية على ذلك ما ورد عنده في فصل (الخروج من شيء بشيء) ويستطرد المناحي النحوية والصرفية والدلالية من الصفحة: 98 إلى غاية الصفحة 154 من الكتاب ، وكلّها استطرادات لها أهميتها الجمالية والمعرفية الدالة علة سعة مدارك المؤلف وإحاطته بشتى العلوم.

¹ - ينظر: رضوان بن شقرون ، البحث المصطلحي عند ابن البناء المراكشي، مجلة دعوة الحق، العدد، 342، شهر ذو الحجة 1419هـ، ص 70

² - سعاد صالح فريح الثّقفي، المصطلحات، م.س، ص 25.

بسطه وتقريبه إلى الأفهام ويضعه في إطاره الدقيق، ثم يعرض إلى ما يندرج تحته من أنواع متحدّثا عن كل نوع على حدة))¹، والمصطلحات التي في الكتاب تبرهن على هذا التوجه، وهذا المسعى الذي نافع به الأقران والخلّان.

وهناك من المصطلحات التقديّة والبلاغية، التي لم يدخلها تحت الكليات السبعة التي اعتبرها قانون البلاغة، وحاول توظيفها ضمن فضاء مخصوص، يتعلق بمبحث أسباب غموض الكلام، وكأننا به يحاول أن يبسط لنا المصطلحات التقديّة التي تتعلق بمقاصد المتكلّم نحو تأديته الخطاب، ذلك أنّ ((الفرق الوظيفي للمصطلحات، راجع إلى كونها تستعمل في تسمية المتصوّرات التي يقدر المخاطب أنّ مخاطبيه يعرفونها، وإنّ للمصطلحات دلالة خاصّة تنجلي في فهمها))²، هذه الدلالة حصرها ابن البناء في مدى استيفاء الكلام لشروط الخطاب، وأحوال المستمعين أم أنّها أخلّت بواحد من ذلك؟ ومما ذكره في هذا المقام:

ب - مصطلحات الغموض:

1- الإخلال: فالإخلال بحسب ما جاء في معجم لسان العرب (مادة خلل) أن المراد منه: ((الإجحاف، أخلّ بالشيء أي أجهف، وأخلّ بالمكان وبمركزه، أي غاب عنه وتركه وأخلّ به: لم يف به))³، وكلّها نواحي غير سديدة وتضر بمقام الحال، فلننظر فيما استعمله ابن البناء، حيث يقول: ((

¹ - من كلام المحقق: رضوان بن شقرون، الروض المريع، م.س، ص 44.

² - Jean sager, pour une approche fonctionnelle de la terminologie, (C.R.T.T ,sous la direction de Philip thoiron), presses universitaires de Lyon, 2000,p 44

³ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (خلل) .

وكلّ كلام إن كان المعنى فيه ناقصاً غير مستوفٍ فذلك الإخلال¹، فمتى كانت بنية الكلام غير مستوفية لأركان تمام المعنى، بتقويض أساسها كان الخلل بادياً.

ولقد تناوله صاحب الصناعتين باسم المقصّر فقال: ((والمقصّر من الكلام: ما لا ينيك بمعناه عند سماعك إيّاه ويحوجك إلى شرح))²، وإن كان المعنى تاماً، فذلك على أربعة أوجه: الحشو و الإطالة و المساواة والإيجاز* ويفصل الأمر بعد ذلك بعبارات مقتضبة فيقول: ((ومتى كانت المعاني بيّنة بنفسها أو بقرينة سياق الكلام، كان الإيجاز نافعا لأجل التخفيف عن النفس لأنّ الألفاظ غير مقصودة لذاتها إنّما هي لإيصال المعنى إلى النفس...، وكل ما يسهّل في الوصول إلى المطلوب فهو محبوب، وكل ما يعوّق عنه فهو مكروه))³، ومن هنا يتبيّن لنا أنّه لا يخرج عمّا قرره أنصار المعنى من حصر الكلام في أوجه تأديّة المعنى، وفهم الغرض.

وبعد أن ذكر ما يتعلّق بالإخلال وما يشوب الكلام من عوارض لا تنفكّ عنه إلا بجلاء المعنى، استطرّد الحديث عن وجوه أسباب غموض الكلام وأحصاها في ستّة وجوه :

¹ - ابن البتاء، الروض المريع، م.س، ص 83.

² - العسكري أبو هلال، الصناعتين، تحقيق: علي محمد الجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية ص 36.

* - (الإيجاز والإطناب والمساواة من الأساليب التي لا تتضح كثيراً إلا بالحديث عن أنواعها وعرض أمثلتها، ... وكان السكّاني قد ذهب إلى أنّ الذي يحدّد هذه الأساليب هو العرف وقد سمّاه: " متعارف الأوساط" ، لذلك كان الإيجاز أداء المقصود من الكلام بأقلّ من عبارات متعارف الأوساط، وكان الإطناب أداءه بأكثر من متعارف الأوساط، أمّا المساواة فكانت عند القز ويني بمعنى أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصاً عنه بحذف أو غيره ولا زائداً عليه بنحو تكرير أو تميم أو اعتراض. أمّا الإطالة فقد وردت في النقد القديم بمعنى التطويل ومعناها ، أن لا يتعيّن الزائد في الكلام، والحشو وهو ما يتعيّن أنّه زائد وهو نوعين : فالأول ما يفسد المعنى ، وثانيه مالا يفسد المعنى) ينظر: أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، م .س، ص 178/179.

³ - ابن البتاء، الروض المريع، م.س، ص 84 .

أ- اثنان منها متعلّقة باللفظ في انفراده: ((أحدهما أن تكون الكلمة غريبة والآخر أن تكون من الأسماء المشتركة))¹، والاشترك عند علماء فقه اللغة يعني إطلاق كلمة لها عدّة معاني، حقيقيّة غير مجازيّة، فهو ذكر لفظة مشتركة بين معنيين وهناك ((من اللغويين من يقرّ بوجود هذه الظاهرة في أصل الوضع؛ لكنّها سبب الغموض والإبهام والتعميّة، وأدّت إلى ظهور اختلافات بسيطة))².

وإذا كان الغريب عند الأوائل، ما غمض من الكلام من مثل ما عابوه على امرئ القيس في قوله: "مستشزرات إلى العلى" ومن مثل ما ذكره الشاعر في قوله: "كأنياب أغوال"، فإن ابن البناء قد توجه نفس الوجهة في تبيان خصوصيّة اللفظ المنفرد البعيد عن سياق الكلام، ويكاد يلامس إلى حدّ ما، كلام أبي البقاء الكفوي حين يقول: ((كلّ شيء فيما بين جنسه عديم النّظير فهو غريب))³ وقد أبان حسن الشيخ عن نوعين من الغريب: ((الغريب الطّريف وهو المنفرد من الكلام الذي لم يسبق إليه قائله، ولم يشع استعماله وكان حسنا جيّداً، والغريب القبيح وقد تدرّجت عندهم صفة القبح، فوجدناها تقترن بصفات أخرى تنمّ عن القبح بدرجات متفاوتة، مثل السّخيف والوحشي))⁴ وإن كنّا قد وجدنا في نقدنا القديم من ميّز بين القسمين كأمثال ابن الأثير في المثل السائر و الحفّاجي ونحوهما.

ب- و وجهان آخران يتعلّق كل منهما بتأليف الألفاظ، فكان أن اختار فرط الإيجاز كعيب من عيوب الكلام، وكما أنّ الإيجاز محمود في كليّته، ذكرته العرب منذ الجاهلية وأفرد له النقاد أبواباً واسعة،

¹ - م. نفسه، ص 84.

² - صالح بلعيد، فقه اللغة العربيّة، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر، (د ط) ، 1997م، ص 133 .

³ - أبو البقاء أيّوب الكفوي، الكليات، ج3، م.س، ص229.

⁴ - عبد الواحد حسن الشيخ، ظاهرة الغريب ، مصر، مكتبة الإشعاع الفتيّة، ط1، 1419هـ ، ص 43.

((فذكره صاحب سر الفصاحة باسم الإشارة، تبعا لقدماءة في نقد الشعر))¹، وذكره كل من رأى أفضليته وخصه المشاركة بالعناية من تعاريف وأقسام وتطبيقات على الشواهد بأنواعها وحصل الفهم بذلك بأنه القصد باللفظ والوفاء بالمعنى.

ومنه، فالعبرة بما قالت العرب قديما، تجنّب الإيجاز المخل، والإطناب* المملّ، ثم جعل العيب الثاني تبعا للأول، وسمّاه الإغلاق في النظم كأبيات المعاني، حيث تدلّ مادّة غلق في المعاجم على العسر والإشكال، والضيق والإكراه على أمر ما، وتلكم هيّ مؤاصفاته التي نجدّها في المعنى الحقيقي أو الاصطلاحي، من حيث استغلاق الوجوه المعنويّة أو اللفظيّة، فأولئك الذين لا خلاق لهم في الأدب، ولا معرفة لهم بحقائق الكلام مع ضعف حجّة البيان، يعثورهم نقص الإصابة في تفسير البعيد و تأويل القريب، فلا يستطيعون ضربا في الأرض، ولا هم يفهمون المغزى من المستغلق، إلا بعد تفسير جوانبه وتهيئة المراد منه.

وعلى هذا الأساس ففي نظر ابن البناء، قد يكون الاستغلاق ((في التقديم أو التأخير أو يتخالف وضع الإسناد، فيصير الكلام مقلوبا، أو يقع بين بعض العبارة وما يرجع إليها فصل بقافيّة أو سجع فتخفى جهة التطالب بين الكلامين))²، ولم يعدّه من الأمور المشينة إلا إذا ابتعد عن الحقيقة والمواضعة، وأخل بالنص، فتحقق معه إشكال المعنى في نفس المتلقي، فيكون محتاجا للبيان أو التفصيل، فذاك مرفوض.

¹ - فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، م.س، ص454.

* - (فرّق النقاد ما بين الإطناب والتطويل أو الإطالة، يقول صاحب البلاغة: (ولذا فرّقوا بين الإطناب والتطويل كلاهما زاد اللفظ على المعنى، إلا أنّ أحدهما أفادت فيه الزيادة، وهو الإطناب، والآخر لم تفد وهو التطويل) فضل حسن عباس، م.س ص481.

² - القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة، م.س، ص417.

ومن الملفت للنظر، أنّ ابن البناء لم يخالف ابن الأثير وابن سنان في هذا المنحى، و جعل هذا النوع الذي ذكرناه ((ضد الإبانة والوضوح، وذلك لما يحدث من تداخل في نظم العبارة وترتيبها فلا تتضح خلالها المعنى ويكون سببا من أسباب غموض الكلام))¹، وهو ما تحاشاه أرباب الشعر وتوعده النقاد بالكشف.

ج- واثنان في المعنى: فأحدهما الغموض، فقال معللا كلامه: (واثنان في المعنى: أحدهما أن يكون في نفسه دقيقا غامضا ، والآخر أن يُحتاج في فهمه إلى مقدا إذا تُصوّرت بنيّ عليها ذلك المعنى، فلا تكون تلك المقدمات حصلت للمخاطب فلا يقع له فهم المعنى)²، ويفهم كلامه على وجهين : فإما أن يكون الغموض محمودا من حيث دلالة الألفاظ على المعنى ، إذ يُحتاج إلى إعمال الذهن من طرف القارئ حتى يفكّ شفرات الخطاب وهو ما يدعى بالغموض الفئّي.

و أمّا المذموم الذي ناسب الإغلاق من وجهته الفعلية الدّاخلية في تركيب المعنى، وهو ما أقرّه في ثنايا الفصول المؤلّية لهذا الباب، حيث يجعل مستويات الخطاب تترى وتتسلسل فيقول: ((وذلك لأنّ المعنى منها البيّنة القريبة، ومنها الغامضة البعيدة، وبينهما متوسّطات، وكذلك الألفاظ في الدّلالة عليها توضع على نسبتها، فما كان من المعنى قريبا جليّا عبّر عنه بعبارة بيّنة، وسمّي باسم ظاهر الدّلالة وما بُعد يعبّر عنه بعبارة بعيدة عن الوضع الأوّل، إلى أن تكون الدّلالة على أبعد المعاني إدراكا بأبعد ما يُلفظ به دلالة))³، وهذا ما عبّر عنه علماء أصول الفقه بخفّي الدّلالة وواضح الدّلالة، ممّا اشتملت عليه أسس أصول الفقه في مباحث الدّلالة الفقهية والأصولية ، وهو ما يؤكّد ما ذهبنا إليه مطلع الفصل

¹ - ينظر: سعاد صالح فريح الثقفي، المصطلحات النقدية، م.س، ص 32.

² - ابن البناء العددي،الروض المرعب، م.س، ص. 84

³ - م. نفسه، ص 122 .

من تأثر ابن البناء العددي بعلوم اللغة وأصول الشريعة والفقه، وهو ما قرره المحقق في غير ما موضع من الكتاب.

وقد سبق القرطاجني ابن البناء في توضيح هذه المسائل، وفصل ما جاء مجملاً عند ابن سنان الخفجي الذي تأثر به المغاربة أيما تأثرٍ نظير ما أنتجه فكره من علوم وبلاغة، حيث دقق حازم القرطاجني في هذا الباب، وكان أبعد نظراً من ((البلاغيين وأعمقهم فلسفة، ومن أكثرهم اتساعاً في بحث ظاهرة الغموض، في اللغة الشعريّة إذ بيّن أسباب الغموض ، وكيفية إزالة الإشكال))¹، كما جنح في تبريراته إلى منطق الشعر، وما يعتريه من أحكام.

كما كان للسجلماسي باع طويل في تتبع الغموض في النثر والشعر، وإن كان لم يذكره بلفظه صراحة أو ييؤّب له ضمن أجناسه العشرة أو ما دخل تحتها، إلا أننا لمسنا ذلك من خلال ما ذكره في الجنس الثالث المسمّى عنده : الإشارة بباييه، الأول: الاقتضاب، والثاني الإبهام، وألح على ذكر مواطنه في الفصل الثاني من الباب الثاني الذي اصطلح عليه: التعمية، وذكر فيه اللحن والرّمز والتورية، وهو بذلك أدخله ((ضمن تسمية مختلفة، تجسّد الجوانب الأسلوبية التي يستند النصّ الإبداعي إليها، وتجعل من النصّ الأدبي نصّاً إبداعياً...وعلاقة ذلك بالمتلقي، من حيث خلق اللذة والدّهشة عنده على المستويين؛ الحسي والعقلي))²، وما يتركه في نفسيته بعد الركون إلى المعنى، وقد تفجر ينبوع هذا الباب في الشعر العربي عامة، حيث دلالة الرمز توحى على التأويل، ولكن شريطة أن لا يتحول الرمز أو الإبهام عن حقيقته البلاغية إلى التعمية المشينة.

¹ - صالح الزهراني، الغموض والبلاغة العربية، رسالة ماجستير ، مخطوط، جامعة أمّ القرى ، 1409هـ/1988م، ص 77.

² - محمود درابسة، ظاهرة الغموض بين عبد القاهر الجرجاني والسجلماسي، مجلّة جامعة أمّ القرى، العدد 22 . 1422هـ/2001م

وبالعودة إلى الروض المريع، فإن ما يلفت النظر في بداية كتاب، اهتمام صاحبه بالجانب النظري، حتى وهو يسرد جملة من المصطلحات النقدية، لا يذكر شواهد لها إلا أماما، ولا يتبع الطريقة التي اعتمدها في بقية الكتاب، وهو ما يعكس قول المحقق: ((والشواهد قليلة في الفصل الأول من الكتاب، لأنها مقدمات عامة تمهد للدراسة فلذلك نلاحظ أنّ الكتاب يغلب عليه الجانب النظري في الباب الأول، ثمّ ما يلبث أن ينغمر في التطبيق والاستشهاد فتكاثف الشواهد في الفصول الأساسية منه))¹، بحسب قدر الفهم وإفهام الغير، إذ المقدمات غير محتاجة للتمثيل، بقدر الجانب التطبيقي الثاني.

ويورد ابن البناء العددي جملة من المصطلحات النقدية الأخرى في أماكن متفرقة من الكتاب إمّا متعلّقة بمصطلحات أخرى أو مدججة ضمن أبواب البلاغة، ومن ذلك: مصطلح السهولة الذي ربطه بالألفاظ في مخارجها وتواليها في النطق بحسب تعريف الجرجاني، فيقول ابن البناء:

((... فإنّ من الألفاظ ما تكون سهلة المخارج على الناطق بها وتدلّ على معناها بسرعة لكثرة استعمالها ، فإذا اجتمع على الكلام أن يكون لفظه فصيحاً لسهولة مخارجه وعذوبته في السمع وسهولة تصوّر معناه وحسن مبانيه بالمشاكلة العقلية والنظام الطبيعي واتّساع الفهم في لوازمه فهو العالي درجة))²، وهذا التقسيم في أضرب الكلام مرده إلى تصوره للعلاقة ما بين الملقى والمتلقى.

وفي معرض حديثه عن المحمود من الأساليب البلاغية، ذكر مصطلحين اثنين جديرين بالتوضيح

والتتبّع، فأما الأول فهو:

¹ - ابن شقرون، من مقدمة كتاب الروض، م.س، ص. 44

² - ابن البناء العددي، الروض المريع، م.س، ص 87.

*- **التعسف**: وهو إبراز الأمر من غير روية ودراية بالأساليب العربية، ((فهو نتيجة طبيعية لسير الأديب على غير هدى ولا منارات منصوبة تضيء له الطريق السليم، وإنما ينظر للأشياء التي توقعه في ظلمات الطريق ... لأنّ علّة كلّ حسن مقبول الاعتدال، كما أنّ علّة كلّ قبيح منفي الاضطراب والتّفس تسكن إلى كلّ ما وافق هواها وتقلق ممّا يخالفه))¹، وهذا مكروه عند ابن البناء العددي حيث ذمّ مثل هذه الأساليب، وانتفاء وجه بلاغة الكلام فيها، مما يترك فجوات في الخطاب، ولذا يقول بعبارة مقتضبة: ((واعلم أن الحمود من الأساليب البلاغية إنما هو ما لا يظهر فيه التكلّف ولا يكون مطلوباً بالتعسف))²، فإن وافق هذا الشرط كلام المرسل، وطابت نفس المتلقي إليه، تحققت الفصاحة ورونق البلاغة، ولابن البناء رؤية مغايرة تماما لمحل الكلام داخل جملة البلاغة بأن جعل ((حسن معنى الكلام وصحته، إنما هو بينائه على الصدق وقصده إلى الجميل وظهوره بالبرهان))، وهذه لا محالة شروط وضعها عن قصد، حتى يخرج العامي عن القول البلاغي، الدال على معنى، والخاضع لشروطه الثلاثة، التي أتى بها على سبيل الترتيب.

*- **التكلّف**: وهو من المصطلحات التي لم يتوقّف عندها ابن البناء، وإنما أوردتها بغية تبيان الحمود من صيغ الخطاب، بخلاف ما وجدناه عند القرطاجي مثلا الذي ألمّ بجوانبه ومحدّداته اللفظية والمعنوية، فقال في منهاجه: ((التكلّف إمّا يقع بتوعر الملافظ، أو ضعف تطالب الكلم، أو بزيادة ما لا يُحتاج إليه، أو نقص ما يحتاج، وإمّا بتقدم أو تأخير، وإمّا بقلب وإمّا بعدل صيغة عن صيغة هي أحقّ بالموضع

¹ - سعاد فريح ، المصطلح النقدي، م.س، ص34. نقلا عن ابن طباطبا العلوي، عيار لشعر، م.س، ص 21.

² - ابن البناء العددي، الروض المرعب، م.س، ص 173.

منها، وإمّا بإبدال كلمة مكان كلمة هي أحسن موقعا من الكلام منها))¹، وأمّا ابن البناء العددي، فاعتبر التكلّف غير محمود ولا يضطرّ إليه في الكتابة ولا يعتبر قائله، معبّرا عنه بقوله:

((واعلم أن المحمود في جميع أساليب البلاغة إمّا هو ما لا يظهر فيه التكلّف ... وحسن معنى الكلام وصلاحه وصحّته إمّا هو بنائه على الصّدق وقصده إلى الجميل وظهوره بالبرهان))²، فالجميل من الأساليب عنده ما شاكل الصّدق في التعبير وسهولة الألفاظ وجزالة المعنى، والبعد عن التكلّف والتعسّف، والجنوح إلى رونق الفصاحة وطلاوة البديع.

أمّا عن باقي المصطلحات البلاغيّة، فلا بدّ أن ننوّه إلى أنّ ابن البناء يذكر المصطلحات تحت الكليّات من دون العودة إلى التقسيم الثلاثي المعروف، علم المعاني والبيان والبديع، وقد أجمنا القول في ذلك قبل هذا الحين، و إمّا سنتناول ما بقيّ من المصطلحات على ما وجدناه في الكتاب مخالفين بذلك من تناول ابن البناء بالتحليل والتعليل، كمثل ما جاء في رسالة: [المصطلحات النقديّة والبلاغيّة عند ابن البناء المراكشي]، والتي قسّمها صاحبها إلى مصطلحات واصفة ومصطلحات الظواهر الدلاليّة والظواهر التركيبيّة والإيقاعيّة، وما رصدناه من عدم الالتزام بالمصطلحات البناويّة حسبما تقرّر في الكتاب، فأهمل على سبيل التمثيل مصطلح الخروج والخروج إلى متّقدم من الباب الأوّل، وتخلّى عن ذكره، كما تناول مصطلح الإدماج والتضمّن كلّ لوحده تعريفا وتمثيلا، مع العلم أنّه عند ابن البناء مصطلح واحد، والكثير من الأمثلة على ذلك.

¹ - القرطاجيّ، منهاج البلغاء، م.س، ص 224.

² - ابن البناء، الروض المرعب، م.س، ص 174/173.

ولكن لما رأى ابن البناء العددي أنّ البلاغة علم ذو قيمة وبيان الإعجاز، ويحتوي على رونق* وماء وبهاء اللغة، وظهر فيها الخلط وسوء التصرف والحشو البعيد عن اللزوم، ألف لنا ما يحتوي على جملة من القواعد العامة ممّا وصل إليه تفكيره المنطقي، لذلك سنورد المصطلحات وفق خطّاطه هيكلية عامة، ثمّ خلاصة بكل نوع، كما أنّنا سنستتبع ما جاء في الكتاب من تعاريف وأمثلة تطبيقية ونحاول الرجوع إلى تراث المشاركة والمغاربة، علّنا نجد ما يعضد كلامه أو يوازيه، فنرصده ونبينه، ولا بدّ من الإشارة قبل المرور إلى الخطّاطة البلاغية وما احتوته من مصطلحات صناعة البديع، وما اشتملت عليه من صنوف العملية النقدية.

إنّ ابن البناء العددي، لم يفرّق في كتابه ما بين المصطلح التقدي والبلاغي، ولا بين المصطلحات البلاغية في حدّ ذاتها، وإنّما سار على نهج البلاغة القديمة من دمج العناصر بعضها ببعض، فبركّمها جميعا ويجو صل ما جدّ عنده وصحّ في قريحته، ويؤوب بحسب الشروط الاصطلاحية لكلّ فنّ من فنون الصنّاعة، مع ذكر الشواهد والأمثلة التطبيقية.

ويستطرد في كل مرّة نحو ذكر القواعد التحوّية، وبعض الالتفاتات الفقهية والأصولية ناهيك عن استعمال المنطق الرياضي أحيانا، والصّوري الأرسطي أحيانا أخرى، دونما إشارة إلى ذلك من قريب أو بعيد، وإنّما تتعرّف على ذلك من خلال الاستمتاع والمؤانسة مع نصوص ابن البناء العددي، ضمن فضاء مؤلفاته في مجموعها.

* - مصطلح الرّونق وصف لبهاء الكلام وحسنه، إذ (يوصف النص الذي يبعث في النّفس استمتاعا به عند القراءة وشوقا إليه بعدها بأن له ماء ورونقا) عبّر عنه الأمدي بقوله: (إن حسن التّأليف وبراعة اللفظ ممّا تزيد المعنى بهاء ورونقا) ينظر، سعاد فريح الثّقفي السابق، ص50. نقلا عن: تمام حسّان، موقف النّقد من دلالات ما وراء الصّياعة اللّغوية، النادي الأدبي لجدّة، 1410هـ، ص. 792.

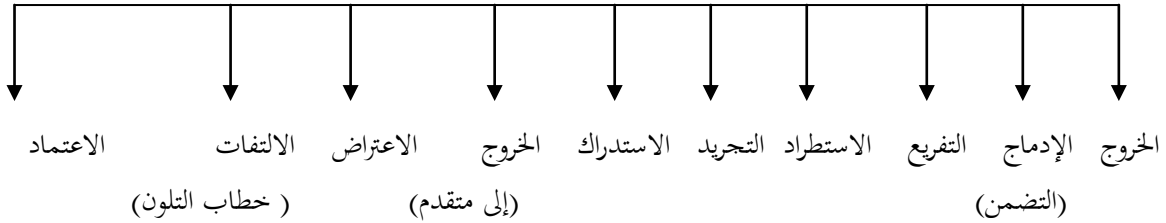
وفيما يلي، نشرع في توضيح خطاطة صناعة البديع عند ابن البناء العددي إجمالاً على أن نفضّل ونشرح الفصل الأوّل من الكتاب على سبيل التبيان والتمثيل قصد محاولة فهم ما كان يصبو إليه ابن البناء العددي، ثمّ نُلحق الباقي خاصة ما تعلق بالتناسب والرياضي وكيف وظّفه ابن البناء في توضيح كليات البلاغة التي اعتمد فيها أساساً كما سبق و أن أشرنا على المنطق، في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

ج- مخطط بياني للكليات والجزئيات:

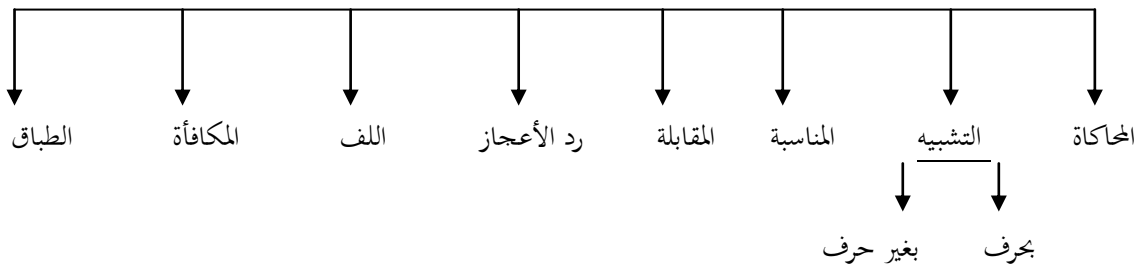
الباب الثاني :

أقسام اللفظ من جهة مواجهة المعنى نحو الغرض المقصود

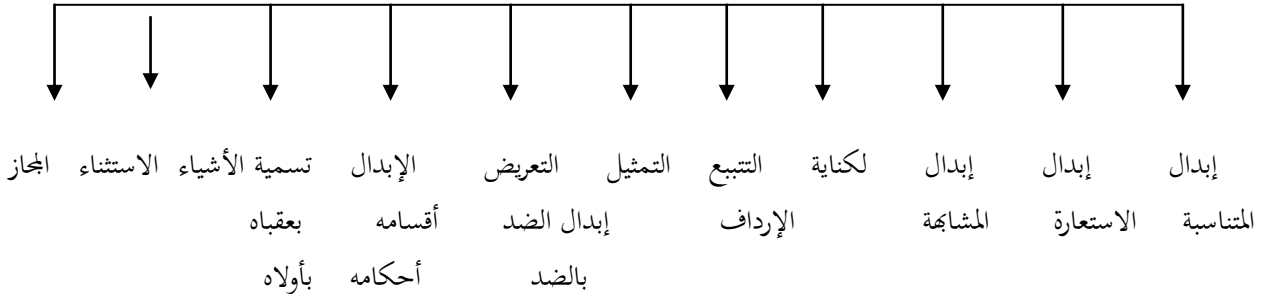
الكلية 1 : الخروج من شيء إلى شيء



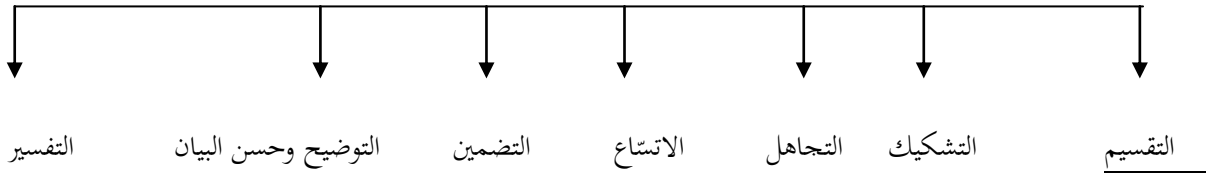
الكلية 2 : تشبيه شيء بشيء



الكلية 3 : تبديل شيء بشيء



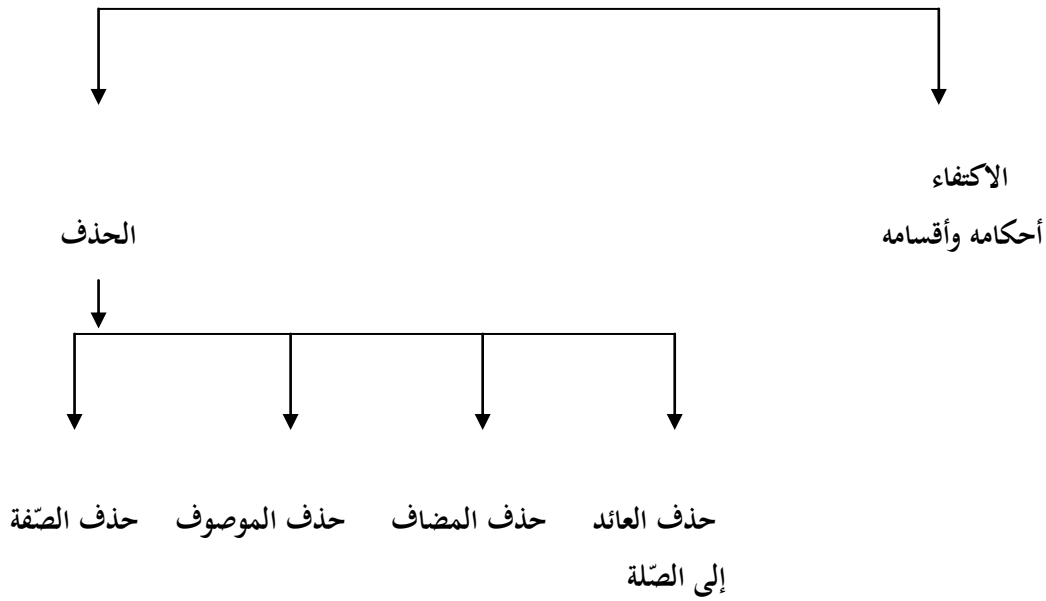
الكلية 4 : تفصيل شيء بشيء



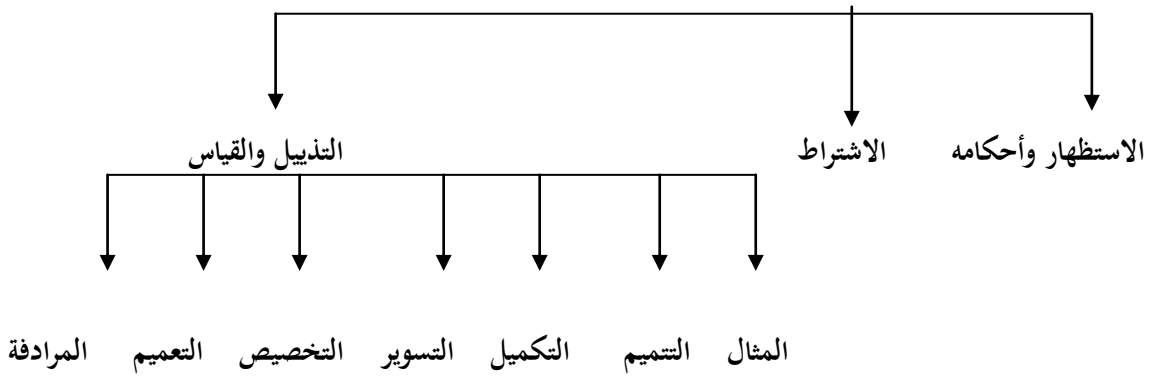
الباب الثالث:

أقسام اللفظ من جهة دلالاته على المعنى

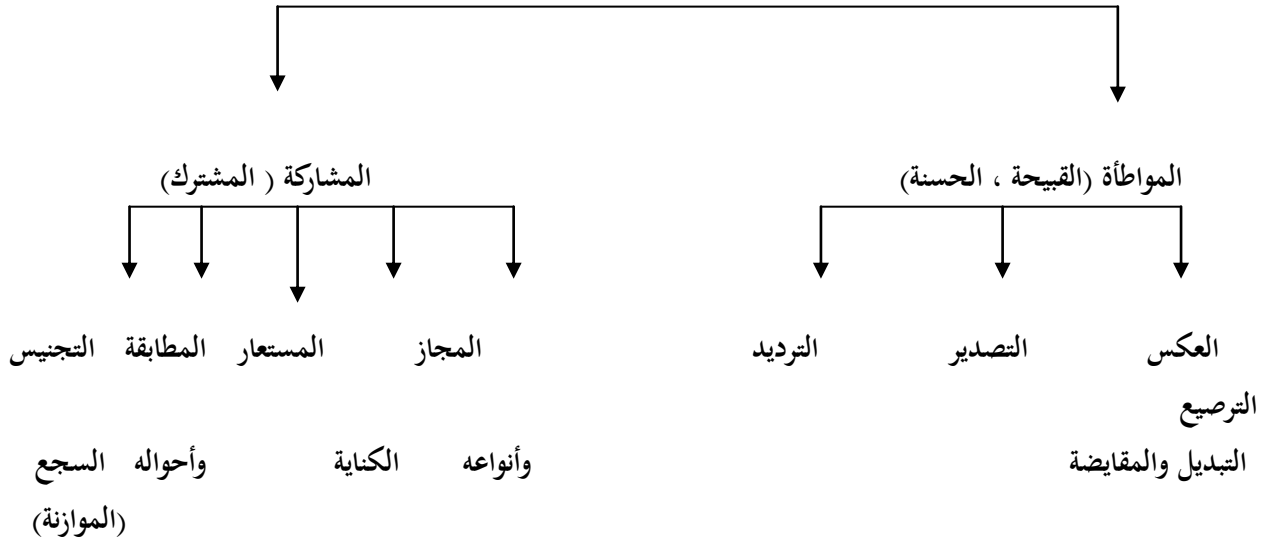
الكلية 5: الإيجاز والاختصار



الكلية 6: الإكثار

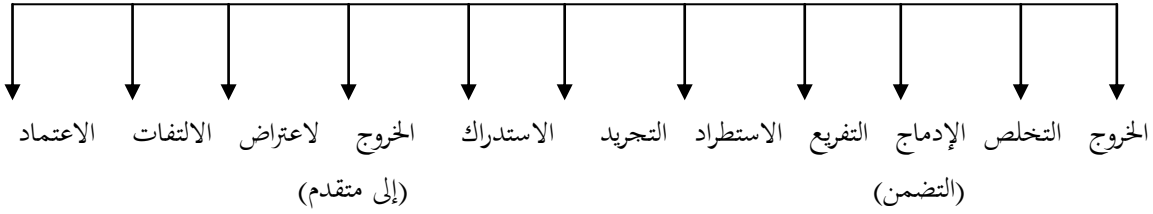


الكلية 7 : التكرير



- شرح تمثيلي: الكليّة الأولى من الباب الثاني:

الكليّة 1: الخروج من شيء إلى شيء



فعلى سبيل التمثيل والتوضيح، نشرع في تبيان معالم الخطاطة الأولى، إذ بعد أن وضع ابن البناء العددي القارئ أمام جملة من المقدمات المنهجية، التي ميّز من خلالها العلاقة النسبية والسببية بين البلاغة والفصاحة، كوجهين لعملة واحدة، ومدى التّعالق الكبير بين صناعة* البيان وصناعة البديع على أن يكون علم البيان فوقهما، نظير القيمة الكبيرة التي أكتسبها، جرّاء اقترانه بالموهبة التي يفيضها الله تعالى على الإنسان، وشروعه في تحديد ما يتعلّق بالدلالة وأقسام الكلام من جهة، وتقسيم الألفاظ من جهة أخرى.

* - لزيادة التوضيح في هذه المسألة، ينظر الروض المريع، م.س، ص 88، يقول ابن البناء معلقاً: (وعلى الجملة فصناعة البديع ترجع إلى صناعة القول ودلالته على المعنى المقصود ومستندها علم البيان..).

وبعد أن استوى التقديم على سوقه ليعجب القراء ويستمتع به الدارس، تفتن إلى توسيع الدرس البلاغي من خلال الكليات، التي أبان عنها بعد توظيفه للاستقراء والاستنتاج، ومرد هذا الأمر إلى التناسب، ذلك أن كلا من التناسب و((الاستدلال))¹ من أجل الحصول على جنسين أعلىين؛ هما: ((أقسام اللفظ من جهة مواجهة المعنى نحو الغرض المقصود، وأقسام اللفظ من جهة دلالاته على المعنى وقد قسم الجنس الأعلى الأول إلى أجناس أربعة متوسطة هي الخروج من شيء* إلى شيء، وتشبيه شيء بشيء، وتبديل شيء بشيء، ثم ذكر أصنافا متفاوتة العدد لكل جنس، وقد قسم الجنس الأعلى الثاني إلى أجناس الإيجاز والاختصار والإكثار والتكرير ثم ذكر أصنافا لكل جنس منها))²، وهو ما خالفه السجل ماسي من حيث الكليات والتعبير عن الأجناس العشرة التي جعلها كلها عالية.

ولم نجد في كتب بلاغة المتقدمين استعمال الكليات إلا في الفلسفة، أو الكليات الخمس في مقاصد الشريعة، والتي يتبين أن تقسيمها يحاكي التقسيم الفرفوري، أمّا عند المتأخرين فقد استعمل الغريون الكليات في المجال اللغوي ((فقد تحدّث دومارسي عن النحو الكلي، ... وقد كان ليوبولد قد وضع يده على عدد من الكليات الصوتية والنحوية... واهتمّ تشومسكي ، أساسا بالكليات

¹ - الاستدلال: *Inférence* هو عملية استخراج جواب أو نتيجة بناء على معلومات معروفة مسبقا، ويتم من طريقين:*

استنتاجية: *Déduction*، استقرائية: *Induction* . وهو تتبع جزئيات الشيء لإثبات حكم كلي وهو قسمان: تام وصورى.

ينظر: عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص 55. وما بعدها.

* - لماذا استخدم ابن البناء مصطلح شيء؟ قصد الإجابة بحثنا عن مفهوم الشيء في الخطاب المنطقي، فوجدناه: الشيء مقول على

الكلي، إذا لم يوجد من كل الموضوعه شيء لا يقال هذا عليه. و تبين الأشياء الكاية من النظر إلى الأشياء الجزئية) ينظر: فريد جبر

وأخرون، موسوعة المصطلحات، ص 456.

² - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، م.س، ص 54.

التركيبية))¹، على نحو يشي بالحقيقة المعرفية والتأصيل العلمي لمسألة الكليات، إن في التراث العربي أو غيره من تراث الآخر.

و ضمن هذا المقام الموسوم بالكليات، وضع ابن البناء العددي، الباب الثاني والمعنون ب: (أقسام اللفظ من جهة مواجهة المعنى نحو الغرض المقصود)²، ومفهومه: أقسام اللفظ من جهة مطابقته لمقتضى الحال، حتى يكون وفق الغرض الذي يحتاج إليه، وهو نفسه ما أشار إليه أرسطو في "كتاب العبارة" إلى علاقة الألفاظ بالمعاني النفسية وتعالقها الشديد فيقول: ((إن الألفاظ التي ينطق بها دالة أولاً على المعاني التي في النفس ... وأما المعاني التي في النفس فهي واحدة بعينها للجميع))³، وهذا ما حاول الجرجاني التقرب منه بحكم أشعريته، وما كتبه عن موافقة الكلام لمقتضى الحال* ومعاني النحو وما إلى ذلك، وهو ما أكدده صراحة ابن البناء في قوله: ((يعبر عن المعنى المطلوب عبارة يسهل بها حصوله في النفس متمكناً من الغرض المقصود))⁴، وهذا الغرض المقصود بدأه ب:

1- الخروج من شيء إلى شيء: ومرّد هذا الفصل كما أخبرنا عنه، أن ((يخرج من وصف شيء إلى وصف شيء آخر))⁵، فيكون هذا الخروج بعدّة طرق، تشتمل على كيفية أداء المعنى وتلقيه لدى المخاطب، إما تصريحاً، وإما تضميناً، وجعل له المؤلف مصطلحات منها:

¹ - ينظر: عمر أوكان، اللغة والخطاب، م.س، ص 27.

² - ابن البناء العددي، الروض المربع، م.س، ص 91.

³ - ابن رشد، تلخيص كتاب العبارة، تحقيق محمود قاسم، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981، ص 57.

* - (تنسج البلاغة الجرجانية علاقة وطيدة مع الدرس اللغوي الحديث، حيث نعتز فيها على وشائج تربطها بالنحو التوليدي، والنحو الوظيفي، ونظرية أفعال الكلام؛ وذلك انطلاقاً من اهتمامه بالدلالة في علاقتها بالتركيب والتداول، وكذلك اهتمامها بالأفعال الإنجازية والاستلزام الحواري، ونظرية المقاصد التداولية) ينظر: عمر أوكان، اللغة والخطاب، م.س، ص 115.

⁴ - ابن البناء، الروض المربع، م.س، ص 87.

⁵ - م . نفسه، ص 95.

أ- الخروج (التخلص): وحتى وإن لم يبادر إلى تسمية كلا المصطلحين، إلا أنه أبان عن المثال الدال على ذلك، وهو بذلك يضمن أن المطلع على المثال، لا محالة عارف بشؤون الكلام متفقه في أوجه البلاغة، وهذا كثير في كتابه، قلنا أنه ساق شاهدين من القرآن، والآخر من شعر علي بن محمد العلوي الكوفي*، والخروج كما هو معلوم مبحث تناوله أبو هلال العسكري في الصناعتين وابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة، وأفاض فيه الزمكاني، كما استعمله السجلماسي، أساساً

(في النوع الثاني من قسمة نوع التوجيه، وهو الخروج... فهو يري المتكلم أنه يريد وصف شيء، وهو إنما يريد آخر يخرج القول إليه... ومن شرط هذا النوع، لطف التخلص وتغلغله، واستقصاء المعنى وشرفه ((¹، وهذه الشروط قد اعتمدها حازم القرطاجي في منهاجه وساق أمثلة على ذلك كما فرق ما بين ((الاطراد والخروج والتخلص والاستطراد والحشو بنوع من التفصيل والتدقيق)². ومن الشواهد التي أتى بها ابن البناء قوله تعالى: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نَزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّيْتُونِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾، (فخرج من وصف المخلصين وما أعد لهم إلى وصف الظالمين وما أعد لهم)³ فكان هذا التأويل على وجازته كافياً في الدلالة على المراد.

ب- التضمن (الإدماج): وأطلق عليه ابن البناء اسم الإدماج، وكعادته لم يعرف له، وإنما ساق له شاهداً من الشعر و بحث الإدماج تحدّث عنه أبو هلال العسكري وابن المعتز وابن رشيق بهذا

* - (من شعراء القرن الثالث الهجري، وأحد رؤوس فتنه الزنج توفي 245هـ)، ابن شقرون، هامش الروض المريع، ص 95،

و ينظر: علال الغازي، المنزع البديع، الهامش، م.س، 472.

¹ - السجلماسي، المنزع البديع، م.س، ص 472.

² - ينظر حازم القرطاجي، ص من 318 إلى 321.

• - سورة الصافات، الآية: 62-63.

³ - ابن البناء، الروض المريع، م.س، ص 95.

المصطلح، وأضاف له ابن البناء التضمّن، وهو خلاف التضمين على ما سيأتي بيانه عند الكاتب وإذا ما عدنا إلى المصادر وجدنا معناه يدل على "الضفيرة" عند السجلماسي وغيره، ((وهو أن يري المتكلم أنه يريد المصريح به من موصوفيه، وهو إنما يريد المضمّر، منهما تلطفاً وإدراجاً))¹.

ت- التفرّيع: وقد جعل له ابن البناء تعريفاً مقتضياً فقال: ((أو يجعل أحد الوصفين عليه أهم من الآخر ويسمى التفرّيع))²، وقد ذكره ابن رشيق في العمدة، وذكر الشاهد الذي كرّره ابن البناء العددي والمنسوب إلى ابن المعتز، فقال: ((أن يقصد الشاعر وصفاً ما ثم يفرّع منه وصفاً آخر يزيد الموصوف توكيداً، نحو قول الشاعر:

أَخْلَامُكُمْ لِسُقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ كَمَا دِمَاؤُكُمْ يُشْفَى بِهَا الْكَلَبُ

فوصف شيئاً، ثم فرّع منه شيئاً آخر لتشبيهه شفاء هذا بشفاء هذا))³، وفيه من لطائف البلاغة ما لا يحسب له حساب عند العامة.

ث- الاستطراد: يذكر ابن البناء تعريفاً جامعاً مانعاً له، من حيث التفرّيق الداخلي ما بينه وبين غيره من المصطلحات المتداخلة معه، كحسن التخلّص والتوجيه وغيرها، كما فعل ابن رشيق، وفي مفهومه قال ابن البناء العددي: ((أو يخرج لشيء مقصود بصورة أنه غير مقصود، ثم يعود إلى الأول ويسمى الاستطراد))⁴، وكان أبو هلال العسكري وأسامة بن منقذ وغيرهما، قد نعتوه بنفس النعت، ولكن ابن البناء جعل داخل التعريف فروقاً، فقد ((فرّق الأسلاف من البلاغيين بين الاستطراد وحسن التخلّص،

¹ - السجلماسي، المنزّع، م.س، ص 464 وما بعدها

² - ابن البناء، الروض المربع، م.س، ص 96.

³ - ابن رشيق، العمدة، ج 2، م.س، ص 44.

⁴ - ابن البناء، الروض المربع، م.س، ص 96.

فبينوا أنه يشترط فيه الرجوع إلى الكلام الأول، أو قطع الكلام فيكون المستطرد به آخر كلامه، والشرطان معدومان في التخلص، فإنه لا يرجع للأول ولا يقطع الكلام، بل يستمر على ما يتخلص عليه¹ وهذا ما جعل ابن البناء العددي يشير إليه في باب الخروج من شيء إلى شيء ويجعل التخلص قبله.

ج - التجريد: وهو من المصطلحات التي وظّف فيها معايير المنطق ومصطلحاته فقال في تعريفه:

(أو يخرج من إثبات الشيء إلى نفيه بالقوة أو بالفعل، ويقال له التجريد، كقوله تعالى:

﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴾*، معناه لا شفاعه لهم فتنفعهم، فليس المراد إثبات الشفاعه غير

نافعه، بل نفي الشفاعه لهم²، وهو شرح استوفى فيه التعريف كاملا والشاهد بالتحليل والتعليل. في حين

نلفي السجلماسي يغيّر المصطلح إلى ما يرضاه، فيضعه في النوع المتعلق بإبدال السلب ووضعه موضع

الإيجاب، فيقول معلقا على هذا التوجه: ((وإبدال السلب ووضعه موضع الإيجاب هو المدعو عند أهل

البيان بالتجريد، وهذه التسمية منسوبة إلى أبي علي الفارسي))³، وقد ساق له شواهد كثيرة من القرآن

الكريم والشعر العربي، مما جعله يستسيغ المصطلح ويلحقه بالجزل وشريف المعنى والمبنى.

ح- الاستدراك: وهو من الاصطلاحات التي ظهرت عند ابن المعتز قديما، وداوم البلاغيون على إيراده

ضمن تفرعاتهم، ولم يشذ ابن البناء على العهد، فقال في مفهومه: ((ومنه ما يخرج من نفي الشيء إلى

إثباته هو وغيره مبالغة))⁴، ومن الملفت أن بعض البلاغيين من أمثال الزملاكي وغيره يلحقون الرجوع

بالاستدراك، وقد تحدّث عنه السجلماسي تضمنا، فقال: ((وهذا النوع إرادة المتكلم وصف شيئين :

¹ - أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، م.س، ص 466.

* - سورة المدثر، الآية: 47.

² - ابن البتاء، الروض المربع، م.س، ص 97.

³ - السجلماسي، المنزع، م.س، ص 299.

⁴ - ابن البتاء، الروض المربع، م.س، ص 97.

الأول منهما على القصد الأول ، والثاني بالانجرار، لضرب من التلاقي¹، ولا نعلم فيما ترك الأمر مبهما على حاله، ولم يُشر إلى المصطلح بعينه.

خ- الاعتراض: وهو ما وضّحه في حديثه اليسير حين قال: (أو يخرج في أثناء الكلام إلى شيء يعنّ له في قوله)²، وقد مثّل له بقول الشاعر النابغة الجعدي، حيث ورد هذا الشاهد عند الكثير من البلاغيين من أمثال ابن المعتز والعسكري وغيرهما :

أَلَا زَعَمْتَ بنو عَبَسَ بِأَيِّ _ أَلَا كَذَبْتَ _ كَبِيرِ السِّنِّ قَانَ

فقوله _ أَلَا كَذَبْتَ _ اعتراض، وهو توكيد على الكلام الأول، وذهب السجلماسي إلى ما ذهب إليه صاحبه، فقال: ((الاعتراض إرادة المتكلم وصف شيئين: الأول منهما على القصد الأول والثاني بالانجرار، لضرب من التأكيد فقط))³، بمعنى إيراد معنى من المعاني التي في النفس، ثم يتبادر إلى الذهن معنى آخر في طريق الكلام، فيتمّ الانسياق إليه من غير إعلال أو إبدال للمعنى الأول، وهو ما نلمس فيه بوادر الانزياح المعلوم عند المعاصرين.

د- الالتفات: ومن صوّر الخروج من شيء إلى شيء، الالتفات وهو المعوّل عليه في قوله:

¹ - السجلماسي، المنزح، م.س، ص 455.

² - ابن البناء، الروض المريع، م.س، ص 98، وذكر ما اصطلاح عليه الالتفات، ولم يتعرض لهذا المصطلح الذي ظهر مع الأصمعي وجعله ابن المعتز من محاسن الكلام، ثم شق المصطلح لنفسه الكثير من التشعبات.

³ - السجلماسي، المنزح البديع، م.س، ص 449. ومن الملفت للنظر أن السجلماسي أفاض في هذا الباب وجعل الالتفات قبله بعكس ما ذهب إليه ابن البناء، ثم ساق الكثير من الشواهد البلاغية من القرآن الكريم والشعر العربي، بغرض الوصول بالمتلقي إلى الفهم الحسن لما ذهب إليه، وإن كان لم يأت على شرحها كلّها، إلا أننا نلمس المبتغى في الإكثار من الشواهد، وهي طريق المتأدبين من أنصار المدرسة المنطقية.

((أو يخرج من حضور إلى غيبة وعكسه))¹، و سماه خطاب التلون*، ولم يفصح عن الدلالة المعرفية لهذا التداخل المفهومي ما بين المصطلحين، وكان ممنّ ابتعد عن الجمع ما بين الاعتراض والالتفات لما بينهما من قرابة على مستوى التطبيق والتمثيل، كما صرّح بذلك السجلماسي بقوله: ((... وكأنّه اعتراض تشكيك ولذلك غلط من عدّها نوعا واحدا غير متباين))²، وعلى هذا الأساس فرّق بينهما ابن البناء العددي، نتيجة لما وصلت إليه فطنته البلاغية والعلمية في ذلك.

وحتى وإن لم يبيّن الملمح البلاغي والأسلوبي المتولّد عن استعمال الالتفات، إلّا أنّنا نجد بيانه وحسن صنيعه عند السجلماسي، وغيره ممنّ استعمله بمفهوم شجاعة العربية**، وتحويل نظر المتلقّي من حال إلى حال، نتيجة عمل الباث على كسر صيغة أفق الانتظار، في حين يربط ابن جني((غرض الالتفات بمنزعه النفسي الذي قد يخامر المتلقين على اختلاف درجاتهم))³، فيكون المتلقي على موعد مع النتيجة الحتمية للمقدمات التي استلذ بها، إلى أن ينحرف أو يعدل بحسب المدلول المعاصر، أو

¹ - ابن البناء، الروض المريع، م.س، ص 98.

* - يمثل هذا الوصف تناوله السجلماسي فقال: (وهو المدعو عند قوم : خطاب التلون، ... وهو تردّد المتكلم في الوجود، وابن المعتز يرميه بأنّه انصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة وعن المخاطبة إلى الإخبار، وصاحب كتاب العمدة مشنّ على ابن المعتز بهذا الرسم ومستحسن له)، للتفصيل، ينظر كتاب المنزع البديع، السجلماسي، م.س، ص 442 وما بعدها.

² - م. نفسه، ص 442.

** - يعطينا حسن طبل بعضا من المصطلحات التي تواردت مع الالتفات في (الدلالة على ظاهرة التحول الأسلوبي، ومن بينها: الصرف، العدول، الانصراف، التلون، مخالفة مقتضى الظاهر، شجاعة العربية، وما إلى ذلك، وكان معروفا منذ القرن الثاني للهجرة). ينظر: حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، القاهرة، ط1 دار الفكر العربي، 1998، ص11.

³ - أحمد سعد محمد، نظرية البلاغة العربية، دراسة في الأصول المعرفية، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب، 2009، ص 135.

يعترض، ويلتفت أو يستدرك ويجترس*، بالمفهوم التراثي للمصطلح، فيحدث أن يتعلق قلب السامع بما ينهي إليه بقية الكلام، في ثنايا النص أو الخطاب.

ص- الاعتماد: وكنتيحة حتمية لتتمة البحث في الخروج من شيء إلى شيء، أردف ابن البناء بعد الالتفات حديثه عن الاعتماد، الذي استنبطه بنفسه من دون سابق معرفة عند سابقه** وهذا ما يقوي فرضية إمام ابن البناء العددي بالمسائل البلاغية عند العرب عامة، والفروق التي وجدت حينها ومن ثمّة الحاجة الملحة إلى الابتكار والابتداع، لا على مثال سابق، فقال ابن البناء العددي مؤكداً:

((أو يخرج في كلامه إلى معنى لم بين القول عليه))¹، فهو شبيهه بالالتفات ((يقوم على الخروج من صيغة لغوية إلى أخرى، إلا أنّ هذا الخروج يكون في آخر الكلام وليس في صدر الكلام ولا حشوه))²، على أنّ الدلالة تختلف تبعاً لما يعترض الكلام من زيادة أو نقصان، وما يتصل بذلك من تحسين الألفاظ وجزالة التعبير وسبك النص، وحسن التعليل والتوضيح.

* - وضع حسن طبل الاتجاهين الرئيسيين للمنحى الأسلوبى والدلالى لمصطلح الالتفات، فقد (وجد الاتجاه الأول الذى عزل الدال عن الظاهرة الأسلوبية وحددوه تحديداً يترادف بها مع مصطلحات بلاغية أخرى، ومن أنصار هذا الاتجاه، الحاتمي (-388هـ) و العسكري (-395هـ) الثعالبي (-430هـ) البغدادي (-517هـ) القرطاجني (-684هـ)... والاتجاه الثانى: وهو ما اتسعت فيه دلالة الالتفات، فشملت مع ظاهرة التحول الأسلوبى ظواهر بلاغية أخرى، ومن أنصار هذا التوجه، ابن رشيق المسيلي (-456هـ) فى كتابه العمدة، والفخر الرازى (-606هـ) وابن أبى الأصبغ المصرى (-654هـ). ينظر، حسن طبل، م. نفسه، ص 18 وما بعدها.

** - ومما يدل على عدم إمام المشاركة بهذا المصطلح وإرجاع كل الأمر إلى باب الالتفات، ما حققه السجلماسى فى منزعه، حين تحدّث عن سؤال الأصمعي عن التفاتات جرير، وهي ليست بهذا المعنى، فقال السجلماسى: (... وإنما سمّاه التفاتاً باسم قسيمه لأنهم لم يكونوا يميّز لهم هذان النوعان اللذان ينقسم جنس الالتفات إليهما ، فكانوا يسمّونهما باسم الالتفات ، وكذلك كان ابن المعتز يفعل)، للمزيد من التوضيح، ينظر: السجلماسى، المنزح البديع، م.س، ص 44 وما بعدها.

¹ - ابن البناء، الروض المربع، م.س، ص 99.

² - سعاد صالح فريح الثقفى، المصطلحات النقدية والبلاغية، م.س، ص 179.

وبعد أن انتهى ابن البناء العددي من حصر الجزئيات العشرة هذه، المدرجة ضمن فصل الخروج من شيء إلى شيء، دخل الفصل الثاني في مفهوم تشبيه شيء بشيء، ثم قسمه وفرّع شؤونه ومباحثه، ومثلما فعل هنا، استتبع العمل مع باقي الفصول والأبواب المتبقية من الكتاب، على شاكلة الفصل الأول، مقللاً من الشواهد تارة ومجملاً الكلام تارة أخرى، ولا يتبع الاستطراد إلا ما كان لحاجة الحديث والبيان، وسنأتي على شرح المناسبة (التناسب) وأحكامها، عنده في الفصل الثالث من هذه الرسالة، حتى نكون على بينة مما استعمله ابن البناء في الحديث عن المنطق الرياضي، وكيف وظّفه من أجل تحليل وتأويل بعض الشواهد البلاغية القرآنية والشعرية؟.

الفصل الثالث

قال القلصادي:

(... ولا بدّ من النّسبة بين الأعداد وإلّا لا يمكن أن يوصل إلى معرفة المجهول منها...)

أبو الحسن القلصادي
شرح تلخيص أعمال الحساب.
ص 223-

فلسفة المنطق الرياضي و تأسيس بلاغة "ابن البناء العددي"

تمهيد

(1) أثر نظرية التناسب في تأويل الشواهد البلاغية

(2) أثر صناعة البديع في تحسين المعنى وسبك النص

تمهيد:

بعد هذه الإطلالة الموجزة، والتقديم المختصر، الذي أبتأ فيه عن عمل ابن البناء المراكشي في كتابه الروض المربع، وكيفية صناعة مصطلحات صناعة البديع، والطريقة التي استطاع بها تنظيم كليّات البلاغة، وفق التقسيم المنطقي* وما انتظم تحتها من جزئيات، حوصلت جميع المصطلحات المشرقيّة والمغربيّة، وحوت كل المعارف القديمة والجديدة، فضلا عن استقصاء الدلالات المعرفيّة الناجمة عن استخدام المنطق الصوري والاستقراء الرياضي، وما انجرّ عنه من تفكيك الحمولة المعرفيّة للكثير من المباني والمعاني.

ومنه، فإننا نصل بعد هذا التقديم، إلى شيء مهم في المعرفة البنائيّة للقوانين المنطقيّة، التي تنضبط بها البلاغة العربية في نظر ابن البناء العددي، والقوانين المتحكّمة في صناعة الشعر والنثر، وكل ما يدخل ضمن هذه الكليّانيّة على حد تعبير "محمد مفتاح" و"محمد أبلأغ"، ممّن عَنوا عناية فائقة بالتراث البنائيّ خاصّة، والمغربيّ عامّة، ألا وهي نظريّة التناسب الرياضية**، التي حاول ابن البناء المراكشي توظيفها

* - التقسيم المنطقي: هو قول يوزّع الشيء إلى أجزائه أو اللَّفظة على مختلف معانيها، وعناصر التقسيم المنطقي ثلاثة وهي: 1- الكل: وهو المقسوم بحسب ذاته، أو بحسب عدده. 2- الأجزاء: وهي المقسوم إليه، والمقصود هنا هو الأجزاء المنطقيّة لا الفيزيائية. 3- أساس القسمة أو وجهها). ينظر: محمود اليعقوبي، دروس المنطق الصوري، ص 59. وهذا التقسيم المنطقي اعتمده ابن البناء بحدافيه في الروض المربع وحاول أن يقسم الجنس بحسب أنواعه، والنوع بحسب أفراده، وهذا على شاكلة الشجرة الفر فورية أو فرفوروس، حيث يستوفي التقسيم كل ما صدق الشيء المقسم، مع مراعاة الترتيب، من الأعمّ إلى الأخص .

** - التناسب الرياضي وجد في المنطق الرياضي الأرسطي، كما عرفه علماء الرياضيات العرب منذ الشروع في عملية نقل التراث الرياضي والفلسفي اليوناني إلى العربية في عهد أبو جعفر المنصور والمأمون (198هـ - 218هـ) فاجتهد فيها الخوارزمي (-238هـ) وابن قرة (-288هـ) هذا الأخير الذي أصلح كتاب الهندسة لإقليدس والذي نقله الحجاج بن مطر وإسحاق بن حنين إلى العربية. للاستزادة، ينظر: لغة الرياضيات في العربية، ترجمة، محمد مرسي، مطبعة القلم تونس، بيت الحكمة قرطاج، 1989، ص 32 وما بعدها.

توظيفاً سليماً، من أجل لمّ شمل جميع المصطلحات، وتكوين صورة متقاربة ودقيقة عن الشواهد وتفصيلها، وكيفية الوصول من المجهول إلى المعلوم بالضرورة، من طريق الاستنتاج والاستقراء والبرهنة العلمية الرياضية، ذلك أن المنطق يفرض علينا أنّ الاستقراء هو الطريق من الأمور الجزئية إلى الأمر الكلي، وهو من الطرق البرهانية والاستدلالية التي التجأ إليها في كتابه: تلخيص أعمال الحساب، وقبله كتاب وجوه أعمال الحساب، اللذان شرحهما أكثر من واحد على اختلاف الألقاب والأسماء، مع توجيه عنايته إلى ((الدرس البلاغي والصوفي والتفسيري))¹، انطلاقاً من نظرية التناسب الرياضية، السالفة الذكر.

إنّ نظرية التناسب الرياضية التي أتت مع أرسطو، وحوّلها بدوره من اللغة الصناعية إلى اللغة الطبيعية*، وجدت مناخاً خصباً عند العرب في تطبيقها على جملة من العلوم، ابتداءً من المعلم الثاني إلى ابن سينا وابن رشد إلى ابن خلدون** في حدود اطلاعنا _ ؛ هذا الأخير وظّفها توظيفاً جيداً في

¹ - أما بالنسبة لعمله في مجال التصوّف فكان أن ألف كتاب بحجم رسالة في التصوّف بعنوان (مراسم الطريقة في فهم الحقيقة من حال الخليقة) تحقيق ودراسة: شوقي علي عمر كلية الدراسات العربية والإسلامية / القاهرة، كما ذكره: محمد مرتاض في كتابه:

التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي، (د ط)، بن عكنون، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص 90

* - اللغة الطبيعية هي اللغة العادية لأمة من الأمم مثل العربية والفرنسية وغيرها، يقول هايدجر: (إن اللغة توجد حيث يوجد العالم) أما اللغة الصناعية، هي اللغة التي يخترعها الفلاسفة والعلماء لأغراض علمية، وتسمى اللغة الصورية أو المثالية وتسمى لغة العلوم.

ينظر: فريد جبر وآخرون، موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب، ص 707.

** - يعلّق مفتاح كثيراً على ما جاء من تطبيقات لنظرية التناسب عند ابن خلدون، فقال: (لقد ذهب ابن خلدون بعيداً في توضيح ما اقترحه ابن البناء؛ فقد اقتصر على ثنائية الوجود في الأذهان والوجود في الأعيان، وأبعد الوجود المجرد والواجب والممكن وما يتبع ذلك من احتمالات... فقد اقتصر على ما هو حاصل بالضرورة من واقع رياضي أو واقع مادّي، ويتّضح هذا التضييق من الأمثلة التي قدّمها للتناسب...) ينظر: محمد مفتاح، المفاهيم معالم، م. س، ص 64. ولا بد من الإشارة في هذا المقام إلى أن المشاركة عرفوا التناسب بين أطراف الجملة أو ما اصطلاحوا عليه تشابه الأطراف أو تناسب الأطراف عند السكاكي مثلاً وشراحه، ولكن لا على الصيغة الرياضية التي جاء بها ابن البناء العددي، والتي تسترشد من المنطق الرياضي أصوله وقوانينه، وتمتدح من معين فلسفي ناتج عن العلاقة ما بين المعلوم والمجهول، الذي نبحت عن بيانه.

تقسيم العمران وعلم الاجتماع، والوجود في الأعيان والأذهان، وما يترتب عن ذلك من قواعد، كما أننا نجد ابن البناء العددي وظّفها في البلاغة العربية والتفسير، انطلاقاً من الرياضيات والجبر.

وخلافاً للمفهوم الأرسطي الذي يستوحي ((من تحليل اللّغة الطبيعيّة، ينطلق النّسق الذي ابتكره العرب، تحت اسم نظريّة النّسب من الحدس الهندسي، ويضع تصنيفاً للعلاقات القائمة بين الحدود مختلفاً تماماً عن التصنيف المعروف))¹، وهو ما وقفنا على كثير من أساساته عند ابن البناء العددي في كل الكتب التي وقعت بين أيدينا، المخطوطة منها والمحقّقة* والمشروحة، حيث خرجنا بصورة عامّة مفادها بأنّه وظّف واعتمد المنطق الرياضي، في تنظيم الصّور البلاغيّة الجزئية في كليّات، فهذا الباحث محمد مفتاح يصرّح أنّ ((القارئ لكتاب ابن البناء، يرى الرياضيات والمنطق رأي العين، فابن البناء وريث شرعي لتقاليد المدرسة البلاغية الرياضية المنطقية العربية الإسلاميّة: مدرسة الفارابي وابن سينا وابن رشد))²، في مجمل القوانين المنطقية الضابطة للدرس البلاغي، وغيره.

ولعل ابن البناء العددي، استثمر التّناسب الرياضي في فصلين أساسيين من الكتاب هما: (تشبيه شيء بشيء)، و(تبديل شيء بشيء)، انطلاقاً من الصّور المتقابلة، والعلائق المنطقية للقضايا ذات المرجعية الاصطلاحية الواحدة، والمفهوم المتعدّد؛ لأن لبّ المنطق ((يعالج الكلام الاستدلالي من جهة

¹ - عادل فاحوري، منطق العرب من وجهة نظر المنطق الحديث، ط3، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1993، ص 175
* - قصد بلوغ غاية الفهم والتحقق من المصادر في مضامها، قمنا بزيارة الخزانة العامّة بالرباط في 04 يناير حيث وقفنا على أهم أعمال ابن البناء المراكشي في التّناسب الرياضي خاصة مخطوط: المقالات في علم الحساب، مخطوط: ميكروفيلم رقم: 2215 د، وتلخيص أعمال الحساب، مخطوط، ميكروفيلم رقم: 2023 د وتحفة الطلاب في العمل بالإسطرلاب، مخطوط غير محقق، رقم: 1064 ب، ومجمع المهمات في علم الأوقات، مخطوط غير محقق، رقم: 2215 د، وغيرها من المصادر والمراجع سيأتي بيان الكثير منها.

² - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، م.س، ص 44.

نحوه إن صحَّ التقريب والتعبير، للوقوف على تراكيب القضايا وصور تأليفها وأضرابها وشروط تناقضها، أما العلاقة بين نحو الأقيسة وخواصها فتعود إلى البلاغة، فتكون العلاقة بذلك بين الكلام الاستدلالي والبلاغة، علاقة جزء بكل¹)، فحاول المحصر بناء على أسلوب علمي منطقي، فكان أن بوّب أبواباً تنمّ عن سعة مداركه وحجم علمه، ولكن: ما هو مبرّر ابن البناء العددي وغيره من العلماء الرياضيين الآخرين، في اتخاذ الرياضيات وبالأخص التناسب، مرتكزاً في الاشتغال على الدرس البلاغي وغيره؟ إن اهتمام وانشغال العرب بالرياضيات، له ما يبرّره على المستويين: القريب والبعيد، حيث الأول: من قبيل النقل والترجمة من اليونانية والهندية والسريانية إلى العربية، والثاني: الاجتهاد والاستنباط وحلول قواعد جديدة دخلت صلب الثقافة العربية، وحاول أصحابها مزجها مع غيرها من العلوم النظرية، منذ أن عرف علم الكلام طريقه نحو الجدال المعرفي داخل المنظومة الفكرية العربية، في حجمها الواسع، أين تم تلاقي الأفكار وتفتح الألسنة، مما انجر عنه سيل من العلوم اكتسبت الصبغة العربية منذ البدايات الأولى.

هذا من جهة، أما من جهة ثانية فإن ((الرياضيات تشكّل القسم الثاني من أقسام الفلسفة الثلاثة للفلسفة النظرية حسب التصنيف القديم، وينكب علم الحساب على دراسة خواص الأعداد الصحيحة، وقد أسهم العلماء العرب في إبراز المظهر العددي للأعداد الجذرية وتطويره))² فكان أن نبغ منهم عدد لا بأس به من العلماء ممن وضعوا النظام الستيني، وتطوير النظام العشري الصحيح والكسور العددية، كما

¹ - شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، تونس، منوبة، دار المعرفة للنشر، ط1، 2006، ص 109.

² - محمد أبطري، دراسات في تاريخ العلوم العربية، (د ط)، الدار البيضاء، مؤسسة الملك سعود، 2007، ص 45.

اهتموا بوضع الصفر على يمين العدد* واكتشفوا اكتشافات مذهلة ، سُرقت مضامينها بعد القرن السادس عشر ميلادي في أوروبا.

وخير دليل على هؤلاء العلماء، نذكر من المغاربة على سبيل التمثيل لا الحصر((ابن هيدور التادلي[•](-816هـ) صاحب كتاب التمهيد في شرح التلخيص)¹، وهو التلخيص الثاني والشرح الوافي لكتاب تلخيص أعمال الحساب لابن البناء المراكشي، حيث ساق فيه إلى جانب الشرح أقسام الفلسفة القديمة وفروعها فضلا عن جداول الحساب ومنطق التناسب عند ابن البناء.

ويضيف الباحث إدريس لمرباط صاحب تقديم لكتاب: [فقه الحساب] في مقدمته أنه ((إلى جانب ابن البناء المراكشي، استعمل فقه الحساب من طرف رياضيين* آخرين مغاربة وأندلسيين أمثال

* - يشير عمر التومي، إلى أن العرب ظهر عندهم رمز الصفر إلى يمين الرقم بدلا من تحته، حيث يدل الصفر على مكان خال ابتداء من اليمين إلى اليسار. و غيرها من الابتكارات العلمية التي تبرهن على بلوغ العرب والمسلمين ذروة النشاط الرياضي والعلمي، وخروجهم من بوتقة الشروح والنقل، وتجاوز ذلك إلى الابتكار والاختراع لا على مثال سابق. ينظر: عمر التومي وجماعته، تاريخ العلوم الأساسية في الحضارة العربية الإسلامية، ط1، بن غازي، دار الكتب الوطنية، 1996، ص186.

[•] - علي بن عبد الله بن بن محمد بن هيدور التادلي إمام الفرائض والحساب، له شرح على تلخيص ابن البناء في الحساب وتقييد على رفع الحجاب، توفي بمجاعة حلت بفاس سنة 612هـ. ينظر: ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، ص 475.

¹ - محمد أبطري، دراسات في تاريخ العلوم العربية ، م.س، ص 52

* - في حين يزيد عمر فروخ في بحوثه التاريخية أسماء لأمعة أخرى مثل ابن باجة(- 533هـ) حيث يقول فيه:

(أول الفلاسفة العقلين على الحصر أقام الفلسفة العقلية على أساس الرياضيات والطبيعات) ويضيف أيضا: (أن العلوم الرياضية نهضت في عصر المؤحدين وبرز ابن خليفة الإشبيلي(-575هـ) وعمر بن محمد البلنسي(ق6هـ) في كتابه[اختيار الجبر] أبو علي الحسن المراكشي(-660هـ) وأبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي المغربي(-651هـ) ينظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، (د ط)، بيروت، دار العلم للملايين، 1981، ج5، ص41.

ابن هيدور التادلي، وابن الصفار^{**} (426هـ) وابن زكريا الغرناطي، وبعيش بن إبراهيم الأموي في كتابه مراسم الانتساب في معالم الحساب¹، حيث كانت مدرسة مغربية قائمة بنفسها في الرياضيات. ومن خلال البحث الذي أجريناه، حول تأسيس المنطق الرياضي عند ابن البناء العددي ومحاولة الكشف عن الثنائية التي تفرّد بها، من حيث تعامله مع صناعة البديع، ومزجها بمنطق التناسب، الذي خرج من رحم الرياضيات، عثرنا على شرح مفيد وجليل لكتابه تلخيص أعمال الحساب، استفدنا منه بعد كلل وعناء مع الشرح الأوائل، ومحاولة مقارنة كل ذلك مع ما تلمّسناه في مخطوط التلخيص والوجوه، واستدركنا الكثير من العمل الذي بدأنا فيه، حيث يذكر "محمد مفتاح" أنّ ((مصادرة الكتابين واحدة؛ والمصادرة هي أن الأمور الذهنية* تقام على الأمور الوجودية.. هذه المناسبة التي عليها مدار كل صناعة، وهي الحكمة النظرية لتلك الصناعة بحسب تعبير ابن البناء في وجوه أعمال الحساب))²، وهذا

^{**} - أحمد بن بن عبد الله بن عمر الغافقي، أبو القاسم المعروف بابن الصقار، مهندس فلكي من أهل قرطبة، كان يعلم الحساب والنجوم، من مؤلفاته: الزيج مختصر، و رسالة في الإسطرلاب. ينظر، خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس وتراجم، دار العلم للملايين، ط15، 2002، ج1، ص 157

¹ - أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن منعم العبدري، فقه الحساب، تقدم: د. إدريس لمرايط، ط1، المغرب، دار الأمان للطباعة والنشر، 2005، ص 16.

* - لا بد من التنبيه إلى أمر مهم في هذا المقام، وهو تدخل العوامل السياسية والثقافية في عهد ابن البناء وهو العصر المريني في بلورة العلوم العقلية والابتعاد عن المناحي الفلسفية (فمن تلك الكتب أحوال النفس، والإشارات والتنبيهات والشفاء والنجاة... ومؤلفات ابن عربي، إلا أنّ البيئة التي نشأ فيها ابن البناء العددي فرضت رقابة دقيقة على كثير من الكتب المذكورة لئلا يثار الجدل بين الناس وينشغلوا بما لا يعينهم في دينهم ودنياهم لهذا وظّف ابن البناء العلوم العقلية وبعض العلوم الشرعية فيما هو نفعي أو يؤدي إلى منفعة: وظّف المبادئ العقلية والمنطقية لتصنيف البلاغة ولضبط قوانين التأويل، واقترح إلهيات يسيرة غير عسيرة) يراجع محمد مفتاح، المفاهيم معالم، السابق، ص، 64، وهو ما وقفنا على الكثير من خباياه في كتاب ابن البناء [مراسم الطريقة] وكتاب [الرسائل] و [مطالع النجوم] وغيرها، من المخطوطات التي تحتاج فعلا لدراسة مستفيضة حول حياة الرجل.

² - محمد مفتاح، المفاهيم معالم، م.س، ص 60.

النعته الذي وجهه محمد مفتاح مردّه إلى اشتغال العالمين بتغطية جزء من الغياب الحاصل حينها في الرياضيات بوجه مبسط.

وعلى العموم فإن هذا الشرح، هو شرح تلخيص أعمال الحساب لأبي الحسن القلصادي

(- 891 هـ) • حيث قدّم له وحقّقه الباحث فارس بن طالب^{1**}، فيقول في مقدّمة التحقيق: ((يعدّ كتاب ابن البناء [تلخيص أعمال الحساب] من أكثر الكتب التعليميّة دراسة في القرنين الثامن والتاسع للهجرة، كثرت شروحه، وتلاخيصه، ومنظوماته ومن بينها شرح أبي الحسن القلصادي آخر علماء الرياضيات في الأندلس²)، الذي اغترف من كل الجهات التي وفد إليها، وألف في كل قطب من العلوم قاطبة، حسبما وقفنا عليه في ترجمته.

وعلى اعتبار كتاب " تلخيص أعمال الحساب " وكتاب " وجوه أعمال الحساب "، من أجلّ كتب الرياضيات، في المغربي العربي، فهما بحق يعدّان الإطار النظري الذي مهّد لتطبيق نظريّة التناسب في الدرس البلاغي، وفي هذا الصدد، يتبادر إلى الذهن سؤال منطقي ووجيه في هذا المجال وهو: لماذا

• - علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي، أبو الحسن الشعير بالقلصادي، ولد بمدينة بسطة الأندلسية في 815 هـ، في سنة 840 هـ بدأ رحلته العلمية التي ألفت فيها رحلة القلصادي، أقام بتلمسان أكثر من 8 سنوات في طلب العلم . ويعتبر من متأخري الأندلس حيث ألفت ما يزيد عن 100 كتاب، منها 13 كتاب في الحساب، منها كشف الجلباب عن علم الحساب. شرح تلخيص ابن البناء، كما ألفت في علم الفرائض، وفي الفقه المالكي اختصر خليل، وغيره، وأما في النحو فشرح الأجرومية، وغيرها، وفي المنطق له كتاب شرح إيساغوجي. توفي منتصف ذي الحجة 891 هـ بمدينة باجة الإفريقية . ينظر: التنبوكتي، نيل الابتهاج، ص 210، كما ينظر: أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي، رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجناف، الشركة التونسية للتوزيع، 1978، ص 30 وما بعدها.

** - تعدّ هذه الدراسة - تحقيق كتاب القلصادي -، موضوع رسالة دكتوراة نوقشت في 1994/06/25، بجامعة بوردو (2) فرنسا، قسم الدراسات الشرقية، تحت إشراف البروفسور: "جاك لِنُقَاد"، كما عمل بن طالب علي ترجمته إلى الفرنسية بعد تحقيقه.

¹ - فارس بن طالب، مقدمة كتاب: شرح تلخيص أعمال الحساب، أبي الحسن القلصادي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1999، ص7.

التجأ ابن البناء العددي إلى المنطق الرياضي من أجل البرهنة على البلاغة ومعطيات مصطلحات البديع؟ إلى أي شيء أراد الوصول بعد كل هذا العناء؟

وهذا ما سيقودنا إلى البحث وتقصي الأسباب والبواعث الداعية إلى هذا العمل الجلل الذي ترك بصماته على الساحة البلاغية العربية والمغاربية، وأتم ما نقص على مر الزمن.

وبناء على ذلك، فإنه يمكننا أن نستنتج الجواب من خلال ما كتبه "محمد مفتاح"، وغيره في هذا الشأن، ولو إشارات عابرة، أو ما نستطيع حوصلته - اجتهادا- من خلال كتب ابن البناء نفسه والشروح التي قدّمت له، ومحاولة ربطها بما وجد في المنطق الرياضي، وعلاقة كل ذلك بالكليات، التي أكّد على وجوب وجودها في الرّوض المربع.

ووافق هذا الطرح، يقول "محمد اليعقوبي": ((إن المنطق الرياضي يريد أن يُخضع طريقتنا الطبيعية في التفكير، لطريقة لا يجري بها تفكير الناس، ولا تستطيع أن تجاربه في جميع صورّه وانعطافاته))¹، فهو بهذا الشكل لا يبعد التفكير باللغة الطبيعية، التي يعدّها الرياضيون لغة غير دقيقة ومحاولة إيجاد نوع من اللغة، التي تزيل كل صعوبة في الاستدلال باستعمالها الدقيق، ولا خير من ذلك إلا الجبر الشديد التعقيد، الذي يفرض قواعد صارمة على القياس، والتنظيم الكلي، وإحصاء الجزئيات المنضوية تحتها، بعين العقل*، لا الظن المفضي لحقائق كاذبة ومشوشة وخاطئة.

¹ - محمد اليعقوبي، دروس المنطق الصوري، م.س، ص 184.

* - يقول محمد عابد الجابري أنّ الفقهاء والبيانين والمتكلمين وغيرهم، يحرصون دائما على التمييز بين (العلم) و(الظن) ويورد جملة من أقوال أرباب البيان، كل على شاكلة مذهبه، ومقصد مرجعيته، ويعطي تفسيراً جامعاً لمسألة الظن في القواعد الجوهرية، ومرّد هذا في ذهنه راجع إلى اللغة الطبيعية وما يتعلّق بالفهم المشترك ما بين الملقى والمتلقى. ينظر، محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط9، آب 2009، الفصل السادس، ص215.

هذا من جهة، أمّا من ناحية أخرى، فإن طبيعة التفكير بالاستنتاج** التي خلص إليها ابن البناء العددي، وطبقها على الدرس البلاغي، تشترك والمنطق الرياضي الذي يحاول الانطلاق من مبادئ معلومة، وصولاً إلى المجهول بطريق الاستنتاج والبرهنة العقلية الرياضية.

ومن المعلوم في نظرية التناسب، أنّها تساعد على الوصول إلى المجهول من المعلوم بالضرورة وهو ما صرّح به ابن البناء العددي في التلخيص، إذ يقول: ((الجزء الثاني: في القوانين التي يمكن بها الوصول إلى المجهول المطلوب من المعلوم المفروض، وهو ينقسم قسمين: قسم في العمل بالنسبة وقسم في الجبر والمقابلة))¹، وبهذا التوجه فإن التناسب لوجهاته، وأهميته، ولزومه طريقة الاستنتاج((التي تفرض نفسها وإن كانت لا تمنع من الاختلاف في العبارات))²، تحدث عنه ابن خلدون بنفس الصيغة، يقول: ((وظهر أن التناسب بين الأمور هو الذي يخرج مجهولها من معلومها))³ وهو ما يشير إلى أهميتها العلمية، من حيث تطابقها مع الكثير من المباحث العلمية الأخرى.

من الأمور المهمّة التي أدّت بابن البناء العددي إلى التعاطي مع الدرس البلاغي، بهذه الصورة وعلى هذه الشاكلة العلمية والمعرفية، مقرونا بعلم الكلام والتصوف والأصول والفلسفة، هو أحد الأمور الأربعة التي تأثر بها، والتي أغفلها الكثير من الباحثين في عوالم ابن البناء العددي، وهي نظرية الفيض،

** - يعلّق محمد مفتاح على الضابط الذي حاول ابن البناء أن يستخدمه في التعامل مع الكليات وما ينضبط أسفلها، فقال:

(لقد سلك طريقة الاستنتاج بعدما تبين له أن طريق الاستقراء، هي التي وراء الاختلاف الموجود في الكتب البلاغية

السابقة). ينظر: التلقي والتأويل، م.س، ص42.

¹ - ابن البناء المراكشي، تلخيص أعمال الحساب، مخطوط، الخزانة الملكية، الرباط، مكر وفلم:328د، ضمن مجموعة كتب، ص

220

² - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، م.س، ص42.

³ - محمد مفتاح، المفاهيم معالم، م.س، ص65. نقلا عن ابن خلدون، ولم يشير إلى الصفحة.

نظرية السريان، نظرية الإمداد، فلسفة الإشراف، هذه المحركات الأربعة إضافة إلى تأثيره بالكليات الأرسطية الأربعة، والفرفورية الخمسة، وجدنا لها اعتبارات عديدة في كتبه التي اطلعنا عليها وما حققه الباحث محمد مفتاح- الوحيد فيما رأيناه - في هذا الأمر وما لمسناه من خلال قراءتنا للمراسم، والرسائل الخاصة به، وبالتالي حصل لدينا علم بما كان ابن البناء متأثراً به، وما أراد أن يبينه من كنوز اللغة والبلاغة، انطلاقاً من تحقيقات علمية مستفيضة في هذا المنحى.

إن تأثير علم المنطق في ابن البناء العددي، جعله يعيد النظر في التصورات المنطقية، من حيث المصدق، أو المفهوم ((وهذا ما يوحي لنا بفكرة اندراج بعضها في بعض، أو احتواء بعضها لبعض وبهذا الاعتبار يمكننا أن نقول: إن التصور الذي يتضمن تصوراً آخر هو تصوراً أسفلاً منه.))¹ وهكذا فإن الفلسفة صنّفت تصوّرات بحسب المفهوم، وتصورات أخرى بحسب المصدق، و من هنا عمل ابن البناء العددي على هذه الشاكلة، مستخدماً المنطق والرياضيات، في لمّ شمل مصطلحات البديع تحت كليات، فالتصور الكلي في الفلسفة ((هو الذي يكون مصادقه غير محدود، أي إذا كان صالحاً على جميع أفراد ما صدق))²، دون أن ننسى انشغال ابن البناء كغيره من الفلاسفة العرب بالشجرة الفرفورية،* التي تصنف المحمولات إلى خمسة أصناف، والتي عرفت عند العرب بالكليات الخمس، وهي: الجنس، النوع، الفصل النوعي، والخاصّة والعرض العام، يقول عادل فاخوري: ((اهتمام المناطقة العرب كان منصباً بصورة

¹ - محمد اليعقوبي، دروس المنطق الصوري، م. السابق، ص 45.

² - م. نفسه، ص 46.

* - نسبة إلى فرفوريوس، الفيلسوف الشامي الأصل، اليوناني الثقافة، ويسمى فرفوريوس الصوري (305/234م) وهو الذي اشتغل على نظام الكليات والجنس والنوع وغيرها (يراجع محمد اليعقوبي، م. نفسه، ص 47. كما ينظر: فريد جبر وآخرون، موسوعة مصطلحات علم المنطق، ص 434، وسموها التصنيف المشجر للكليات الخمس.

خاصة على القضايا الكلية والجزئية¹، وكلّها تنطبق على مسمّيات الاستنتاجين الكبيرين عند ابن البناء، في الباب الثاني والثالث من كتاب الروض المربع في صناعة البديع.

وعلى العموم، فإن هذه أهمّ الإجابات التي نستطيع التوصل إليها، من خلال العينات التي اتخذناها محور التطابق مع فكر ابن البناء العددي، وبالتالي يمكننا القول: إنّه اغترف من عدّة مناهل علمية، حتى استطاع أن يبلور هذه الأفكار ضمن ترسانة من المدونات، التي فاقت الستين كتاباً. ومنه يمكننا الآن الحديث عن أهمّ ما جاء عنده في نظرية التناسب، وكيف اشتغل على وتر الرياضيات من أجل تأويل الشواهد البلاغية، بطريقة علمية.

ومّا يلفت النظر في كتابات ابن البناء العددي، أنّه على الرّغم من نمله من مختلف الينابيع الفكرية والمنطقية، إلا أنّه قلّمًا يشير إلى هذا النقل أو التأثير، ومرّد هذا الأمر إن جاز لنا التخمين والتفكير في خصوصيّات ابن البناء العددي والظروف المحيطة به، لنجد ما تفرّد به نابع من نوع من الهروب من السلطة السياسية تارة، والتحقّي* في ثوب الرياضيات تارة أخرى، من أجل الكشف عمّا تختزنه نفسيته المتصوّفة، على حدّ وصف من عايشوا الرجل طيلة عمره الذي لم يتجاوز السبعين سنة من العمر.

¹ - عادل فاحوري، منطق العرب، م.س، ص 159.

* - أشار محمد مفتاح، في كتابه المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، في الفصل المعنون ب: ابن البناء ومأزق الاختيار إلى جملة من الأمور المهمّة في هذا الشأن. للاستزادة ينظر: المفاهيم معالم، ص 64، وما تناوله في ص 202 وما بعدها.

1- أثر نظرية التناسب في تأويل الشواهد البلاغية

- أ- التناسب والمنطق الرياضي المغربي .
- ب- التناسب داخل الخطاب وحدوده .
- ج- نسبة جميع المقدمات إلى جميع التوالي .

أ- التناسب والمنطق الرياضي المغربي:

استغرقت نظرية التناسب حيزًا كبيرًا من أعمال ابن البناء العددي، كما أخذت جزءًا آخر من اهتمامات الرياضيين والفلاسفة قبله، فقد اشتغل "علي بن منعم العبدري" (626هـ) على فكرة تناسب الأعداد ومدى تحصيل قيمتها في العمل العلمي، وربطها بالقياس البرهاني، فقال: ((والقياس البرهاني على الشيء المطلوب يكون على وجهين: إما على طريق التحليل وإما على طريق التركيب)¹، والمقصود بالتحليل هنا، هو التناسب الذي يشتغل على نسبة الأعداد، انطلاقًا من الجبر الشديد التعقيد، كما أنّ استعمالها كان قبل هذا العهد، في الجانب الرياضي ليس إلاّ.

ومن خلال البحث في المدونات العربية تبين لنا، أنّ هذه النظرية تمّرس فيها "أبو بكر بن الحسن الكرجي البغدادي (-419هـ)" قبل ابن البناء العددي، في كتابه [الكافي في الحساب]، حيث يقول في مفهومها: ((اعلم أن النسبة؛ أي قدر مقدارين متجانسين، كل واحد منهما عند الآخر وتكون نسبة الواحد إلى المنسوب إليه كنسبة الخارج من النسبة إلى المنسوب إليه على الإبدال))²، وهذا الإبدال المصرح به هنا هو بيت القصيد في التناسب، إذ لا يشتغل بالتناسب إلا من طريق الإبدال، وهو ما أفرد له ابن البناء العددي ملحقًا واسعًا في كتبه الرياضيّة.

ويتحدّث عادل فاخوري عن البدايات الأولى للتناسب العربي، وما هو الدّاعي الذي حملهم على الاستعانة به، فقال: ((يضع مناطقّة العرب أربعة أنواع من النسب بين الكليات وهي: المساواة والتباين

* - أحمد بن إبراهيم، بن علي بن منعم العبدري (-626هـ) 1228م، عالم ورياضي مغربي، له مؤلفات جمة في الرياضيات، والكسور والجبر، درس العبدري فكرة تناسب الأعداد ونسبة الأول للثاني ودرجة التناسب الخاصة بالكسور وغيرها ابتداء من الصفحة 145 من الكتاب. ينظر فقه الحساب، ص 145 وما بعدها.

¹ - العبدري، فقه الحساب، م.س، ص 20.

² - أبو بكر محمد بن الحسن الكرجي عاش في بغداد وتوفي في 419هـ. ينظر: محمد بن الحسن الكرجي، الكافي في الحساب، دراسة وتحقيق، سامي شلهوب، منشورات جامعة حلب، 1986 ص 58.

الكلي، والعموم، والخصوص المطلق، والعموم والخصوص من وجه. ولا ريب أن إطلاق اسم النسب ذاته على نسقين متشابهين في الرياضيات والمنطق... يشير إلى تأثير الأول على الثاني¹، ولقد استفاد ابن البناء العددي من هذا كله ووظفه بطريقة علمية في الروض المربع.

وفي حديثه - الفاخوري - عن أهمية دراسة العلاقات بين ما صدق الكليات، تبين لنا أنها كانت في ((أول نشأتها تقتصر على دراسة العلاقات القائمة بين ما صدق الكليات، وعلى تقرير القواعد العامة المترتبة على هذه العلاقات... وانطلق مؤسسوا نظرية التناسب من اعتبار ما صدق الكليات، أي من اعتبار الأفراد المندرجة تحت الكليات - الجزئيات-، ولذلك كان غرضهم الأولي بناء منطق المجموعات))²، وعلى هذا المدار، اشتغل ابن البناء انطلاقاً من الصور الجزئية التي تنضبط وفق الكلية العامة، والتي تعتبر بمثابة مجموعة تحتوي على عناصر لا يصح بحال من الأحوال التفريط في عنصر منها.

وبهذا التفسير الأولي للنظرية، اتكأ ابن البناء العددي على تحديد استنتاجين كبيرين، من منطلق الحرص على رسم المجموعات، فكان أن جعل الباب الثاني أو بعارة المنطق، الكلية الثانية أو بالعارة الرياضية المجموعة الثانية: أقسام اللفظ من جهة مواجهة المعنى نحو الغرض المقصود، وقد أبتنا قبل هذا معنى الباب، ومنطلقه، ثم عيّن ما يصدق على هذا الباب من جزئيات أو لنقل فصول الباب بالاعتبار المنهجي للتقسيم، وأما بالتعبير المنطقي فنسميه الأفراد المندرجة تحت الكليات.

¹ - عادل فاخوري، منطق العرب ، م.س، ص 176.

² - م . نفسه، ص 177.

وأما الكليّة الثانية على المفهوم المنطقي، والمجموعة الرياضيّة الثالثة، فكانت وفق استنتاج: أقسام اللفظ من جهة دلالاته على المعنى، وضمّه جملة من الأفراد المدرجة فيه، ولا سيّما ما تعلق بالتناسب الموظّف منذ البداية في ذهن وتأليف الكاتب.

و عليه، فإنّ ابن البناء بسّط هذا الأمر، في التلخيص فقال: ((...القسم الأول في العمل بالنسبة، وهو على ضربين: بالأربعة أعداد المتناسبة، و بالكفات، والأربعة أعداد المتناسبة هي التي نسبة الأول من هذا الثاني كنسبة الثالث للرابع، وضرب الأول في الرابع كضرب الثاني في الثالث، ومتى ضرب الأول في الرابع وقسم على الثاني خرج الثالث، وعلى الثالث خرج الثاني، ومتى ضرب الثاني في الثالث وقسم على الأول خرج الرابع، أو على الرابع خرج الأول))¹، هنا يتحقق عنصر الإبدال الركيزة الأساسية للتناسب*، وهو الذي أشار إليه "الكرجي" آنفاً، وسيأتي التطبيق البلاغي على هذه النظرية في التشبيه والاستعارة والكناية في ثانيا هذا الفصل.

أما السجلماسي فإنه بعد أن قسم التناسب إلى أربعة أنواع، ربطها بالتكرير المعنوي تارة والمحاذاة تارة أخرى، وبني ذلك كلّ على وحدة التلاؤم ما بين الأبيات أو عناصر الكلام داخل الوحدة العضوية للنص، فيقول: ((والمناسبة في أجزاء القول اسم جنس متوسط تحته أربعة أنواع: الأول إيراد الملائم، والثاني

¹ - ابن البناء العددي، تلخيص أعمال الحساب، م.س، ص 221، نشير في هذا الصدد إلى أن التلخيص حققه محمد سويس، منشورات الجامعة التونسية. ولكن لم نعثر عليه للأسف الشديد وإلا لاستطعنا تحرير الكثير من المقولات التي وجدنا صعوبة كبيرة في فهمها وقراءتها انطلاقاً من المخطوط المشار إليه سابقاً.

* - حاول المنطقي الرياضي الفرنسي Gergonne أن ينشئ (منطقاً عقلياً مغايراً للمنطق الجاري في اللغات الطبيعية) من خلال كتابه: Essai de la dialectique rationnelle, p.199، ولكنه لم يكن على دراية بأن المناطق العربية قد سبقوه لمثل هذا العمل منذ قرون عديدة، حيث ينطلق النسق الذي ابتكره العرب تحت اسم نظرية النسب من الحدس الهندسي ويضع بذلك تصنيفاً وجيها للعلاقات القائمة بين الحدود مختلفاً تماماً عن التصنيف المعروف. ينظر: عادل فاحوري، منطق العرب، ص 175. بتصرف في المتن.

إيراد النقيض، والثالث الانجرار، والرابع التناسب،... والمناسبة الواقعة فيه إنما توجد في أربعة أشياء: نسبة الأول منها إلى الثاني نسبة الثالث إلى الرابع¹، فالملاحظ أنه لا يتعد عن ابن البناء وإنما يشرح ويمثّل فقط.

ينقل أبو القاسم السجلماسي تعريف ابن البناء العددي، ويفضي عليه جمالية التفسير والاستشهاد، فيورد لنا الخصام النقدي وما حدث "للمتني" مع "سيف الدولة" وحاشيته من أرباب دولة النقد، حتى احتاج "المتني" إلى آية قرآنية بها تشاكل التناسب، فأفحم الحضور بحجته، والقصة معروفة في كتب الرواة، وما التقسيم الذي جاء به السجلماسي إلا لمزيد من التوضيح والإفهام.

في حين يشير ابن البناء العددي إلى التناسب وأصنافه والمعتبر منه، بوجه من التفصيل في كتابه وجوه أعمال الحساب*، فيقول: ((واعلم أن النسبة على أنواع، الأولى النسبة الهندسية مثل التي في الأربعة أعداد المتناسبة المذكورة في الكتاب، والثانية النسبة العددية وهي التي فيها الفضل بين الأول والثاني كالفضل بين الثالث والرابع... والثالثة النسبة التأليفية... والرابعة نسبة المساواة... والخامسة النسبة المؤلفة))²، ولا ينعكس هذا التقسيم على ما اعتبره في البلاغة، من حيث التقسيم إلى ضرب التناسب الهندسي، وضرب المساواة، على ما سنرى.

¹ - السجلماسي، المنزح البديع، م.س، ص 519.

* - الكتاب حققه محمد أبلّاغ، وكان العمل أطروحة دكتوراة، نوقشت في 05/05/1988، بالرباط، والكتاب ترجمه إلى الفرنسية، الفرنسي المستشرق (مار) (Marre/ 1864) وهذا لأهميته، إذ اشتغل به الفكر الأوربي حتى حدود مطلع القرن السادس عشر الميلادي حسب ما جاء من كلام المحقق.

² - ابن البناء العددي، وجوه تلخيص أعمال الحساب، تقديم ودراسة، محمد أبلّاغ، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة 1994، ص 293.

والمعول عليه في الرّوض المربع، هي النسبة الهندسية ذات الأربع متقابلات، أو الأعداد بالتعبير الرياضي، و تقلبياتها الثمانية، حيث يقول محمد مفتاح: (وما يهّمنا أن ابن البناء تحدث عن النسبة الرياضية في كتبه، وجعلها نواة كتابه البلاغي الرّوض المربع في صناعة البديع، ولذلك تجب الإشارة إلى ما كتبه ابن البناء في الكتب الرياضية ثم إلى توظيفها في المجال البلاغي... وما يتصل بموضوعنا هو النسبة الهندسية ومكوناتها هي القلب والتبديل)¹، ويضيف في موطن لآخر من نفس الكتاب ((أن ابن البناء ذهب بعيدا في الحديث عن النسبة بكل أبعادها، بحكم تضلّعه في الأعداد، ووظّفها بكيفية رائعة في الرّوض المربع)²، هذا التوظيف لم يسبق إليه على مستوى المنهج والتأليف والتوضيح.

ويبدو أن ابن البناء العددي، سار في نظرية التناسب إلى أبعد مدى، حين حاول أن يشذب البلاغة العربية، ويؤبّ مصطلحاتها على أساس هذه النظرية، وكانت معطيات التعامل معها سواء عند ابن البناء أو السجلماسي أو ابن خلدون قد أتت أكلها، وصيرت البحث العلمي في مجمله من حال إلى حال واستثمارا وجيها من خلا تبيان ((وظائفها المتعددة من حيث ربط العلاقات بين الأشياء المتناسبة والمتضادة ومن حيث الاستدلال للانتقال من المعلوم إلى المجهول)³، ومن الجزء إلى الكل.

ويعلق صاحب شرح التلخيص، في تعليقه وتمثيله على ما قاله ابن البناء العددي بقوله:

¹ - محمد مفتاح، مشكاة المفاهيم، م.س، ص 264.

² - م. نفسه، ص 124.

³ - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، م.س، ص 83.

((ولا بد من النسبة بين الأعداد وإلا لا يمكن أن يوصل إلى معرفة المجهول منها ... ويلزم أن يكون الرابع إلى الثالث كالثاني إلى الأول وكذلك يلزم أن يكون الأول والثاني إلى الثاني كالثالث والرابع إلى الرابع))¹، كما أنه صاغ مثالا للمبتدئين حتى يقرب المفهوم للأذهان، فجعل مربعا من أربع رؤوس، وعلى كل رأس وضع، أرقاما، ثم طبق الإبدال والحذف، فجعل:

$$أ = 3 \quad ب = 6 \quad ج = 4 \quad د = 8$$

فمنطق التناسب يفرض مايلي: (أ.د) = (ب.ج) حيث أن: (3.8) = (6.4).

نستنتج أنه في حالة البحث عن المجهول الأول أو الرابع أو الثاني أو الثالث، يتعين علينا، أن

نرجع إلى قاعدة التناسب، فلو ضربنا: (أ . د) وقسمناه على (ب) حصل لدينا علم بالمجهول

(س) الذي هو الحد الثالث، وهكذا يتم التناوب والإبدال. وبالتطبيق العددي يحصل: (3 . 8) =

24 ÷ 6 = 4 . والعدد 4 هو الحد الثالث، في التناسب، وهذا هو معنى قوله: ((... فنسبة الحد

الأول إلى الرابع كنسبة الثاني إلى الثالث، التي نسبة الأول من هذا الثاني كنسبة الثالث للرابع، وضرب

الأول في الرابع كضرب الثاني في الثالث، ومتى ضرب الأول في الرابع وقسم على الثاني خرج الثالث،

وعلى الثالث خرج الثاني ومتى ضرب الثاني في الثالث وقسم على الأول خرج الرابع، أو على الرابع خرج

الأول))²، وما كان من ابن البناء إلا أن عمّم هذا العمل على الشواهد البلاغية، التي تحتاج إلى صيغة

التناسب وخاصة في فصلين متتاليين: تشبيه شيء بشيء وتبديل شيء بشيء كما سيأتي بيانه.

¹ - القلصادي، شرح تلخيص أعمال الحساب، ص 230.

² - ابن البناء العددي، تلخيص أعمال الحساب، م.س، ص 221، نشير في هذا الصدد إلى أن التلخيص حققه محمد سويس، منشورات الجامعة التونسية ولكن لم نعثر عليه للأسف الشديد وإلا لاستطعنا تحوير الكثير من المقولات التي وجدنا صعوبة كبيرة في

وبهذا المثال ((و تقليباته يوضّح ما قاله ابن البناء من أن التناسب لا يتأثر بالترتيب ووقوع الفصل أو العكس أو الإبدال ... وما أشار إليه هو النسبة بين الطرفين اللذين تتولّد منهما أربع صور وبطبيعة الحال إذا كانت هناك نسبة أخرى بين طرفين فإنها تولد من أربع صور أخرى¹، وهو ما اجتهدنا قدر الإمكان في إثباته، ذلك أننا لم نجد من اهتم بالأمر، فما كان علينا إلا الإقبال عليه بمخاطره ومزالقه، والرجوع به إلى المبتغى الذي أراد ابن البناء التعويل عليه، في حلحلت الكثير من الشواهد البلاغية الشعرية وغيرها، إيماناً منه بضرورة العمل على التناسب من أجل الكشف عن المجهول الذي يتضح بعد الوقوف على مكنون المعلوم.

والحالة هذه، لا بدّ من الإشارة إلى أن هذه المبادئ الأساسية في التناسب تطوّرت في الدرس البلاغي عند ابن البناء، وبخاصة في باب الاستعارة، يقول في الروض المريع: ((وجميع الاستعارات إنما هي إبدالات في المتناسبة))²، والمجاز في قوله: (وأما إبدال شيء بشيء _ وهو مجاز كله _ فمنه في المتناسبة يبدل كل واحد من الأول والثالث بصاحبه، وكذلك الثاني والرابع. مثاله: نسبة الإيمان إلى الكفر كالنور إلى الظلمة. فيبدل اسم الأول وهو الإيمان باسم الثالث وهو النور فيقال: الإيمان نور، وكذلك يبدل اسم

فهمها وقراءتها انطلاقاً من المخطوط المشار إليه سابقاً، مع تنبيهنا إلى أن هذا المثال بسيط جداً وإنما ما جاء به ابن البناء في التلخيص استعصى علينا ضبطه، قصوراً منا على الفهم الرياضي العميق، وإنما لو قدر لنا الوقت سنراجع الأمر من بدايته، ونلم أشدات المسألة ونوضح الكثير من القضايا المهمة خاصة في قضية عمل الكفات وعلاقتها بالرياضيات، والذي وجدنا إقبال عليه من طرف الشراح.

¹ - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، م.س، ص47.

² - ابن البناء، الروض المريع، م.س، ص115.

الثاني وهو الكفر باسم الرابع وهو الظلمة فيقال: الكفر ظلمة¹، وجاء ابن البناء بقول الشاعر ابن المعتز :

غِلَالَةٌ خَدَّه صُبِغَتْ بِوَرْدٍ وَوُنُودٌ الصُّدُغِ مُعْجَمَةٌ بِخَالٍ

*- شرح الشاهد

يقول ابن البناء العددي موظفا التناسب في تحليل البيت: ((نسبة خدّه إلى حمّرتّه، كنسبة الغلالة إلى صبغها بالورد، ونسبة صدغه إلى خاله، كنسبة النون إلى النقطة التي تعجمها، فأبدل وركّب التبديل في النسبة))²، والمجهول المتأني من المعلوم، هو الحمرة الموجودة البارزة على الغلالة، وسواد الخال كنقطة الإعجام في النون، أي زينتها وجمالها لا في الحمرة فحسب، بل زاد الحسن الخال.

ولم يتوقف ابن البناء عند حدود بيان معاني النص الشعري، بل تعدّى ذلك إلى محاولة تأويل وتفسير وفهم النص القرآني، انطلاقاً من التناسبية في غير ما موضع، حيث إنّ بلاغة تأويل القرآن الكريم تتأسس على وعي بعلوم مجتمعة لا غنى للباحث المؤول عنها، كعلوم القرآن واللغة والنحو والبلاغة وغيرها، وهو ما وجد عند ابن البناء العددي، وقد كان السيوطي قديماً، قد نعتها بآلات العلوم في معرض حديثه عن التأويل فقال: ((التأويل* ما استنبطه العلماء العاملون لمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم

¹ - ابن البناء العددي ، م . السابق، ص115.

² - م . نفسه، ص116.

* - نشير إلى أن التأويل ورد في القرآن الكريم 17 مرة، في كل مرة احتمال معنى مخالف لما هو في آية أخرى، ولم ترد كلمة تفسير في القرآن الكريم، فمن ذلك قوله تعالى في سورة يوسف: (وَقَالَ يَا بَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا) الآية: 100، وقال بعدها: (رَبِّ قَدْ أَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) الآية 101، قال السيوطي، المعنى هو تعبير الرؤيا. ينظر: تفسير الإمامين الجليلين: محمد المحلي (-864هـ) والسيوطي (-911هـ) تح: عبد القادر الأرناؤوط، ج13، دار ابن كثير، (د ط) (د ت)، سورة يوسف، ص 274.

...التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تُحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة عن طريق الاستنباط¹، على أن يكون هذا الاستنباط بوعي من المفسر والمؤول انطلاقاً من الحمولة المعرفية والفكرية، فضلاً عن العُدّة البلاغية التي يلج بها غياهب النصوص.

إن اعتماد مفاتيح التأويل في التراث العربي، لا يقوم البتة إلا باعتماد معايير ومواصفات بلاغية تأويلية نابعة من الأنساق الثقافية*، التي اجتمعت في حال من الأحوال، ووفق نموذج معرفي محدد على مستوى الساحة الثقافية والمذهبية، يقول عبد الله العروي: ((التمثل هو الفهم، واصطناع المفتاح هو التأويل، تستلزم العملية التأويلية معايشة واستئناساً ثم استنباط ثم مقايسة، تتعاون فيها قوتان ذهنيّتان: الذوق والعقل))²، على اعتبار أن الذوق لا يصنع شيئاً حتى يكون العقل حاضراً، وليس هذا من قبيل الهوى، فالذي يصنع التأويل عامّة هو التمثل والفهم، ثم يكون الانفتاح على أشكال النص المتخفية. ولا يكون ذلك إلا لمن اجتمعت له مفاتيح التأويل التي ذكرنا، وأيّ إنسان يكون هذا؟.

وبما أن عمل النص، هو إنتاج الرموز وإصدار العلامات وتقديم الإشارات، على حد تعبير أحدهم، فقد أوجب على المؤول إتباع هذه الظواهر وتفكيك إشاراتها، ضمن فضاء النص الداخلي والخارجي، في حدود جمالياته الممكنة واللامحدودة، في سياق يتسع لاشتغال الفكر تنظيراً وممارسة. وعلى هذا الأساس يتجه محمد شوقي الزّين في كتابه [تأويلات وتفكيكات] إلى أن ((غادمير يتجاوز

¹ - السيوطي جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، ج2، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1991، صص 382-383

* - يطرح الباحث " عبد الله الغدامي " جملة من التساؤلات الجوهرية والمحورية في استكشاف دلالات الأنساق الثقافية المضمرة والمعلنة، ضمن الأطر المعرفية التي حددها، من وراء اشتغاله على محصلة النقد الثقافي الذي ابتدعه، موازياً لما نادى به نفسه من موت النقد الأدبي واعتلاء التاريخانية الجديدة صدارة البناء الفكري الحديث. ينظر: عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط5، 2012، ص 76 وما بعدها.

² - عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المفاهيم والأصول، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1992، ص 314.

حدود التأويل من مجرد فهم النصوص ومستويات الحقيقة التي تتضمنها إلى فهم الظواهر... والإبداعات الفنية والجمالية)¹، التي ينفرد بها نص دون آخر، وإنما مستوى الفهم هو الدرجة الأولى.

وعليه، فالمهمة التأويلية _ على حد تعبير الباحث عمارة ناصر _ في عموميتها ((تحدّد بالنسبة للنص الديني : في فعل وعي الذات لنفسها، وفعل الفهم التاريخي للعلامات التي يقدمها المطلق عن نفسه))²، ولا عبرة في هذا المقام إلا بما يحققه النص المدرّس على اختلاف بنيته وبيئته وملفوظاته من دلالات وعلامات يتحملها النص، ولا تسوّق له بمجرد استعمال التأويل، الذي لا بد من الحذر في استعماله العام والعادي، خصوصاً في الساحة المعرفية والبلاغية والدينية، القطعية أو الظنية للقرآن الكريم، فلا يتناسب هذا مع ذلك الأدبي إلا من حيث اللغة المكتوب بها.

و ركحا على ما سبق، فإن ((فهم النص القرآني وبناء معانيه يتم وفق حركتين: بلاغة الامتداد (الذهنية)، وبلاغة الارتداد (النقلية)، واللّتان تشكّلان نوعاً من التساند والتلاحم، في انتظار بلاغة ثالثة، هي بلاغة الترجيح))³، وبهذا يكون القرآن الكريم في شموليته، نصّاً حيّاً، متجدّد الفهم ويستدعي معاني جديدة، كلما تمّ التعامل مع آياته الكريمة بمفاتيح جديدة، إن على مستوى الفهم السطحي للمفردات والآيات، أو التعمق الأركيولوجي داخل اللفظ والمعنى، وضمن إطار الحقيقة والمجاز داخل آي القرآن الكريم بعيداً عن التنازع الاصطلاحي.

¹ - محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، 2002، ص33

² - عمارة ناصر، اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، الجزائر منشورات الاختلاف، ط1، 2007، ص96

³ - محمد بازي، التأويلية العربية، نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1 2010، ص 49.

ولسنا في مقام تتبع الفروق ما بين حدود التأويل أو التفسير والفهم، وما انجر عنها من كتابات ساهم النسق الثقافي في بلورة الكثير منها في التراث العربي والمناهج النقدية الحديثة، ولا نحن بصدد تبيان حقيقة المصطلحات التي يبني عليها التأويل، ولا المرجعيات الفكرية والأصولية التي يتحرك في فضائها المؤول، سواء للنص المقدس أو المدّس في كليته أو جزئيته، فهذا مبحث في ثنايا كتب أرباب المدارس النقدية العربية والغربية، قديمها وحديثها.

وإنما، نفيء إلى الرأي الذي ينعت التفسير بتتبع الألفاظ والمفردات، وينزاح مفهوم التأويل نحو تبيان معنى الكلام، الذي يروم في حقيقته مقصدية معينة، ضمن ما ((تقرره منظومة الاستعمال اللغوي))¹، في ثنائية تشكيلاهما المحورية داخل دوائر القراءة، تبعا لحركية المعنى داخل النص والذي يتأثى غالبا في عبارتين، على حد وصف حازم القرطاجني حين يبيّنهما بقوله: ((إحداهما واضحة الدلالة عليه، والأخرى غير واضحة الدلالة لضروب من المقاصد. فالدلالة على المعاني إذن على ثلاثة أضرب: دلالة إيضاح، ودلالة إيهام، ودلالة إيضاح وإيهام معا))²، وما على المتلقي المؤول إلا إرجاع البنيات اللفظية و المعنوية إلى ترتيبها الأصلي، وينشد بذلك المعنى المنفلت، والدال العائم.

إننا نهدف من وراء التركيز على هذه المقدمات، تتبع تأويلات ابن البناء العددي وتفسيره للشواهد البلاغية القرآنية على وجه الدقة، وهو واحد من الذين شغلهم القرآن الكريم في إعجازيته الفذة، ونمطه الموسّع لمدارك العلوم، فحاول الاشتغال عليه في حدود الآليات العلمية، التي وصل إليها خدمة للقرآن الكريم وإبرازا لمشاهد الإعجاز البلاغي داخل النظام المفرداتي، ونسيج النص القرآني، مع تحليل البنيات

¹ - ينظر: محمد مفتاح، مجهول البيان، الدار البيضاء، دار توبقال، ط2، 1990، ص 95. وما بعدها.

² - ينظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، م.س، ص 173.

البلاغية والاستعارية والمجازية والتشبيهية*، والتي هي من أكثر ((المستويات النصية استدعاء للتأويل، الأمر الذي يفترض في المؤول التوفر على كفاءات لغوية وبلاغية وخبرة بضروب الكلام))¹، وهو ما ركز عليه وصرح به ابن البناء العددي في مقدمة كتابه "الرّوضُ المربع في صناعة البديع"، وأكد عليه المحقق في غير ما موضع من الكتاب.

ولتأكيد هذا الانشغال الفكري عند ابن البناء، نبرز أمثلة نموذجية، فمنها ما أوّله في تبيان قوله تعالى: ﴿أَنْتَى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَحْبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾* حيث قال معلقاً على الآية: ((فالمقسّم: النسبة التي دل عليها حرف (له) والأقسام الثلاثة: نتاج وخلق، وعلم، وهو من الاستدلال بطريق السبر والتقسيم))²، ونلفي في هذا الشاهد القرآني سعة النظر والاطلاع الواسع والمعرفة الحقّة بالدرس البلاغي والدلالي العربي، فمعنى له بحسب تقدير ابن البناء، أنتى يكون له: خلق ونتاج وعلم، هذه الأوصاف بطريق السبر، وأما الحصر أو التقسيم على المفهوم الأصولي، اختار الله

* - أورد ابن البناء جميع الاستعمالات التأويلية الخاضعة للتناسب في فصل تبديل شيء بشيء، على اعتبار أن التناسب يلحقه التبديل والحذف، وفصل تشبيه شيء بشيء كله تناسب، على اعتبار الاستعارة والتشبيه والكناية مما يلحقها التناسب بين الأطراف في حذف الطرفين أو الوسطين. قال الشيخ الطاهر بن عاشور معلقاً على الآية: " (أَنْتَى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ) تنزل منزلة التعليل لمضمون التنزيه من الإبطال... فكأنها من جهة خطأ الدليل و هو انتفاء الزوجة التي هي أصل الولادة و هنا ثلاثة إبطالات إبطال الحقيقة، إبطال الكلية إبطال الجزئية"، ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج6، الدار التونسية للنشر، (دط)، (دت)، ص 411.

¹ - محمد بازي، التأويلية العربية، م.س، ص 125.

* - سورة الأنعام/101.

² - م. نفسه، ص 128، و (مسلك السبر و التقسيم من مسالك العلة و هي طريق إثباتها ومعناه حصر الأوصاف التي يمكن أن تكون علة للحكم ثم يحذف بعضها لقيام الدليل على عدم صلاحيته)، ينظر: محمد الخضري بك، أصول الفقه ط6، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1969، ص 325 و ما بعدها.

تعالى واحد منها، لدلالة الموضوع عليها أو مناسبة القول في ذكرها وهي، ولد، وعلى هذا الأساس نلغيه يستعمل المنهج الأصولي الفقهي في التخريج على طريقة المحدثين والفقهاء.

من هذا المنطلق يجدر بنا أن نتساءل عن فحوى التفسير أو التأويل . دون الدخول في الجدل الاصطلاحي . الذي قام به ابن البناء المراكشي؟ هل استتبع الطريق الأمثل الذي سار عليه المشاركة في فهم النص القرآني، أم أنه التزم طريقة ((الفهم أولاً ثم التفسير أو التأويل ومن ثمة طريق التطبيق على حد تعبير "هانس جيورج غادمير" في أطروحته حول مراحل الممارسة التأويلية))¹، وهو ما سنقف على فرادته في التحليل الآتي في ثنايا هذا الموضوع.

إن جوهر الاعتماد على التناسب بين أطراف القول، يجعل التركيز على المقول أكثر دقة وما ينجر عنه من تغيرات على مستوى الصيغ المتغيرة، يخدم الاستعارة والمجاز في القول أكثر من غيره، إذ الاستعارة ((كمجاز وتخييل ليست انحرافاً تصوريا وانزياحاً عن مطلب الحقيقة كما هي مطلوبة بالعقل، بل هي من انجاز العقل نفسه، وعلى هذا فإن الانزياح في اللغة لا ينعكس في العقل لأنه انزياح زيادة وليس انزياح توهم))² - على حد تعبير أحد الباحثين-.

لقد كان ابن البناء العددي، ينظر إلى الاستعارة على أنها نشاط لغوي متحرك، ضمن فضاء الترادف، أو قل ضمن مستوى التجدير اللغوي للمرادفات، ولكن عند تتبعنا لمبدأ التبادل وحسن التلاؤم، الذي يغذي كتاب ابن البناء في إطار انشغاله بنظرية التناسب، وجدنا أنه أحدث معايير شاملة ومكاملة لأبواب البلاغة في مجملها، ضمن أربعة أبواب منطقية التزم فيها الإيجاز مع الدقة اللازمة، على

¹ - عبد العزيز بوالشعير، غادمير من فهم الوجود إلى فهم الفهم ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 ، 2011 ، ص20.

² - عمارة ناصر، م .س، ص 155.

اعتبار أن ((الأصل الذي تدور عليه البلاغة هو حسن استعمال المجاز تشبيها واستعارة، والبراعة في الإتيان بالصناعة اللفظية... لتأدية المعنى واضحا وبعبارة تؤثر في النفس))¹ كما أبان عن منهج تفسيري وتأويلي جديد فيه من الجمالية ما نستغني عن الكثير من البحوث التفسيرية الموازية لابن البناء العددي .

ب- التناسب داخل الخطاب وحدوده .

1- النسبة بين حدود النص الأربعة أو المتولدة عنها:

ومفهوم هذه الصورة التلازم ما بين الحدود الأربعة المكونة للجملة الواحدة، وكيفية استخراج المعالم من الجاهل، والشاهد من الغائب، ومن أمثلة ذلك:

- ما أورده ابن البناء من تأويل في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ

الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾² ، حيث إن:

- المعلوم بالضرورة: نسبة الذين حملوا التوراة إلى حملهم أسفارها ثم لم يحملوا ما حملوا من القيام بها.

كنسبة الحمار إلى حمله أسفارا، فنسبتهم في عدم القيام بما فيها كنسبة الحمار في عدم قيامه بما في الأسفار.

- المجهول: استوائهم في عدم العقل.

¹ - عمر فروخ، م . س، ج1، ص17.

² - سورة الجمعة/5.

قال صاحب التفسير: اليهود لم ينتفعوا بهدي التوراة مثلهم مثل الحمار الذي يحمل الكتب الحكيمة ولا ينتفع بها. وقال مثل ذلك البيضاوي في حاشيته وأقره عليه القرطبي، و((وجه الشبه حرمان الانتفاع بما هو أبلغ شيء في الانتفاع))¹.

- من الأمثلة كذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتَ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾² وتأويلها مطابق لما مرّ معنا في الآية الأولى، فنسبة الأطراف إلى بعضها أتت بالمجهول من المعلوم، وهو أن الأصنام التي يرجون نفعها، لا تنفعهم، كما هو الشأن بالنسبة للعنكبوت لا يقيها بيتها الضعيف من قر أو حر، والمجهول هو التمسك بالوهن والضعف من غير الله تعالى.

2 - الاكتفاء بأحد المتلازمين داخل النص³:

ويلحق التناسب مواضع الإيجاز والاختصار، بذكر أطراف متناسبة دون أخرى لدلالاتها عليها ضمنا، و الشاهد فيه ، قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾⁴، حذف الجواب لدلالة تناسب الأطراف على مجهوله، والمعتبر هو: كلا لو تعلمون علم اليقين: ((لأقلعتم عن باطلكم)).⁵ و قال صاحب

¹ - محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، م. س، ص 379. و جاء في تعليقه على الوجه البلاغي أن هذه الآية فيها تشبيه تمثيلي لأن وجه الشبه منتزع من متعدد أي مثلهم في عدم الانتفاع بالتوراة ص 382. محمد علي الصابوني، م. س، مج 3، دار الفكر لبنان. ص 379.

² - سورة العنكبوت، الآية، 41.

³ - الروض المربع، م. س، ص 143.

⁴ - سورة التكاثر، الآية، 5.

⁵ - ابن البناء، م. س. السابق، ص 143.

الصفوة: ((وجواب لو: محذوف لقصد التهويل و تقديره لو تعلمون لا ازدرتم))¹ فيقدر السامع ما يخطر بباله، فكان الإبقاء على أفق انتظار المتلقي قائما على اعتبار أن المسكوت عنه أهول من المنطوق به، وهو على شاكلة ما في القرآن من التعظيم بشأن غير المتكلم به، فيقدر السامع شأنه، ويتععض به.

3- المتناسبة بذكر الطرفين وصورها:

وفي هذه التأويلات التي سيأتي بيانها، نلمح قدرته على استنتاج المعنى من المبنى العام، انطلاقا من رغبته في تجسيده المعطى الرياضي، والمنطقي حيث لا تعارض بين العقل والنقل عند الجمهور ولو حصل التعارض، غلب النقل على ما جاء عند الأصوليين، وهو ما نلمسه في توقف ابن البناء في كثير من الآيات لعدم توافق التناسب، وأقر بعجز اللغة الصناعية أمام القرآن الكريم، ومن هذا المنطلق، يصرح: ((ويكتفى في الأشياء المتناسبة بذكر الطرفين ويجذف الوسطان فيكتفى بالمقدم في إحدى النسبتين، وبالتالي من الأخرى لأن الطرفين حاصران للوسطين، ويدلان عليهما لأجل ارتباط التناسب))²، ومن صور الأربعة، ما وقفنا عليها تحليلا وشرحا وتعليقا عند محمد مفتاح³ ومنطلقه في ذلك _ طبعا _ الروض المربع:

* - حذف مقدم النسبة الأولى وحذف تالي النسبة الثانية:

¹ - محمد علي الصابوني، م . السابق، ص 598.

² - ابن البناء، م . السابق، ص 143.

³ - نشير في هذا الصدد إلى أن الباحث محمد مفتاح ناقش هذه المسائل المتعلقة بالتناسب عند ابن البناء من وجهة نظر التقليلات الحاصلة داخل بنية النص، وما يحتويه من معنى سواء كان ذلك شاهدا من الشعر أو القرآن الكريم، ونورد أننا ناقشنا هذه المسائل من وجهة نظر أثرها في تأويل الشواهد وتفسيرها، مع زيادتنا في التقليلات الماثلة أمامنا والتي تحصلنا عليها من خلال القراءة المتمعنة في متن ابن البناء العددي وما أراد الوصول إليه منذ البداية، مع تعرية نظام التناسب داخل المصطلح نفسه، انطلاقا من الاستنتاجات التي وضعها قبل أي تصور..

وجاء بشواهد منها قوله تعالى في سورة الأنبياء ﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْاَوَّلُونَ﴾¹ وقد أولها منطقيًا وفق التناسب الرياضي بذكر الطرفين وحذف الوسطين، لتجنب التكرار والاكتفاء بالمقدم، فجعل نسبة إرسال الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى إتيانه بآية، كنسبة إرسال الأولين إلى إتيانهم بالآيات، فكان أن اكتفى بالمقدمة الأولى في الذكر بتاليها، ومن الثانية بذكر مقدمها، ويكون بذلك المشبه به سابق عن المشبه، يقول في هذا الصدد: ((فكان من البلاغة تقديم النسبة الثانية على الأولى لفظًا والحذف فيهما قرينة تدل على كل واحدة منهما معنى وقد أدت فيهما العبارة المختصرة عن المعنى بكامله، فهو من الطبقة العليا في الكلام))². والمعنى: (فليأتنا بآية معينة مثلما كان عليه حال المرسلين الأوائل يأتون بآيات معينة)، ويدل على هذه المشاكلة ((في نظام المتناسبة حرف التشبيه في قوله تعالى: كَمَا أُرْسِلَ الْاَوَّلُونَ))³.

* - حذف مقدم الأولى وتالي الثانية:

وهي من باب مشاكلة التناسب* ومرده إلى حذف مقدم الأولى وتالي الثانية، وإعادة صياغة الجملة حتى يتبين لنا المراد من المعنى القائم في الآية، ومثال ذلك ماجاء في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ

¹ - سورة الأنبياء، الآية، 5.

² - ابن البناء، م. س، ص 144. وينظر محمد مفتاح، التلقي والتأويل، م. س، ص 49.

³ - ابن البناء، م. س، ص 144.

* - يختار ابن البناء اسم مشاكلة التناسب للخطاب الذي يحتوي على الاكتفاء فيقول: (فيجب من المشاكلة في التناسب، أن تكون الثانية في الخطاب هي الأولى في التناسب، لثبوت مقدمها وهو الطرف الأول وتكون الأولى في الخطاب هي الثانية في التناسب لثبوت تاليها وهو الطرف الأخير) م. نفسه، ص 144.

كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً¹. وتأويل هذه الآية في نظر ابن البناء العددي: أن نسبة الذين كفروا إلى داعيهم كنسبة ما لا يسمع إلى الذي ينطق به ، فاكتمى بالطرفين : أحدهما " الذين كفروا" والثاني " الذي ينطق" فهي نسبة مركبة، وإعادة تركيبها تكون بإبدال المضمر في التالي بظاهره على هذا الشكل: ((نسبة الذين كفروا إلى الداعي . المضمر . كنسبة مالا يسمع إلا دعاء ونداء إلى الناعق))². ويضيف شرحا آخر لمشكلة التناسب الموجودة في الآية: ((هذه المتناسبة على نظام مشكلة التناسب: المتقدم لفظا متقدم تناسبا، وتالي كل نسبة منهما مركب فيه المقدم لأجل الألفاظ الإضافية، فهي نسبة مركبة))³.

* - حذف الوسطين والاكتفاء بالطرفين:

ويكون فيه نسبة الأمر الأول إلى جوابه كنسبة الأمر الثاني إلى جوابه، حذف الوسطين واكتفى بالطرفين، ومثاله قوله تعالى: ﴿أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمِ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾⁴ وتأويلها ما جاء به في كتابه بقوله: ((وتقديره: اسلك يدك في جيبك تسلك وأخرجها تخرج بيضاء من غير سوء))⁵، فحذف الجوابين الوسطين واكتفى بطرفيهما لدلالة التناسب عليهما.

¹ - سورة البقرة، الآية- 170 ذكر الطاهر بن عاشور أن في الآية تشبيه مركب و أخبار لمحذوف على طريقة الحذف المعبر عنه في علم المعاني بمتابعة الاستعمال عد أن أجرى عليهم التمثيل فهي تشبيه بليغ وهو الظاهر وقوله لا يعقلون نتيجة بعد البرهان: ينظر: الطاهر بن عاشور، م.س، ص 110 وما بعدها حتى ص 112 .

² - ابن البناء، م .س، ص 145.

³ - الروض المربع، م .س، ص 145.

⁴ - سورة القصص، الآية 32.

⁵ - الروض المربع، م.س، ص 145.

* - الاكتفاء بالطرفين:

والاكتفاء بالطرفين مردّه إلى الصياغة الوجيزة للتعبير بحيث يفهم من الموجود تركيب المحذوف، والمكتفى به دال على المسكوت عنه، ومثّل له بقوله تعالى ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾¹. يقول ابن البناء معلقاً على الشاهد: ((تقديره: اضرب بعصاك البحر ينفلق فضربه فانفلق) نسبة الأمر وجوابه كنسبة الفعلين الواقعين من موسى عليه والبحر))²، وعلى هذا الأساس حذفنا (ينفلق فضربه) واكتفي بالطرفين (فعل الأمر وجوبه) على حد تأويل ابن البناء.

ج - نسبة جميع المقدمات إلى جميع التوالي:

يقول ابن البناء العددي: ((والأشياء المتناسبة إذا بدلت تبقى متناسبة، فتكون نسبة الأول إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع وكذلك إذا ركبت أو فصلت أو عكست تبقى متناسبة، ولذلك يدخلها الإبدال والحذف* على ما يأتي ذكره))¹.

¹ - سورة الشعراء، الآية 63.

² - ابن البناء، م.س، ص 145.

* - يعتبر الحذف أداة من أدوات الاتساق إذ يتم داخل النص، وهو عند هاليداي وحسن، افتراض عنصر غير موجود في النص فيه دلالة على عنصر سابق عليه، ويستدل من هذا القول أنّ الحذف ينشأ علاقة قبلية، وهو يختلف عن الاستبدال لأنه يعدّ استبدالاً بالصفّر" ويعني ذلك أنّ الاستبدال يترك أثراً يستدل به على الكلمة أ العبارة المستبدلة، فيبقى العنصر البديل كمؤشر يهتدي به المتلقي أو القارئ في بحثه عن العنصر المستبدل، في حين أنّ الحذف يختلف عن هذا، إذ لا يحل محلّ المحذوف أي شيء، فيبقى الفراغ موجوداً في الجملة يهتدي إليه القارئ بعودته لإلى ما ورد في الجملة السابقة، وهذا يتفق مع تعريف تمام حسان يقول: (لا ينبغي أن نفهم الحذف على معنى أنّ عنصراً كان موجوداً في الكلام ثمّ حذف بعد وجوده، ولكن المعنى الذي يفهم من كلمة الحذف ينبغي أن يكون الفارق بين مقررات النظام اللغوي وبين مطالب السياق الكلامي الاستعمالي). ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، عالم الكتب، ط3، 1998، ص298.

يقول ابن البناء العددي: ((والأشياء المتناسبة إذا بدلت تبقى متناسبة، فتكون نسبة الأول إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع وكذلك إذا ركبت أو فصّلت أو عكست تبقى متناسبة، ولذلك يدخلها الإبدال والحذف* على ما يأتي ذكره))²، وهذه واحدة من صور التناسب الهندسي.

واستخرج من التبديل والعكس وضم وتفريق المقدمات والتوالي إلى أربع صور، فقال: ((ومتى كانت عدّة أشياء وأشياء آخر على عدتها، وكل واحد من هذه على موازاة واحد من هذه، وكلّها في غرض واحد، أما تشبيهه، أو تفسيراً أغير ذلك فهي من المتناسبة والأشياء الأولى مقدمات والأشياء الأخر توالٍ ونسبة كل واحد من المقدمات إلى قرينه من التوالي كنسبة جميع المقدمات إلى جميع التوالي، فيأتي في العبارة بها على أربع صور))³، وفي هذا تأكيد على التماس الواقعي، الطبيعي في العمليات الاستدلالية التي ركز عليها ابن البناء.

ومن الصور المتفرّدة التي ساقها ابن البناء العددي، والتي لم يسبق إلى الإتيان بمثلها على مستوى من

الجدّة في التعامل مع الشواهد الشعرية والقرآنية وغيرها:

¹ - ابن البناء، م. السابق، ص106.

* - يعتبر الحذف أداة من أدوات الاتساق إذ يتم داخل النص، وهو عند هاليداي وحسن، افتراض عنصر غير موجود في النص فيه دلالة على عنصر سابق عليه، ويستدل من هذا القول أنّ الحذف ينشأ علاقة قبلية، وهو يختلف عن الاستبدال لأنه يعدّ استبدالاً بالصفّر" ويعني ذلك أنّ الاستبدال يترك أثراً يستدل به على الكلمة أ العبارة المستبدلة، فيبقى العنصر البديل كمؤشر يهتدي به المتلقي أو القارئ في بحثه عن العنصر المستبدل، في حين أنّ الحذف يختلف عن هذا، إذ لا يحل محلّ المحذوف أي شيء، فيبقى الفراغ موجوداً في الجملة يهتدي إليه القارئ بعودته لإلى ما ورد في الجملة السابقة، وهذا يتفق مع تعريف تمام حسان يقول: (لا ينبغي أن نفهم الحذف على معنى أنّ عنصراً كان موجوداً في الكلام ثمّ حذف بعد وجوده، ولكن المعنى الذي يفهم من كلمة الحذف ينبغي أن يكون الفارق بين مقررات النظام اللغوي وبين مطالب السياق الكلامي الاستعمالي). ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، عالم الكتب، ط3، 1998، ص298.

² - ابن البناء، م. السابق، ص106.

³ - م. نفسه، ص106.

1- حضور المقدمات مع التوالي:

ويعلق ابن البناء على هذا الأمر بقوله: ((إحداهما أن تأتي بكل واحد من المقدمات مع قرينه من التوالي))¹، والشاهد قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۗ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۗ 2﴾، فقرن الليل بالسكون والخلود للنوم والراحة. والنهار متعلقه المعاش والتكسب، وهو معنى قوله السابق: والأشياء الأول مقدمات والآخر توال، ونسبة كل واحد من المقدمات إلى قرينه من التوالي كنسبة جميع المقدمات إلى جميع التوالي، فنسبة الليل إلى اللباس كنسبة النهار إلى المعاش، كل متعلق بقرينه.

2- جميع المقدمات والتوالي مرتبة من أولها:

والشاهد فيها قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۗ 3﴾، وسلك ابن البناء في هذا الشاهد تأويله من منطلقه البلاغي المندرج تحت مصطلح المقابلة، فالمقدمات (الليل والنهار) مرتبة في السياق، منسجمة مع دلالة الخطاب في الشرط الثاني أو التوالي على حد تعبيره، وهي (لتسكنوا فيه ولتبتغوا) وهذا من منطلق حرص الله تعالى في آي القرآن على تبليغ المراد من عدّة أوجه يحتملها المعنى من دون إفساد لعله وجوده، وهو كثير في القرآن الكريم، ولذلك جاء في الأثر أن القرآن حمّال أوجه.

¹ - ابن البناء العددي، م. س، ص 107.

² - سورة النبأ/ 10-12 قال الصابوني: تشبيه بليغ ومقابلة لطيفة جعلنا الليل لباسا أي كاللباس، في الستر والخفاء وقابل بين الليل والنهار والراحة والعمل وهو من المحسنات البديعية، المعكوس فيعود لتسكنوا فيه إلى الليل. ينظر: م. س. ص 511.

³ - سورة القصص/ آة: 73 قال الطاهر ابن عاشور معلقا على الآية الكريمة: (وقد سلك في قوله " لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله" طريق اللف والنشر والتقدير: ولتبتغوا من فضله فيه فحذف الضمير وجاره إيجازا اعتمادا على المقابلة)، التحرير والتنوير م. س، ص 171.

3- جميع المقدمات مرتبة من آخرها مع التوالي:

ويصور ابن البناء العددي في الصورة الثالثة وفق ما يأتي: وهي أن تأتي بجميع المقدمات ثم بجميع

التوالي مرتبة من آخرها وتسمى رد الأعجاز على الصدور، كما قال تعالى:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا

كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ¹⁰⁶ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ¹.

فالمقدمات في قوله [تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ] وإنما حصل الترتيب في تواليها من الآخر إلى الأول،

الذين اسودت في المرتبة الأولى والذين ابيضت في المرتبة الثانية] لشناعة منظر السواد وشدة وقعه في

النفس، ثم النفس متعلقة بما يسفر عنه البياض من جنان ورحمة من عند المولى تبارك وتعالى، ومع ذلك لم

يتغير البناء العام للآية، وكان فيها جمالية بلاغية وركيزة أساسية من مصطلحات البلاغة، تفتن لها ابن

البناء العددي من منطلق توصيفه للمصطلح وفق التناسب الرياضي الغالب على الكتاب.

4- الاختلاط في الترتيب بين المقدمات والتوالي:

ويصنع ابن البناء من هذه العملية مصطلح اللّف، يقول: ((والصورة الرابعة أن تأتي بجميع المقدمات

ثم بجميع التوالي مختلطة غير مرتبة ويسمى ذلك اللّف))²، والشاهد فيها قوله تعالى:

﴿وَرُزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ³﴾

وبعد تمام الآية يشير إلى كمال تأويلها يقول: ((فنسبة قوله تعالى: متى نصر الله، إلى قوله: والذين

¹ - سورة آل عمران/ 106، ابن البناء العددي، م. س، ص 107.

² - الروض المريع، م. س، ص 108.

³ - سورة البقرة، الآية: 212. وقال صاحب تفسير الجلالين: [حَتَّى يَقُولَ] بالنصب والرفع جائز.

آمنوا، كنسبة قوله: ألا إن نصر الله قريب، إلى قوله: حتى يقول الرسول. فالذين آمنوا معه يقولون: متى نصر الله، والرسول يقول: ألا إن نصر الله قريب. لأن القولين المتباينين يصدران عن مقامين متباينين¹، وفي هذا التفسير للآية تظهر عبقرية ابن البناء العددي .

وعند حديثه عن المناسبة بين الأضداد، قرب المفهوم من المغالبة وصنع لذلك اسما يندرج ضمن الكلية الثالثة، فكان أن جعل له المكافأة، وحلّ بيت بشار بن برد من طريق التناسب الهندسي المبني على الأربعة متقابلات، وما حذف الوسطين وترك الطرفين إلا مزية الشاعر في نظمه واختصارا للأمر ومزيدا من جمالية البلاغة ورونق الفصاحة.

ولا يتعد كثيرا ابن البناء العددي عن درس التناسب حتى يبادرنا بعلاقة ترتيب المناسبة بالنظم فيقول: ((ولا بد في ترتيب المناسبة من مشاكلة النظم))² ، وهنا ساق لنا الجدل النقدي الذي حدث للمتنبّي مع نقاده، داخل مجلس سيف الدولة بنوع من الاختصار وإن كان السجل ماسي قد أفاض فيه، وذكره بكل حيثياته، وفي ذلك يقول المتنبّي:

كَأَنِّي لَمْ أُزَكِّبْ جَوَادًا لِلدَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ

وَلَمْ أَسْبَأِ الرَّقَّ الرَّوِّيَّ وَلَمْ أَقْلِ لِحَيْلِي كَرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْقَالِ

فما كان من النقاد أن تعجبوا على عدم التناسب بين الشجاعة والكرم، والجواد للصيد والكاعب صاحب الخلخال، ولكن ابن البناء العددي تفتنّ كما تفتنّ المتنبّي بذكائه، لما جاء في قوله تعالى:

¹ - ابن البناء، م. السابق، ص 108.

² - م. نفسه، ص 110.

﴿ وَإِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ 118 وَإِنَّكَ لَا تَتَّظَمُونَ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾¹، فقرن الله تعالى بين الجوع والعري، وجعل سلبهما مضافاً لآدم، وقرن بين الظمّ والضحي ووصفه بسلبهما عنه فكذلك جعل امرؤ القيس، الشجاعة مع الكرم، لأنهما مصاحبان في الوجود، وقرن بين مركوبين للذة: الجواد في الصيد، والكاعب ذات الخلخال في المتعة، يقول ابن البناء معلقاً: ((ولو بدّل عجز كل بيت منهما بعجز الآخر لا اختلّت المشاكلة وفسد نظام المناسبة))²، وقد استعمل السجلماسي نفس الشاهد ولكن وظفه بطريقة مختلفة.

وعليه فإن المناسبة لا تكون إلا في جمع المتلائمين، وهذا التلاؤم كما عبّر عنه ابن البناء العددي لا يكون ((إلا بين الشيء وشبهه، وقد يكون بين الشيء وما يستعمل معه، وقد يكون بين الشيء وما يشاكله في اعتبار التناسب))³، وهو ما استعمله ابن البناء في تشبيه شيء بشيء وتبديل شيء بشيء، مخافة اختلاط الأمر على القارئ.

وعن العلاقة الوطيدة ما بين الاستعارة والتناسب، وما يترتب على ذلك من حسن المعنى وعن العلاقة الوطيدة ما بين الاستعارة والتناسب، وما يترتب على ذلك من حسن المعنى وتركيب جيد للفظ، يقول

¹ - سورة طه، الآية، 118.119، وردت فيها لطائف بلاغية وتفسيرية جميلة فقال: أفرد صاحب التحرير والتنوير إشارة وقد قرن بين انتفاء الجوع واللباس، وبين انتفاء الظمّ وألم الجسم، لمناسبة بين الجوع والعري، في أن الجوع خلو باطن الجسم عما يقبه تألمه، وذلك هو الطعام وأن العري خلو ظاهر الجسم عما يقبه تألمه وهو لفح الحر وألم حرارة الباطن ملائم لأن حرارة الطاهر إذ جمع النظائر من أساليب البديع في نظم الكلام ص وقد قرن بين انتفاء الجوع واللباس وبين انتفاء الظمّ وألم الجسم لمناسبة بين الجوع والعري في أن الجوع خلو باطن الجسم عما يقبه تألمه وذلك هو الطعام وأن العري خلو ظاهر الجسم عما يقبه تألمه وهو لفح الحر وألم حرارة الباطن ملائم لأن حرارة الطاهر إذ جمع النظائر من أساليب البديع في نظم الكلام. ينظر: التحرير والتنوير، م. س، ص 321.322.

² - ابن البناء، م. السابق، ص 110.

³ - م. نفسه، ص 112.

ابن البناء: ((ومتى لم تكن ثم مناسبة، أو كانت لكنها بعيدة أو ركيكة أو ساقطة كانت الاستعارة فاسدة))¹، لأن التناسب محور الاستعارة على حد تعبير ابن البناء .

والشواهد التي في الكتاب كثيرة، حيث ذكر وحلل أكثر من ستة ومائتي شاهد بلاغي أحصى فيه سبع وعشرون ومائة آية من الذكر الحكيم، وما يزيد عن أربعة وسبعون بيتا وشطرا من الشعر، وبعض الأحاديث النبوية والأقوال المأثورة، وعلى هذا الأساس هدّم الكثير من المباحث البيانية التي أبانت عن عدم البصيرة من طرف الأوائل، ورد الكثير من التقسيمات التي لا تنبني على أساس أقوم وخلفية علمية واضحة المعالم والأسس.

وبناء على ما ذكرناه سابقا، فإن نظرية التناسب التي اعتمدها ابن البناء العددي في فهمه ومقارنته للدّرس البلاغي كان لها ((دور في دقّة التحليل وفي التوليد وفي ملء الثغرات؛ ومختلف العلائق بين الجمل المثبتة والجمل السالبة، ومجال سلبها أفادت في إدراك الفروق الدقيقة بين الجمل، وفي تأويلها وتأويلا سليما يعصم من الخطأ))²، ومن المهمّ من ذلك كلّ أنّه ((لم يكن يهدف إلى فهم الجمل مستقلة وتأويلها فقط، ولكنه كان يهدف إلى فهم أي نص وتأويله مهما كان نوعه))³، فضلا عن تطبيق المنهج العلمي الرياضي، على النصوص البلاغية.

و بهذا المعنى، يشير في معرض تفرقة ما بين الفصاحة والبلاغة والصناعة والعلم إلى ما ذهب إليه محمد مفتاح سابقا، وإن كان هذا الأخير أجمل القول تارة وفصلّ تارة أخرى، فيقول ابن البناء:

¹ - ابن البناء، م. السابق، ص 116.

² - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، م. السابق، ص 56.

³ - م. نفسه، نفس الصفحة.

((وبهذا الذي ذكرناه في هذا الكتاب يعرف التفاضل في البلاغة والفصاحة وهو قدر كاف في فهم ذلك في كتاب الله وسنة نبيه وفي المخاطبات كلّها))¹، وهي إشارة إلى تعميم الحديث عن جميع النصوص والمحطبات التي تتضمن أشكالا من التناسب الهندسي، وتنم عن إدراك معانيها انطلاقا من التناسب نفسه، على وجه نعرف من خلاله ما يجتري في النص على المستوى السطحي والعميق، دون الإخلال بالمعنى الدقيق أو المبني الواسع له.

ويتوقف ابن البناء العددي عند حدود طاقة التناسب، حيث لا تستطيع أن تجمع كل التحليلات والتأويلات، وذلك للفروق الجوهرية ما بين اللغة الطبيعية والصناعية، ولا تتحمل المتناسبة هذا الوزر، وإنما طبيعة اللغة تفرض هذا القيد، يقول ابن البناء: ((وتبديل المشابهة بسيط لا تعتبر فيه النسبة وإنما تعتبر فيه صفة الشبه بينهما فقط))²، ويفسر كلامه في موضع آخر من الكتاب بقوله: ((فلا يجمع في المتناسبة بين المتنافرين ... ومتى جاء الجمع بين ضدّين فلمعنى آخر لقصد البيان. فإن بضدّها تتبيّن الأشياء))³، وقد استدل على كثير من أقواله في هذا الشأن في الكتاب.

ويأخذ محمد مفتاح بطرف القول في هذا المقام، ويبيّن ماله علاقة بالموضوع، ويستدرجنا نحو فهم حقيقة اللغة في تطابقها مع المنطق الرياضي، من غير الطعن في شرعية التناسب، فيقول واضعا بذلك حدا فاصلا لما توقف عنده ابن البناء العددي: ((... بيد أن ابن البناء لم يسر في توظيف التراث الرياضي والمنطقي إلى أقصى حد ممكن... إذ أخذ بعين الاعتبار جوهر اللغة الطبيعية لا القوانين الرياضية

¹ - الروض المربع، م. السابق، ص 174.

² - م. نفسه، ص 116.

³ - م. نفسه، ص 111.

والمنطقية المجردة ... فتعايير اللغة الطبيعية إما أن تكون أوسع وإما أن تكون أضيق من النسب الرياضية والمنطقية، لذلك كان لا مفرّ له من أن يقسّم أو يقدر¹)، هذا التقدير والتقسيم عنّ له بعد طول نظر في التشبيهات والاستعارات والكنائيات، مع محاولته العودة بالقارئ إلى التمهيد الذي وضعه سلفا والمتمحور حول علاقة الفصاحة باللفظ، والبلاغة بالمعنى، ومنه يتحقّق التعريف الذي وضعه في قوله: ((وبلاغة أن يعبر عن المعنى المطلوب عبارة يسهل بها حصوله في النفس متمكنا من الغرض المقصود))²، وكنا قلنا أن هذا التعريف لا يجتر فيه تعاريف وحدود من سبقه، بل حاول إيجاد تعريف بنفسه.

وهذه المعادلة المتكونة من الأقطاب الأربعة:

[1- التعبير السليم 2- الأداء الموجّه 3- مركزيّة التعبير 4- حصول المراد]، هي التي اعتمدها في محاولة بناء إستراتيجية دقيقة في إثبات الإعجاز، الذي ينطلق من المنظومة المفرداتية، والخطاب الأشمل لكل الخصوصيات وبناء المعنى على الطرق الثلاث التي قرّرها ابن البناء العددي: الوجيز، البسيط، المتوسط.

يقول معلّقا على هذا البناء الثلاثي: ((فلذلك انقسم الخطاب في البلاغة إلى الإيجاز والمساواة والتطويل، وبجسب الأغراض من الخطاب أيضا))³، ومرد هذا الأمر إلى مراعاة أحوال المستمعين على حدّ تعبير الجاحظ في الكثير من المواقف التي جعل لزاما على المرسل أن تكون رسالته مفهومة للمتلقّي، أو السامع على حدّ اصطلاح الجاحظ.

¹ - التلقي والتأويل، م. س، ص 55.

² - ابن البناء العددي، م. س، ص 87.

³ - ابن البناء العددي، م. س، ص 87-88.

وفي ختام الكتاب، يحوصل ابن البناء دلالات الخطاب البلاغي فيقول: ((واعلم أن المحمود في جميع أساليب البلاغة إنما هو ما لا يظهر فيه التكلّف ولا يكون مطلوباً بالتعسّف، وعليه رونق الفصاحة وطلاوة البديع...))¹ ، وبالتالي يحصل له المراد وتحقيق الغرض من تقريب أصول صناعة البديع، ومن أساليبها البلاغية ووجوه التفرّيع، تقريباً غير مخل بالمعنى وتألّيفاً غير ممل، يصغر جرمه، ويكثر علمه، ومنفعته في زيادة الميّة وفهم الكتاب والسنة.

¹ - ابن البّناء العددي، م. س، ص 174.

2- أثر صناعة البديع في تحسين المعنى وسبك النص

تمهيد

أ- التكرير.

ب - المصاحبة المعجمية

ج- تحسين المعنى وسبك النص.

تمهيد:

لم يكن ابن البناء العددي المراكشي غافلاً عما تخلفه صناعة البديع من آثار مهمّة على صيغة التأليف، وحسن سبك النص، وبالتالي على متلقّيه، لذلك نجده في معرض حديثه عن تطبيق مصطلحات البديع، يبرز جلاله قدرها داخل الشاهد البلاغي، وما تخلفه من فجوات عند عدم الاستعانة بها أو تغيير موضعها، خاصّة في الشواهد القرآنيّة كما رأينا وحلّلنا ذلك في السابق.

وقد تفتّن لهذا الأمر البلاغيون والنقاد قبله لهذا الأمر، واصطلحوا عليه الكثير من المصطلحات التي توحى بانشغالهم العميق بهذا الأمر، وخاصّة أبو عثمان بن بحر الجاحظ الذي يقول: ((ووصفوا كلامهم في أشعارهم فجعلوها كبرود العصب والحلل والمعاطف والديباج والوشي وأشباه ذلك))¹ فكان أن أعطى للكلام / الخطاب، عنصر النسيج والتخطيط والاسترسال ذلك أنه من الآثار المهمّة التي تركها صناعة البديع على النسيج النصّي* بحسب المفهوم التراثي للمصطلح بصفة عامّة، تحسّين المعنى وسبك النص، ولعل لسانيات النص** الحديثة حاولت الاهتمام بقدر كبير بمسائل الاتساق والانسجام

¹ - الجاحظ، البيان والتبيين، م. س، ص، 222، يشير إلى أنّه اهتمّ بالتحام الأجزاء في قوله: (وأجود الشعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان نفسه، ص222، ومن الملفت أنه اهتم إضافة إلى هذا بأحوال المتلقين للخطاب، فقال: (إذا لم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على قوله، لم يبلغ القائل في منطقته، وكان النقصان الداخل عليه بقدر الخلة بالاستماع منه... المفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل) البيان، م. السابق، ص 11. بتصرف.

* - تكلم محمد مفتاح على مفهوم النص في الثقافة الإسلامية فكان أن جعل له سبعة مصطلحات وردت في التراث العربي عامّة ومنها: ((- النص منصّة- النص كتاب- النص كلام- الكلام نسيج- الكلام صيغة - الكلام جسد- الكلام ماء)).

للاستزادة في هذا الموضوع، ينظر: محمد مفتاح، المفاهيم معالم، السابق، من الصفحة 17 إلى 26.

** - لسانيات النص، (منهج لساني ظهر في نهاية الستينات من القرن العشرين يسميه بعض اللغويين " نحو النص" ويسميه البعض الآخر " اللسانيات النصيّة" (La linguistique textuelle) يتكفّل هذا المنهج بدراسة بنية النصوص وكيفيات اشتغالها وذلك من منطلق مسلّمة منطقيّة تقضي بأنّ النص ليس مجرد تتابع مجموعة من الجمل وإنما هو وحدة لغويّة نوعيّة (Une unité linguistique spécifique) ميزتها الأساسيّة الاتساق والترابط). (وإنّ أهمّ ما تعالجه اللسانيات النصيّة من قضايا هي أثر السياق في الملفوظات اللغويّة وكذلك الظواهر التي تكفل للنص ترابطه وانسجامه، أي دراسة مختلف العلاقات بين الجمل). ينظر:

والترايط داخل النص - معايير النصية -، عندما تجاوزوا حدود دراسة الجملة، إلى دراسة النص كوحدة مؤتلفة من حيث المعنى والمبنى.

و بهذا المعنى يعرف الباحث حسن بحيري لسانيات النص على أنها: ((نظرية أو اتجاه لغوي غربي حديث من اللسانيات الوصفية، يعنى بوصف البنية الكلية للنص وتحليلها وبيان علاقاتها- دون الاقتصار على دراسة الجملة فقط، مع تركيز الاهتمام على القضايا التي تحقق تماسك النص وتناسقه))¹ وفق ما تقتضيه طبيعة النصوص من تحليل وفك الشفرات.

ولسنا في مقام سرد ما تعلق بهذه النظرية وما كتبه الغرب والعرب فيها، وإنما سنحاول وفق اجتهادنا أن نؤسس للتأثير المباشر وغير مباشر الذي تسببه مصطلحات البديع المتخيّرة داخل النص، وكيف تجعل منه نصا محكم النسيج مترابط الأجزاء متلاحم الأطراف، بحسب التوجّه التراثي في المسألة، وبخاصّة ((عند الباقلاني وابن طباطبا العلوي والحامّي والجرجاني والقرطاجني))²، وهلم جر.

محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2008، ص، 59-60.

¹ - ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص52. في حين ميّز "هارتمان" في نشأة لسانيات النص "بين سبع مراحل من التطور وضعت معالمه هي: علم البلاغة علم الأسلوب، التأويل، السيميائية، وتحليل المضمون ونظرية الأفعال الكلامية والبلاغة الجديدة، ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ط1، القاهرة الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2005، ص87.

² - أشار محمد خطابي إلى أن ابن طباطبا العلوي اهتم في كتابه "عيّار الشعر" بضرورة التماسك يقول خطابي: (في عيار الشعر إشارات متفرقة هنا هناك تتم عن وعي بضرورة توفر شرط التماسك في الخطاب الشعري وعن اعتبار هذا الشرط قاعدة لا ينبغي أن يجيد عنها الشاعر إن شاء أن يستحسن شعره وأن يقبل فيقول: [إنّ للشعر فصولا كفصول الرسائل فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه صلة لطيفة فيتخلص من الغزل إلى المدح ومن المديح إلى الشكوى ... بلا انفصال للمعنى الثاني عمّا قبله]، كما أبرز أن الحامّي في حليته، أول من تحدّث عن القصيدة من منطلق تشبيهها بالكائن الحي الذي لا يستمد الجزء محاسنه إلا من هذا الكل إنّه كل متناسق الأجزاء، كما أشار إلى غاية التسويم و التحجيل عند القرطاجني من أجل استبصار تماسك النص عنده.

ثم إنّ الاهتمام المتزايد بنحت مصطلحات جديدة لصناعة البديع وما احتوته من تعاريف ومصنّفات فاقت الحدود والتوقعات في التراث العربي، لهُو خير دليل على ما يخبّئه من دلالات إيجابية تزيّن النص وتبرز رونق المعنى، من خلال الأداء الكلامي* للمخاطب، وما يتركه من أثر في ذهن المتلقي ونفسيّته.

وقد لا مسنا هذا الأمر عند البلاغيين والنقاد العرب من أمثال الجرجاني، الذي فاق أهل عصره ومن سبقه، في توجيه عنايته نحو شبكة العلاقات داخل الملفوظ، كما أوضح ذلك محمد مندور في كتابه [النقد المنهجي عند العرب]، و أبرز إبراهيم أنيس في كتابه [أسرار اللغة] أنّ عبد القاهر الجرجاني فاق من سبقوه ((من حيث العناية بترتيب الكلمات ومراعاة شأن التركيب اللغوي وصلة ذلك كلّه بالمعنى))¹، وهو ما عرض له في نظريّة النّظم، عرضاً مفصّلاً من حيث الكم والكيف.

ولا بدّ من الإشارة والتنويه بذكر ما خصّ به الجرجاني من لفت الأنظار إلى معايير التماسك النحوي والترابط المحكم، ما بين التراكيب أساساً، ثم ما بين أجزاء النص المكونة من هذه التراكيب التي تحيل القارئ إلى نوع من الفهم، الذي لولا النسخ والترابط ما فهم شيئاً، فذكر الإحالة والفصل والوصل

ينظر : محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب ، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط2، 2006. من الصفحة 141 إلى 163. مع تصرفنا الشديد في الاستشهاد من الكتاب .

* - (يقصد بالأداء الكلامي أو الإنجاز ما يبلغه متكلم أو سامع معين عند مباشرته الفعلية للغة).

ينظر : نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، الأردن، عمان، جدار الكتاب العالمي، ط1، 2009، ص 82.

¹ - إبراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النص، بحوث وقراءات ، الجزائر، منشورات الاختلاف، لبنان، دار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2010، ص 214.

والعطف، وما سواها من الأدوات والآليات التي تتحكّم في تراتبية التراكيب داخل مجال أو لنقل فضاء النص.

وفي معرض حديثه عن الفصل والوصل وعلاقتهما بوضع الجملة داخل النص، يقول الجرجاني: ((وينظر في الجمل التي تسرد ليعرف موضع الفصل منها من موضع الوصل، ثم يعرف ما حقّه الوصل موضع الواو من موضع الفاء وموضع الفاء من موضع ثم ... ويتصرّف في الحذف والتكرار والإضمار والإظهار، فيصيب بكل ذلك مكانه...¹، حتى يستقيم المعنى، ويتخذ الكلام شكله التام المبني على معايير البلاغة والفصاحة.

إنّ هذا النص على وجازته، يبين لنا فيه الجرجاني بأن لا سبيل إلى خرق قواعد النحو التي تساهم في بناء قوالب النص وسبكه*، بحيث يكون كل عنصر فيها بقدر اللبنة التي تجر العمارة - على حدّ تعبير أحدهم -، وهو ما يبرزه في موطن لآخر من الدلائل حينما يُظهر دور كل عملية نحوية وبلاغية في الصناعة اللفظية، وفق الغرض المراد التعبير عنه فيقول: ((واعلم أن ليست المزيّة بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم

¹ - الجرجاني، دلائل الإعجاز، م. س، ص 82، فصل القول في نظم الكلام ومكان النحو منه.

* - يشير د. جميل عبد المجيد، أن السبك عند رقية حسن وهالداي بنوعين: السبك المعجمي (lexical cohesion) أما السبك النحوي (Grammatical cohesion) ومثلهما ترجم سعد مصلوح المصطلح بحجة أنّه أقرب إلى الدلالة والمفهوم التراثي في النقد القديم من مثل ما ذكره الجاحظ والعسكري وأسامة بن منقذ في باب الفك والسبك حين قال: (وأما السبك فهو أن تتعلّق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره). ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 77.

بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض،¹ وهذا مؤشّر على نبوغ البلاغيين العرب في مجال اختصاصهم، فضلا عن استشراف جملة من العلوم توالى مضامينها بعدهم ردحا من الزمن، وإن كانت مسمّياتها في بطون كتبهم، ولكن كانت تنقصها الاصطلاحات التي استحدثت عند المحدثين بناء على الدراسات التي أجريّت، والمسح المعرفي الشّامل الذي مسّ التراث العربي بكل حمولته المعرفيّة؛ المنطوق و المسكوت عنها.

وبالعودة إلى ابن البناء العددي نلفيه يركز على الخطاب /الكلام، من حيث ما يعترّبه من نقص أو إطالة أو حشو، وما يختص به من تكرير أو مبالغة وغيرها، مؤكّدا على أن سلامة الخطاب من الأخطاء إنّما بتتبع خواص الكلم والتمتع بالحس اللغوي بجوانبه المتعدّدة، فيقول في هذا المقام:

((وكلّ كلام إن كان المعنى فيه ناقصا غير مستوفي فذلك الإخلال. وإن كان المعنى تاما؛ فإن كان في الألفاظ ما إذا حذفته بقي المعنى بحاله وتميّز ذلك اللفظ الزائد من غيره فهو الحشو وإن لم يتميّز فهو الإطالة))²، وهذه مزيّة أخرى تحسب لابن البناء العددي من حيث تفريقه ما بين تمام المعنى من حيث صياغة الألفاظ، وأخرى تبعا للأولى في بناء المعنى على هذه الألفاظ، من حيث الجودة والإخلال وما يترتّب على ذلك من صحّة أو سقم في الصياغة والتأليف.

¹ - الجرجاني، الدلائل، م. س، ص 87، فصل محاسن النظم (مزايا النظم بحسب المعاني والأغراض)، وقد فصل الكلام تفصيلا دقيقا في علاقة المعنى بالألفاظ ومدى التقارب والتباعد بين الفرق التي أشاعت الفوضى انطلاقا من قضية المعنى والفظ، فيكون الجرجاني قد أربأ بنفسه عن مثل هذه السفاسف من الأمور وتوجه نحو الغاية من النظم بعد شاكلته للمعايير النحوية، فضلا عن تأسيسه للدرس اللساني الحديث، في العلاقة المتينة ما بين الدال ومدلوله، والصورة الذهنية، وواقع الاتصال أو الانفصال ما بين المرسل والمرسل إليه، ووجه تلقي الرسالة، فينتج عن هذه الدائرة المغلقة نظرية النصانية الحديثة في تاملاتها الأولى، في التراث العربي.

² - ابن البناء العددي، الروض، م. س، ص 83.

ولذلك نجد في موضع آخر بيني المعنى على اللفظ القليل وما يتداخل في هذا الشأن بين التأليف، والحاجة إلى ضبط المعنى بأقل مل يمكن، دون المرور على خصوصيات الخطاب، فيعلق على هذا الأمر بقوله: ((وإن لم يكن في الألفاظ ما إذا حذف بقي المعنى بحاله، فإن كان لا تُمكن العبارة عن ذلك المعنى بأقل من ذلك اللفظ فتلك المساواة، وإن كان تمكن العبارة عن ذلك المعنى* بأقل من ذلك اللفظ فهو الإيجاز))¹، على أن الذي يفرض نفسه هو لكل مقام مقال، أو كما اصطلح عليها في لسانيات النص الحديثة، المقامية و القصدية.

أما بخصوص ما أراد ابن البناء العددي استكناه غرضه والتنبيه إلى خصوصيته تبعاً لما أنبأ عنه أول الأمر، فهو التعبير عن حلجات النفس بأقل العبارة، من غير إخلال من أجل التخفيف عن النفس على أن المراد بالنفس هنا بحسب قرائن كلامه، هو المتلقي الذي سيجد سهولة أو صعوبة في فهم الرسالة التي يفرضي بها صاحب المقال.

ولا مندوحة عن ذكر ما أراد المراكشي الوصول إليه فقال: ((ومتى كانت المعاني بيّنة بنفسها أو بقرينة سياق الكلام أو غيرها من القرائن كان الإيجاز نافعا لأجل التخفيف عن النفس لأن الألفاظ غير

* - نشير إلى تمييز العلماء العرب القدامى بين الفائدة وبين المعنى، فلا بد لكل كلام من معنى ولكنه قد يكون غير مفهوم للسامع لأنّ السمع يعرفه. وأما الفائدة فتتمثل في إفادة السامع خبر يجمله؛ أي إنّه لم يكن يعلمه ولا خبر خصائصه من قبل. وإذا كان سبويه قد ألح على هذه الوظيفة فقد التبس الأمر على الذين جاءوا بعده، ولذلك يتأسس الكلام عند سبويه على جانبين اثنين هما: المستوى البنيوي الشكلي و المستوى الوظيفي الخطابي الإعلامي الإخباري وبين هذين المستويين ترابط عميق (ينظر: بشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، الأردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2007، صص، 27-28 .
1 - م. نفسه، ص 83.

مقصودة لذاتها، إنما هي لإيصال المعاني إلى النفس¹، وقد كان الجاحظ قديماً قد أبان عن الخمس رتب في الإنشاء عن ما في الأذهان.

ويضيف ابن البناء العددي، تميمنا لما قاله في الأول: ((فإذا وصلت النفس إلى المعنى بغير اللفظ كان اللفظ زائداً فيثقل، لا سيما إن كانت النفس ترى أن لها في الوصول إلى المعنى خصوصية وشرفاً على غيرها، فإنها تسرّ بذاتها، لأنها قد بلغت إلى المقصود من غير طول، وكل ما يسهل في الوصول إلى المطلوب فهو محبوب، وكل ما يعوق عنه فهو مكروه²، ولا عجب حينما نقرأ هذا القول ونردده فنجد أن قطبي التواصل وأهداف الرسالة بحسب ما تراه النظريات النقدية الحديثة- التواصل، التلقي- كان قد عقد القول فيه عند أهل اللغة العربية، من لدن الجاحظ.

وبذلك يكون ابن البناء العددي قد أقرّ بشرف المعنى، وأهل المؤلف لأن يختصر على شاكلة المختصرين والمقلّين، في الإخبار عن ما هو موجود في الأعيان والأذهان، وبذلك يتجسّد المعنى الحقيقي للنص/الكلام ويتّسم بالترابط والاتساق والانسجام بين تراكيبه وملفوظاته، ف((كثيراً ما يؤدي تداخل الترتيب في خطاب ما إلى عدم انسجام الخطاب. وقد اعتنى المفسرون، كل من زاوية اهتمام معيّنة، بترتيب الخطاب³، لعدم مشاكلة الخطاب الأدبي للقرآني.

¹ - ابن البناء، م. السابق، ص 83.

² - ابن البناء، م.س، ص 84.

³ - محمد خطابي، لسانيات النص، م. السابق، ص 183.

ولا ينفك ما مرّ من قول، عن الحديث في مظاهر الاتساق المعجمي، والنحوي* الذي تعد بعض منازل من قبيل المحسنات البديعية، والتي فرضت نفسها بقوة عند علماء النصية على اختلاف شاكرتهم ومناحيهم، عن المظاهر الخطابية ذات القيمة البلاغية التي فرضت نفسها في هذا المضمار والتي منها المطابقة ورد العجز على الصدر والتكرير والمناسبة والبناء وغيرها، ممّا سنورد تحليلاً مجملاً عنه في ثنايا هذا المبحث.

أ- التكرير¹:

فإذا كانت العرب قديماً قد أشارت إلى أن الكلام المحبوك المسبوك، هو الذي يأخذ بعضه برقاب بعض، فإن التكرار أو التكرير - على اعتبار ما جاء في الروض المريع -، من مصطلحات فجر يبايعها ابن البناء العددي، وصيره علماء لسانيات النص من قبيل السبك المعجمي، فكيف يكون إذن لهذا المصطلح علاقة بتحسين المعنى وسبك النص؟.

للإجابة عن مثل هذا التساؤل، نستحضر نصوص ابن البناء العددي وغيره، إلى هذا الواقع اللساني المعاصر، ونحاول القراءة بآليات النصية، علّنا نجد ضالتنا في ثنايا هذا البحث اللساني.

فأمّا ابن البناء العددي فيقول: ((وأما التكرير فمنه تكرير في اللفظ والمعنى واحد ويقال له المواطأة ومنه تكرير في اللفظ والمعنى مختلف، ويقال له المشاركة))¹، وبهذا التعريف نجد علماء لسانيات

* - نحو النص هو ذلك الفرع من علوم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة الكبرى كما يهتم بدراسة التماسك والإحالة، وغيرها من المعايير. ينظر خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب الأردن، دار جرجير للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص66.

¹ - ورد بهذا المصطلح عند ابن البناء، ويورد بلفظ التكرار، ولم يأت ابن البناء على ذكر تعريفه، ولكن من وجهة نظر لسانية فهو إعادة العنصر المعجمي نفسه، بواسطة الترادف أو شبه الترادف، الاسم الشامل، وهو يشبه الإحالة نوعاً ما. على تقدير ما جاء عند (براون ويول)، ينظر: إشكالات النص، جمعان بن عبد الكريم، المركز الثقافي العربي، ط1، 2009، ص359.

النص يجعلون التكرار يحقق ظاهرة تجسيد المعنى في النصوص الشعرية والنثرية، على اعتبار الحاجة إلى إعادة الملفوظ أو ما سمي بالعنصر المعجمي لتحقيق الغرض المطلوب.

و يشير "دي بوجراند" و "دريسلر" [De beaugrand-R & Dersler] إلى أنه ((غالباً ما يكون التنظيم السطحي راجعاً إلى تحقيق توافقات أو تشابهات خاصة مع المعنى والغرض من الاتصال (جملة)²، وتقريباً من إثبات هذا المعنى تطرّق ابن البتاء إلى علاقة التكرار بالنص، من حيث ثبوته وحسنه أو نفيه وقبحه فقال: ((ولا شيء في البديع أقبح من التكرار لأنه يغض من طلاوته ويضع من قدره ... ولكن متى كانت هناك معانٍ أخرى لا تستفاد إلا من التكرار حسن التكرار ودخل في البلاغة ولم يكن مدموماً))³ واستدل على ذلك بالكثير من آي القرآن الكريم، وعيون الشعر العربي.

وعلى ذكر جمالياته في النص والبلاغة، أشار إلى المثال من قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ ﴾^{*} فقد تناولها ابن البناء من حيث دلالة التكرار، في شغله حيناً نحوياً وبلاغياً، فربطه بمنازل التقييد والاشتراط، وفي هذه الآيات كان كل قول مكرراً على حياً له مستقلاً، وكل كلمة لها دلالتها الخاصة، فتحقق بذلك السبك^{*} المعجمي والنحوي في السورة كاملة.

¹ - ابن البناء العددي، التوضيح المربع، م. السابق، ص 157.

² - جميل عبد المجيد، م. السابق، ص 80.

³ - ابن البناء، م. س، ص 158.

^{*} - سورة الناس الآية 1-2-3- جاء في صفوة التفاسير: ((الإناية بتكرير الاسم زيادة في التعظيم والاعتناء بشأنهم))، وقال القرطبي: ((التكرار هنا لفائدة تذكير بوجود ملك واح وإله واحد عند التعدد))، ينظر: الصابوني، م. س، ص 226 / 227.

^{*} - لقد اختلفت ترجمة مصطلح الاتساق والانسجام (Cohésion-Cohérence) في العربية فمنهم من قال بمصطلح الاتساق والبعض منهم قال بالسبك أو الترابط الشكلي أو النحوي، أما المصطلح الثاني فمنهم من ترجمه بالانسجام أو الترابط الدلالي أو الحيك فالذين قالوا بالاتساق أو الترابط الشكلي أو النحوي، ومصطلح الانسجام أو الترابط الدلالي أو المعنوي كانت مرجعيتهم في ذلك وصف الظاهرة، أما الذين اصطالحوا عليه بمصطلح السبك والحبك فكان منطلقهم تراثي على أنّ المدونة التراثية تحوي هذين

ومن الأمثلة الرائعة التي جاء بها ابن البناء وردّها السجلماسي والتي جعلت من تماسك النص وسبكه قمة الإبداع القرآني، بعيدا عن الجدال اللساني المعاصر قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾**، والشاهد ها هنا، (هم) وعلّق ابن البناء العددي عليها بقوله: ((ومن هذا القسم ما يأتي تخفيفا على النفس من الاسترجاع إلى ما مضى فيبنى على الثاني دون الأوّل))¹ وفيه من البلاغة وقوة البيان، ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله، ولذلك قصرت دون بلاغته الفهوم.

و قد كان السجلماسي، أوغل في تبيان النوع الأول من التكرار وهو [البِنَاء] ، و انفرّد بتحليل جميل و تعليق فريد على هذه الآية، ممّا جعلها بحق شاهدا على السبّك الذي حلّ بقوة في القرآن الكريم، فقال السجلماسي: ((فقوله " هم " الثاني بناء على الأوّل لما طال القول، وكان قوته بوجه ما قوّة التأكيد اللفظي ... ولا غرو والبناء بلاغة بديعة وسبيل من البيان عجيبة، تدل على قوّة مُنّة المتكلّم في العبارة عن معانيه وتحفظه فيها بما يخل في القول بمبانيه))²، وقد استعمل القرآن الكريم الكثير من هذه العبارات، في سورة الكريمة، كما أبان عن سر الإعجاز في توظيف المباني التي جعلت من القرآن الحكيم، قبلة العلماء والبلغاء على حد السواء.

وإلى جانب تعليق السجلماسي وابن البناء العددي، نلمس ما في التكرار من تنشيط لذاكرة المتلقي وما نجم عنه من ترابط الكلام وانسجامه، والذي جاء بسبب من مخافة طول العهد، وهذا ما نصّ عليه

المصطلحين وبهذه العودة يمكن أن نبعد عن الفوضى الاصطلاحية، كما لا يمكننا رفض الجديد لما فيه من إغناء للغة العربية وإحياء لها.

** - سورة الروم، الآية 7.

¹ - ابن البناء العددي، م.س، ص 160.

² - السجلماسي، م. السابق، ص 478.

" ديوجراند " في كشفه عن ((إنجازات علم النفس المعرفي والإدراكي وعلاقاته الوطيدة مع دراسة الذاكرة))¹ ، ومدى فاعليّة التكرار في تنشيطها على عدّة مستويات.

ب- المصاحبة المعجميّة:

إذا كان النص على حدّ تعبير خولة طالب الابراهيم ((منتوج مترابط متسق ومنسجم وليس تتابعا عشوائيا لألفاظ وجمل وقضايا وأفعال كلاميّة، النص كلّ تحدّه مجموعة من الحدود، تسمح لنا أن ندركه بصفته كلاً مترابطاً بفعل العلاقات النحويّة التركيبية بين القضايا وداخلها))² فكيف يتسنى لنا أن ندرك وجود السبك المعجمي داخل النص انطلاقاً من المصاحبة المعجميّة؟

تعد المصاحبة المعجميّة الظاهرة اللّغوية الثانية، والتي تسهم إلى حدّ قريب في تحقّق السبك المعجمي داخل حدود النص، يقول جميل عبد المجيد: ((في البديع ثمة فنون تقوم على ظاهرة المصاحبة المعجميّة، وتتجلى في هذه الفنون العلاقات المتعددة والمختلفة بين زوج أو أكثر من الألفاظ، وأولى هذه الفنون وأبرزها ؛ نظراً لاعتمادها على أبرز تلك العلاقات (علاقة التباين) المطابقة))³ ، ولقد وجدنا عند ابن البناء العددي ذكاء في التعامل مع تجنيس المطابقة ورديفه الطباق الذي عبّر عنه بقوله: ((فالطباق جمع متنافرين والمناسبة جمع متلائمين))⁴ ، على غرار ما وُجد عند قدامة بن جعفر والحامّي، الذي راح يسأل الأخفش عن الترادف أو التباعد ما بين المصطلحين وكان سنده بيت شعر الأفوه الأزدي الذي قال فيه:

¹ - جميل عبد المجيد، م. السابق، ص 108.

² - محمد الأخضر الصبيحي، م. السابق، ص 87. نقلاً عن طالب خولة ، مبادئ اللسانيات، ص 169.

³ - جميل عبد المجيد، م. السابق، ص 109.

⁴ - ابن البناء العددي، م. س، ص 111.

وَأَقْطَعُ الْهُوَجَلَ مُسْتَأْنِسًا بهوجل مُسْتَأْنِسٍ عَنْتَرِيْسٍ

يعلق قدامة بن جعفر على هذا البيت بقوله: ((فلفظة الهوجل في هذا الشعر واحدة وقد اشتركت في معنيين، لأن الأول يعني الأرض والثاني يعني الناقة))¹، وكان الانتصار لما جاء به الأصمعي في هذا التحكيم، إن جاز لنا القول.

وكان ابن البناء العددي قد استعمل هذا الشاهد في تجنيس المطابقة² عند تبيانه للمحمود من أقسام البلاغة وذكر تجنيس المطابقة، حيث نسب لها ما يكون فيها اللفظ الثاني هو الأول بعينه، وبمثل ما علق هنا، أوجز الكلام في باقي المصطلحات المتعلقة بتجنيس المحاذاة وتجنيس الكناية، وفي كل مرة يأتي بشاهد من القرآن يلخص مدى الترابط الموجود بين أجزاء الآية، وما تحققه من سبك على مستوى عال من الجمال، ففي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اِعْتَدَىٰ عَلَيكُمْ فَاَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اِعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾*، وقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾** يردف التحليل بقوله: ((وهذا النوع كـلّه يقصد به المقابلة وتحقيق المساواة في المعادلة، فلذلك استعير للمعنى الثاني اللفظ من المعنى الأول))³ وهذا هو بيت القصيد في السبك المعجمي والنحوي، الذي يبني على أساس الاقتران، الذي رأى فيه "فان دايك" ((علاقة أساسية تضع سلاسل الجمل المترابطة أصلا بعلائق منطقية ونحوية في نسق يجعل

¹ - سعاد صالح، م. السابق، ص 217. نقلا عن نقد الشعر، ص 226. وشرحها ابن البناء العددي بنفس النعت في الصفحة 164 من الكتاب.

² - ابن البناء العددي، م. س، ص 163.

* - سورة البقرة، الآية: 194.

** - سورة الأنفال. الآية: 30.

³ - ابن البناء العددي، م. السابق، ص 164.

منها كلاً متماسكا¹)، وإن كان قد تفتن إليه البلاغيون العرب وأشاحوا عنه الغطاء، وإنما مزية التصنيف كانت للمُحدثين.

وجملة القول فإن ابن البناء العددي، حرص على تقديم كل ماله علاقة بالسبك المعجمي أو النحوي من غير دراية بأنه يقدم خدمة جلييلة للسانيات المعاصرة، محاولاً تفسير النصوص من منطلق الفهم العميق للمقولات البلاغية، وحرصه الشديد على بلوغ هذا العلم غايته في إفهام السامع، أما من حيث تعامله مع المناسبة بين الأضداد، فإننا لا محالة نتلمس ما جاء في كتب أرباب لسانيات النص، وما ادّعوه من نصوص جديرة بالاهتمام، حيث تناول المغالبة والمقاومة والمكافأة في بيت بشار بن برد والذي سنجد فيه انسجاماً وترابطاً وحسن المعنى انطلاقاً من التأليف المبني على السبك والمصاحبة المعجمية*، فيقول الشاعر:

إِذَا أُيْقِظَتْكَ حُرُوبُ الْعِدَا فَنَبِيَّةٌ لَهَا عَمْرًا تَمُّ

ولا نجد من يشرح البيت من منظور نظرية التناسب الرياضية، التي حللنا فصولها سابقاً إلا صاحب الكتاب نفسه، فسنتقله على طوله، ثم لنستنتج في الأخير ما حققه التناسب في البيت من سبك وانسجام داخل التأليف، والبراعة التي أول بها ابن البناء هذا النص، خلافاً لما وجدناه عند السجلماسي، يقول ابن البناء العددي: ((فالنوم يضاد اليقظة وانتباه عمر للحروب يضادها ونسبة

¹ - إبراهيم خليل، م. السابق، ص 273.

* - يقول جميل عبد المجيد: (ليس بالضرورة أن يستخدم الشاعر الكلمة بمعناها المعجمي فقد ينحرف عن هذا المعنى وربما يؤسس الشاعر نفسه. بخاصة المبدع. معنى الكلمة؛ ومن ثمّة يستلزم معنى الكلمة الوقوف على السياق المقالي والسياق المقامي للنص. وهذا الاستلزام يؤكد صحّة منهج اللسانيات النصية في اتخاذها النص كله وحدةً للتحليل، واعتبار السياقين: المقالي والمقامي في هذا التحليل) م. السابق، ص 111.

حروب العدا إلى زوالها بعمر كنسبة يقظته إلى زوالها بنومه، كأن الناظم قال: إذا أيقظتك حروب العدا فأزل الحرب بعمر وأزل إيقاظها بالنوم،... إن هاهنا أربعة أشياء متناسبة: العدا حربها، عمر وفعله،... حذف الوسطان اختصارا وذكر الطرفين وهما حروب العدا وعمر... وكلها في نسبة التكافؤ والتضاد والثلاثة على التوالي تدفع الثلاثة المقدمات¹، فالشرح نفسه يعبر عن مكنون الاتساق المعجمي والترابط الجيد بين الأطراف، فضلا عن التناسق الذي يرده الباقلائي إلى تناسب الكلمات داخل الآية، والآيات في إطار السورة.

والتناسق هنا يراد به ((التناسب من حيث البلاغة والإبداع والسلاسة والإغراب... وملائمة اللفظ للمعنى مع تشابه النسج إلى آخر ما ينبغي أن يكون عليه الكلام))²، وما بين التناسب اللفظي والتناسق تداخل وترابط، أيّد المعنى سبيلهما وغاية اللفظ إفهام السامع وجمع شتات النص في حلته وعلى مقاس واحد.

ومثل ما وجدناه عند ابن البناء العددي، فإننا لا محالة نسبر غوره عند القرطاجني مثلا، الذي يفصح عن دلالة التلاؤم بقوله: ((... ومن ذلك حسن التأليف وتلاؤمه، والتلاؤم يقع في التأليف على أنحاء: منها أن تكون حروف الكلام بالنظر إلى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها منتظمة في حروف مختارة متباعدة المخارج مترتبة الترتيب الذي يقع فيه خفة وتشاكل ما،... ومنها أن تتناسب بعض صفاتها... أو تتماثل أوزان الكلم أو تتوازن

¹ - ابن البناء العددي، م.س، ص 109.

² - عبد الرحمن مخلوف، م.س، ص 445-446.

مقاطعها...))¹، والكلام هنا ينبئ عن نفسه من غير تصحيف ولا تزييف للحقائق التي ساقها القرطاجني، لأن ابن البناء العددي يتّوج خلاصة فكره هاهنا بقوله: ((ولا بد في ترتيب المتناسبة من مشكلة النظم))²، إذ لا يعقل التأليف من غير ما في الذهن من موجود في الأعيان على غرار ما هو مستحق في النظم.

ومن المصطلحات الأخرى المهمة في هذا الباب نذكر على سبيل الاختصار المقابلة والمزاوجة والعكس والتبديل والتفريق والتقسيم، وقد نظر ابن البناء إلى هذه المصطلحات من جهة المعنى فكشف عنها، وسلك بها سبيلا غير الذي عهدناه عند معاصريه أو مقلّديه.

ج- تحسين المعنى وحبك النص:

من الأمور المهمة التي أثّرت صناعة البديع في محتواها على مستوى الألفاظ والدلالات، كيفية اشتغال الصناعة بتحسين المعنى وحبك النص (coherence)، وهو ((معيار يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم))³، ولا شك أن المدونة النقدية والبلاغية العربية احتوت بشكل أو آخر مثل هذه المقامات، وسأقت لها جملة من الشواهد البلاغية المعبرة عن المغزى العام من إيرادها.

ومن المصطلحات الواردة في التراث العربي، التكرار المعنوي حين يكون على مستوى واضح من الجمل ، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا

¹ - حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء، م . س، ص 222.

² - ابن البناء العددي، م . س، ص 110.

³ - جميل عبد المجيد، م.س ، ص141. نقلا عن سعد مصلوح في كتابه: نحو أجرومية للنص الشعري، ص155.

حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴿*﴾ ، فقلوه " لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر " يقوم مقام قوله " ولا يدينون دين الحق "؛ فألحق ابن الأثير هذا التفسير (بيان أن التكرار هنا للخطاب على الأمور بقتالهم، والتسجيل عليهم بالذم، ورجمهم بالعظائم)¹، وقد سجل التكرار المعنوي ها هنا نسيجاً مترابطاً، وسبكاً وحبكاً.

كما أن الحذف يساهم إلى حد ما، في تحسين المعنى وجزالة التعبير وانسجام الخطاب، يقول ابن البناء العددي ((ومنه ما يقال له الحذف، وهو أن يقتصر على عمدة الكلام ويحذف ما هو فضلة لدلالة السياق عليه، كقوله تعالى: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا ﴾ * ﴿ وزنا نافعاً فحذف الصفة، ودل المراد المسكوت عنها ، وذلك يكون حيث يقصد تفخيم الأمر حتى يكون ذلك النوع هو الجنس كله في الاعتبار))²، وقد جاءت الكثير من الآيات تحمل مباحث الحذف، فكان أبلغ من الإظهار، وقد ألفت الكثير من الدراسات والبحوث البلاغية والنحوية في ظاهرة الحذف في القرآن الكريم، وكشفت على أن الخالق الباري، ما كان ليحذف إلا لتمام المعنى، وشدة وقع الكلام على المتلقي، والمقام الذي يفرض الحذف أبلغ من التوضيح والإيصال.

فمن خلال الآية السابقة الذكر، يتحقق الاتساق بجانب الوحدة الموضوعية، التي تتجنب التناقض وبالتالي فإنه من ((العوامل التي تحقق للنص اتساقه وترابطه، حسب براون " و " يول " قوة الربط التي تتحقق في العلاقات المعنوية المضمنة... ولن يختلف اثنان في ضرورة وجود مثل هذه العلاقات

* - سورة التوبة، الآية 29.

¹ - جميل عبد المجيد، م. السابق، ص 148.

* - سورة الكهف، الآية 105.

² - ابن البناء العددي، م. السابق، ص 147.

المعنوية داخل الخطاب لكي يتيسر فهمه منطقياً¹، وهذه العوامل متجسدة في الشواهد البلاغية التي ساقها ابن البناء وغيره للدلالة والاستشهاد بمواطن وجود مصطلحات البديع.

وإلى جانب التكرار المعنوي والحذف والاستعارة، توجد مصطلحات أخرى تجسّد الحبكة بمعناه الأوسع، وتدل دلالة صريحة على وجوه تحسين المعنى، من ذلك الاستطراد والتسهيم والإدماج وحسن التخلص، على أن تبقى علاقة التناسب بمختلف أشكالها قمة تجسيد هذا المبحث بكل معطياته الفنية والأدبية، مشكّلة نصاً مترابط الأجزاء متلاحم الأطراف ذو نسج محكم .

وهكذا فإنّ التماسك النصي، وخصوصية السبك والحبكة على اعتبار القدامى يتحقق من خلال الوجود الفعلي والتضاد المتوازن، لمجموع المصطلحات الخاصة بصناعة البديع، وغيرها وفق ما يختاره المؤلف أو الناظم، وينسجه داخل معمار القصيدة، أو في تسلسل آي القرآن الكريم، ضمن الفواصل المتسقة، أو في خطبة الخطيب على وجه الإمتاع والإفهام.

وصفوة القول فإنّ ابن البناء العددي على غرار ما امتلكه من قوّة التحليل والتعليل والبرهنة العلمية التي أفاد الدرس البلاغي منها ، فإنّه انزاح نحو المعيارية في تبويب البلاغة، ولم يبتعد عن التأثير الذي لحق المشاركة، وعدّ الكثير من الدارسين منحى ابن البناء العددي صعب المآخذ على المبتدئين إلا لمن كان له علم بالرياضيات والهندسة والمنطق، كما أنّه توقف عند كثير من الآيات التي استعصى الأمر عليه، في الاستشهاد عليها انطلاقاً من التناسب الرياضي، ممّا حدا به نحو التوقف دونها وحصره للمصطلحات الماثلة أمامه داخل المجموعة الواحدة، بناء على فهمه وإدراكه المنطقي للقضايا التي تحويها الفكرة نفسها.

¹ - محمد الأخضر الصبيحي، م. السابق، ص 83.

ولا جرم في ذلك، فقد كان بحق روضاً مريباً لا يريم، نشم عبيق رياحينه البلاغية والمنطقية بعد عهد صوّحت فيه البلاغة وذوت علومها وأصيبت بالاهتضام، فما كان من ابن البناء إلا أن أخرج للناس هذا الكتاب، فأصاب عقول الباحثين منها مواقع الماء من ذي العلة - على حد تعبير العرب قديماً -، من دون استعفان الطريق أو يظلّ السبيل، فأقام أودّ البلاغة، وحاك مصطلحاتها وفق نمط صناعة البيان والكليات بالحجة الداحضة، ومسدّ قواعدها، فكان يفري وينافح بفكر أريب وقول مستهلاً على بصيرة من أمره ودراية بفعله، بعد أن دجّت أقلامه وأفصحت عن مكنونها، ولم يكن أبداً حاطب ليل ولا مبتغي نيل، فحريّ بنا أن نقول فيه ما قاله البحري في مدح محمد بن عبد الملك الزيات بقوله¹:

حُزْنَ مُسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ اخْتِيَاراً وَتَجَنَّبِ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ

وَرَكِبِ اللَّفْظَ الْقَرِيبَ فَأَدْرِكْ نَ بِهِ غَايَةَ الْمُرَادِ الْبَعِيدِ

عَرَفَ الْعَالِمُونَ فَضْلَكَ بِالْعِلْمِ م ، وَقَالَ الْجُهَّالُ بِالتَّقْلِيدِ

¹ - أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجروي التادلي، الحماسة المغربية، تح: محمد رضوان الداية، لبنان، دار الفكر المعاصر، ط1، 1991، ص 469.

خاتمة

[لا تكمن قيمة الإنسان في الحقيقة التي يمتلكها. بل تكمن في العناء الصادق الذي يتجشّمه

بحثا عنها.]

تفتان تودروف

شعرية النشر، ترجمة: عدنان محمود محمد

ص6

قد يكون إنهاء الموضوع على هذه الشاكلة أمراً عسيراً؛ بعد مخاض طويل، وسجلات مع مصادره ومراجعته، التي لازمتنا وقتاً طويلاً، حتى كاد الأمر لكأنه عضو من أنحاء الجسد، ومع ذلك تقتضي المنهجية العلمية، توقيف البحث على جملة من النتائج، التي تمخضت من طريق الاستباحت في المدونات النقدية والبلاغية العربية، في شموليتها النظرية والتطبيقية .

لقد تشكّل العمل في هذا البحث، على إعادة تمثّل الفكر البنائي - ابن البناء-، وقراءة خطابه النقدي والبلاغي ونزوعه الفلسفي المنطقي، في ضوء مكتسباتنا المعرفية الراهنة، محاولة منّا تقدم بعض الإجابات، عن ما استقر عليه الخطاب النقدي والبلاغي العربي التأسيسي القديم، في شموليته الوضعية والتأصيلية.

ولئن كنّا لا ندّعي الوصول إلى الحقيقة المطلقة أو النهائية مخافة السقوط في الدغمائية، إلّا أنّنا حاولنا توضيح بعض ما تعلّق بالجانب الفكري البنائي - ابن البناء-، بمستوياته الثلاثة: المنطقية الرياضية والبلاغية، والنقدية، التي كان البحث فيها ضنينا، مقارنة بغيرها من المؤلفات في عصره.

ومن النتائج العامة التي خلص إليها هذا العمل على سبيل الحصر ما يلي:

- النقد سابق عن البلاغة في الظهور، و بدأت بوادره في الشعر الحولي المحكك، وأنّ البلاغة على بداية عهدها كانت تخص البديع .

- بعد نزول القرآن تعيّر الحال، وتقاسم النقد والبلاغة الأدوار، وسارا جنباً إلى جنب، فذاك مجال تطبيقه القصيدة، وهذه تقرب حدّ الإعجاز القرآني في شموليته.

- لم نجد دليلاً يقوى إلى حد الترجيح، بغية التفريق ما بين النقد والبلاغة، فكلاهما يأخذ بتلابيب الآخر، ويبدأ من حيث ينتهي الآخر.
 - فتح كتاب البديع لابن المعتز المجال للنظر في حركة شعر المحدثين، وحدد آليات فن القول وكشف عن جماليات فن التعبير، وسار على شاكلته المقلد والمجدد.
 - تأثر المغاربة بالمشاركة في التأليف والصناعة والاحتكاك بالثقافة اليونانية، ولكن تميّزوا بحضور قوي في المناقشة والتفصيلات، والاستمداد المباشر من كتب المنطق، وبعث القدم من رقدته الطويلة.
 - وجدت إلى جانب المدرسة الأدبية مدرسة فلسفية مغربية، شأنها شأن المشاركة، وليس تقليدا وإنما كان الاجتهاد منصباً على مسائل معينة، استلزم الأمر فيها الركون للعوامل المعرفية المحيطة.
 - تأسست المدرسة الفلسفية المغربية على شروح أرسطو، ومع ذلك غابت الروح الرشدية وحضرت الروح السنيوية، وهو ما لمسناه عند القرطاجني في المحاكاة والتخييل والسجلماسي في مفهوم وعوارض الشعر، وابن البناء في الكليات الفعلية والخطاب البلاغي، والانشغال بتحديد ماهية المصطلحات.
- أما بالنسبة للفكر النقدي والبلاغي لدى ابن البناء العددي المرّاكشي، فنجد فيه:**
- تأثر ابن البناء المرّاكشي بالكثير من النظريات التي وصلت إلى المغرب، كما تأثر بتقسيمات الشجرة الفرفورية، وغيرها، والتي تصنف المحمولات إلى خمسة أصناف، والتي عرفت عند العرب بالكليات الخمس، وهي: الجنس، النوع، الفصل النوعي، والخاصة والعرض العام، مع بعض التفاوت.
 - تطّلع ابن البناء العددي إلى تحديد القوانين الكلية التي تنضبط بها الجزئيات، وهنا لا مناص من تدخل عوامل كثيرة علمية وسياسية وفنية.

- سعيه الجاد لأجل تحقيق غايته في تبني المنهج الرياضي، والمنطق الأرسطي متمثلاً في القياس بأنواعه ونظرية التناسب، التي اتخذها مرتكزاً في الدرس البلاغي، من طريق مزجه ما بين الاستقراء والاستنتاج وقياس الشمول.

- تعاطي ابن البناء العددي مع اللغة الطبيعية من منطلق رياضي، والتزامه بالصنّفات التناسبية، في تأويل الشواهد البلاغية على اختلافها، محققاً بذلك تقارباً كبيراً بينه وبين المفسرين الذين اطلعنا على تفاسيرهم، ضمن استشعاره لمفصلية الدوائر الكبرى والصغرى.

- استنبط من النصوص القرآنية التي حلّلها الكثير من مصطلحات البديع، ولطائف الإعجاز فسّهّل له ذلك الوصول إلى المبتغى الذي رام بلوغه في مقدمة كتابه.

- تجاوزه البلاغيين المغاربة قبله في التفريق ونحت الكثير من المصطلحات كالاكتفاء و الاستدراك وخطاب التلون، وغيرها، إضافة إلى فهمه الجديد للبلاغة التي أرجعها إلى البديع كعهدنا مع ابن المعتز وتفريقه بين الصناعة والعلم في كل مجال.

- يشكّل الفكر النقدي والبلاغي البناوي قيمة علمية، تحتاج إلى مزيد من التحقيق والتحليل، وإعادة الاعتبار للروافد العلمية التي اتخذها متكناً، وعدم تعييب المنجزات البلاغية المغاربية من حقل التدريس الجامعي.

- يشغل الفكر الرياضي لابن البناء العددي حيزاً في الثقافة الغربية، لما له من سبق في تأسيس وخلق نظريات جديدة، استأثرت بالاهتمام ما يزيد عن أربعة قرون من الزمن، لذلك لزم منا الأمر، البحث في

التوجه والربط المعرفي ما بين العلوم مجتمعة في التراث العربي، وكيف يتأتى لنا ذلك اليوم، في عصر المعلوماتية؟.

- نستطيع القول إنّ الفكر النقدي والبلاغي لابن البناء العددي، اجتمعت فيه ثلاثة خصال معرفية: يحاكي البلاغيين المغاربة والمشاركة، يتكئ على المنهج العلمي والمنطق الرياضي، ويتجاوز الآخر انطلاقاً من فكر ثجاج، من دون أن يعتسف الطريق، أو يعتمد على الثُّمام من القول.

- لا بد من الإشارة إلى أنّ التأويل عند البلاغيين المغاربة يختلف عن المشاركة، نظير ما ساد عندهم من فوضى النصوص، والتأويلات الخارجة عن المنقول والمعقول، في حين استند المغاربة إلى الآليات المنطقية والرياضية بكل مكوناتها في أصول الفقه والبلاغة والشعرية.

- يحمل العصر المريني الكثير من القضايا الأدبية والفلسفية والصوفية، التي غيّرت الساحة العلمية حينها، وأثرت المكتبة المغاربية بالجديد، مما يجعلنا نأمل في البحث عن خبايا هذه الأمور وتأثيرها على الجو العلمي العام.

- برز للوجود في هذا العصر خطاب نقدي وشعري جديد، على مستوى الطرح، والجودة وصناعة القصيدة، فضلاً عن منهجية التأليف والتصنيف، وهو ما سيحيلنا لا محالة إلى تتبع ذلك في دراساتنا المستقبلية، إنشاءً لله.

وفي الختام نجد ابن البناء العددي المراكشي في كل دراساته التي بسطها للقارئ، تحريراً نقاباً ونقريباً بليغاً وحاذقاً فطناً- على حد تعبير الجاحظ -، فشكّلت كتبه مذهباً في العلم خاصاً، واتجاهاً في البلاغة لأهل النظر مألفاً.

فنطلب من المولى عز وجل التوفيق والسداد، ولا نحسب أنفسنا من الذين قال فيهم ابن الهرمة :

إِنَّ الْحَدِيثَ تَعُرُّ الْقَوْمَ خُلُوتُهُ حَتَّى يَلْجَأَ بِهِمْ عَيْنِي وَإِكْتَارُ

ولا من الذين قالت فيهم العرب في أمثالها: ((كلُّ جحرٍ في الخلاء يُسرُّ)).

ولا من الذين نزل في حقهم قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ . صدق الله العظيم. سورة الكهف، الآية: 104

ببليو جرافيا البحث

ببليو جرافيا البحث

القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع

1- أبطري، محمد، دراسات في تاريخ العلوم العربية، مؤسسة الملك سعود، الدار البيضاء،

(د ط)، 2007.

2 - إبرير، بشير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع،

الأردن، ط 1، 2007

3- أرحيلة، عباس، تجربة رائدة في البلاغة، قراءة في كتاب البديع لابن المعتز 296هـ، المطبعة والوراقة

الوطنية، مراكش ، ط 1، 2009 .

4- أرحيلة، عباس ، الكتاب وصناعة التأليف عند الجاحظ، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش،

ط 1، 2004.

5- أرحيلة، عباس ، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، ، ط 1، 1999م

6- الأسد، ناصرالدين، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت، ط 08،

1996.

7- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، (ج 19)، دار الكتب، لبنان، ط 3، (د ت)، (EL)

8- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر، القاهرة، 1998.

9- أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة 2، 1963.

10- أوگان عمر، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2001.

11- بازي، محمد، التأويلية العربية، نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

12- الباقلائي، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد صقر، القاهرة، (د ط)، 1954.

13- باطاهر، بن عيسى، البلاغة العربية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة 1، 2008.

14- بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004.

15- البطاشي، خليل بن ياسر، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرجير للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2009.

16- بلعيد، صالح، فقه اللغة العربيّة، دار هومة للطباعة والنّشر، الجزائر، 1419 هـ.

17- بوالشعير، عبد العزيز، غادمير من فهم الوجود إلى فهم الفهم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011.

18- البوشيخي، الشاهد، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د ط)، 1989.

19- بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدار الكتاب

العالمي، الأردن، ط1، 2009

20- بومزبر، الطاهر، أصول الشعرية العربية، نظرية حازم القرطاجني ، في تأصيل الخطاب الشعري،

منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.

21- التلمساني، أحمد المقرئ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا

وإبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شليبي، مطبعة الفضالة.(د ط)، (د ت)، ج05.

22- التومي، عمر وجماعته، تاريخ العلوم الأساسية في الحضارة العربية الإسلامية ، دار الكتب الوطنية،

بن غازي، ط1، 1996 .

23- ثويني حميد آدم ،البلاغة والنقد، الأردن، دار المناهج، 2007

24- الجابري محمد عابد، نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي ، المركز الثقافي العربي،

بيروت، ط6، 1993 .

25- الجاحظ، أبو عمرو بن بحر، الحيوان ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي

ط3، 1969 .

26- الجاحظ، أبو عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ط7، 1998، ج1،

ج3.

27- جديدي، محمد ، الفلسفة الإغريقية، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2009

28- الجرجاني، القاضي ، الوساطة بين المتنبئ وخصومه ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد

البحاوي ، منشورات المكتبة العصرية،، صيدا، بيروت، (د ط) (د ت) .

- 29- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، تعليق و تصحيح: محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط) (دت).
- 30- الجرجاني، عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، تعليق وقراءة: محمود محمد شاكر ،الناشر دار المدني، جدة،(د ط) (دت).
- 31- الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء ،تحقيق: محمد محمود شاكر ، دار المعارف، (دط) (دت)، ج 1 .
- 32- الجموسي، أسماء ، المتصوّر والمصطلح في الإجراء والقراءة، سلسلة أعمال وحدة البحث " مجتمع المصطلحات" كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بسوسة، تونس، ط1، 2008 .
- 33- الجموسي ، التفاعل السياقي بين الشعر الأول والتراث النقدي إلى غاية القرن الخامس الهجري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011.
- 34- جميل، عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصيّة، الهيئة المصرية العامّة للكتاب (د ط) (دت).
- 35- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، عالم الكتب، ط3، 1998 .
- 36- حسين، محمد، علم المنطق الحديث، دار الكتب المصرية، 1997 .
- 37- حسين، عبد القادر، أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار غريب للطباعة، القاهرة، (د ط)، 1998 .
- 38- حسين، عبد القادر ، المختصر في تاريخ البلاغة ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، (د ط) (دت).

39- حليس، الطاهر، اتجاهات النقد العربي وقضاياها في القرن 4هـ ومدى تأثيرها بالقرآن، منشورات جامعة باتنة، (د ط)، 1996.

40- الحسين، الزاوي، الفلسفة الواصفة: مقارنة لأشكال التعبير في الخطاب الفلسفي المعاصر، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، (د ط)، 2002.

41- حمدي، بركات محمد، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، دار البشير، الأردن، (د ط) (د ت)

42- الحنبلي، شهاب الدين، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمد الأرنؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ط 1، 1988.

43- خالص، وليد محمود، الدرس النقدي القديم بين النظرية والمصطلح، مؤسسة الوراق، عمان، ط 1، 2004.

44- الخرازي، بديعة، مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس في القرنين السابع والثامن الهجريين، مطبعة المعارف الجديدة، ط 1، 2005.

45- خطابي، محمد، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 2، 2006.

46- خلدون، البشير، الحركة النقدية أيام ابن رشيق، الجزائر، ط 1، 1981.

47- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، طبعة مصححة، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ط 1، 2004.

- 48- خليل، إبراهيم، في نظرية الأدب وعلم النص، بحوث وقراءات، منشورات الاختلاف/دار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/ لبنان، ط 1، 2010 .
- 49- الخولي، أمين، البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها، ضمن: مناهج تحديد في النحو والبلاغة والأدب، القاهرة. (دط) (دت).
- 50- الداية، محمد رضوان ، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، دار الأنوار، بيروت، طبعة 1968.
- 51- درويش، أحمد، النص البلاغي في التراث العربي والأوربي ، دار غريب للنشر، القاهرة، 1998.
- 52- الذهبي، الحافظ، الإعلام بوفيات الإعلام، تح: مصطفى بن علي عوض وآخرون، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط 1، 1993.
- 53- ابن رشد ، تلخيص كتاب العبارة، تحقيق محمود قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981
- 54- ابن رشد ، تلخيص كتاب الشعر، تح: تشارلز بتروث، أحمد عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، 1986.
- 55- الرافي، محمد صادق، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان ط 1، 1997.
- 56- الزركلي خير الدين ، تاريخ الإعلام، ج 1 ، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1979 . 57- الزركلي خير الدين ، الإعلام قاموس وتراجم، دار العلم للملايين، ط 15، 2002، ج 1.
- 58- أبو زيد، نصر حامد، الاتجاه العقلي في التفسير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 5 ، 2003.
- 59- الزين، محمد شوقي ، تأويلات وتفكيكات ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ط 1، 2002 .

- 60- السجل ماسي، القاسم أبو محمد ، المنزوع البديع في تجنيس أساليب البديع، تح: علال الغازي، مطبعة النجاح الجديدة، (دط)، 1980.
- 61- سلام، محمد زغلول، تاريخ النقد الأدبي والبلاغي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 2000.
- 62- السيد، شفيق ، فن القول بين البلاغة العربية وأرسطو، دار غريب، ط1، 2006.
- 63- السيوطي، جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، ج 2 ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1991.
- 64- السيوطي جلال الدين ، المحلي جلال الدين، تفسير القرآن، تقديم: عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، (د ط) (د ت).
- 65- ابن سينا، علي، كتاب الشفاء، فن المنطق (قسم الشعر)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة ، (دط)، 1966م.
- 66- شتوان، بوجمعة، بلاغة النقد وعلم الشعر في التراث النقدي، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، (د ط)، 2007.
- 67- الشيخ، عبد الواحد حسن ، دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط3، 1986.
- 68- الشيخ، عبد الواحد حسن ، العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي، مكتبة الإشعاع الفني، ط1، 1999.
- 69- صمود، حمادي ، التفكير البلاغي عند العرب، منشورات الجامعة التونسية ، 1981.

70- الصبيحي، محمد الأخضر ، مدخل إلى علم النص، ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم

ناشرون/ منشورات الاختلاف، لبنان/ الجزائر، ط1، 2008

71- ضيف، شوقي ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، ط 6، (د ت).

72- ضيف، شوقي ، العصر العباسي الثاني، مصر، دار المعارف، ط2.(د ت).

73- ابن طباطبا، العلوي، عيار الشعر، تحقيق نعيم زرزور، و عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية،

لبنان، ط2، 2005.

74- طبانة، بدوي، البيان العربي دراسة في تطور الفكر البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها

الكبرى ، مكتبة الأنجلوالمصرية ، القاهرة، ط6، 1976.

75- طبل، حسن ، المعنى الشعري في التراث النقدي، دار الفكر العربي، ط 3، 1998م.

76- طبل، حسن ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998.

77- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج 2 ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2

.1991

78- العاكوب، علي عيسى، التفكير النقدي عند العرب، الجزائر، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر ،

ط 9، 2012 .

79- عاصي، ميشال، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، مؤسسة نوفل ، بيروت، (دط)

(د ت).

80- عبد الرزاق، محمد حسنين ، علم المنطق الحديث، دار الكتب المصرية، (دط)، 1962.

81- العبدري، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن منعم، فقه الحساب، تقديم: د. إدريس لمرايط، دار

الأمان للطباعة والنشر، المغرب، ط1، 2005

82- عتيق، عبد العزيز، في تاريخ البلاغة العربية دار النهضة العربية، بيروت، (د ط) (دت)

83- عتيق، عبد العزيز، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، (دط) (دت).

84- العروي، عبد الله، مفهوم التاريخ، المفاهيم والأصول، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1،

1992.

85- العسكري، أبو هلال، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل

إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د ط) (دت) .

86- العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثمانية، ج1، تح، محمد سعيد جاد الحق، ط1،

(د ت).

87- عشراقي، سليمان، الخطاب القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998.

88- علي، أحمد يوسف، الاستعارة المرفوضة في الموروث البلاغي والنقدي، مكتبة الأدب، القاهرة،

ط2، 2009 .

89- علي، محمد يونس، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي،

ط 2، 2007.

90- العمري محمد، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999.

91- العمري محمد، البلاغة الجديدة بين التحييل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012.

92- الغازي، علال، مناهج النقد الأدبي بالمغرب، خلال القرن الثامن للهجرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب، ط1، 1999.

93- الفاحوري، حنا، تاريخ الأدب في المغرب العربي، ط1، 1996.

94- فاحوري، عادل، منطق العرب من وجهة نظر المنطق الحديث، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1993.

95- فانوس، وجيه، مخاطبات من الضفة الأخرى للنقد الأدبي، منشورات إتحاد الكتاب اللبنانيين، لبنان، ط1، 2001.

96- فاطمي، فتيحة، قراءة ابن رشد للنص الأرسطي، ضمن كتاب جماعي بعنوان، أرسطو في الفلسفة

العربية الإسلامية 2، فلاسفة المغرب، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2001.

97- فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، ج1-ج5، دار العلم للملايين، بيروت، (د ط) 1981م-1401هـ.

98- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق، محمد محمود شاكر، القاهرة، ط3، 1977.

99- القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تح، عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، 1954.

100- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.

101- القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن خوجة دار الغرب الإسلامي، لبنان، (د ط)، 1986.

102- قصباجي، عصام ، نظرية المحاكاة في النقد العربي، دار التقدم، حلب، سوريا، ط1،
1980 .

103- القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا،
لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، (دت).

104- القيرواني، ابن شرف أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد ، مسائل الانتقاد، تحقيق وشرح: النبوي
عبد الواحد شعلان، القاهرة، مصر، مطبعة المدني، (دط)، 1982.

105- القيرواني، القزاز، ما يجوز للشاعر في الضرورة، تح: رمضان عبد التواب و صلاح الدين الهادي
، دار العروبة، ، الكويت، (د ط)، 1982.

106- القلصادي، أبو الحسن، شرح تلخيص أعمال الحساب، تحقيق فارس بن طالب، دار الغرب
الإسلامي، ط1، 1999 .

107- القلصادي، أبو الحسن ، رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجنان، الشركة التونسية للتوزيع،
دط، 1978.

108- كنون، عبد الله ، ذكريات مشاهير رجال المغرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت،
(دط)، (دت) .

109- الكرجي، محمد بن الحسن، الكافي في الحساب، دراسة وتحقيق: سامي شلهوب، منشورات
جامعة حلب، (دط)، 1986.

110- ابن مالك، بدر الدين، المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، شرح وتحقيق: حسن عبد
الجليل يوسف، مكتبة الآداب، (د ط)، 1983.

111- محمد، أحمد سعد ، نظرية البلاغة العربية، دراسة في الأصول المعرفية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009.

112- محمد، الأمين المؤدب، في بلاغة النص الشعري القديم- معالم وعوالم، منشورات كلية الآداب، تطوان، المغرب، (د ط)، 2011.

113- محمد، عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية ، ط1، 1994.

114- المبارك، مازن ، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، دمشق، ط6، 2006.

115- المبرد، البلاغة ، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (دط) 1985

116- المبرد، الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق ، عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية ،

بيروت ، لبنان، (د ط) 1998

117- المبخوت، شكري ، الاستدلال البلاغي ، دار المعرفة للنشر، تونس، منوبة ط1، 2006.

118- المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، ط7،

1978.

119- المراكشي، ابن البناء العددي، مراسم طريقة في فهم حال الخليقة ، تحقيق: شوقي علي عمر،

دار الجامعيين للطباعة، مصر، ط1، 1996.

120 - المراكشي، ابن البناء العددي ، الروض المريع في صناعة البديع ، تحقيق: رضوان بن شقرون، (

د ط)، 1985.

121- المراكشي، ابن البناء العددي ، وجوه تلخيص أعمال الحساب، تقديم ودراسة: محمد أبلانغ،

مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1994.

- 122- مرتاض، محمد ، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، نشأته وتطوره، منشورات إتحاد الكتاب العرب، (دط)، 2000.
- 123- مرتاض، محمد ، التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، 2009 .
- 124- مرزوق، حلمي ، النقد والدراسة الأدبية ، مكتبة نهضة القاهرة ،(دط)، 1959 .
- 125- مشبال، محمد، البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، أفريقيا الشرق، المغرب، ط4، 2007 .
- 125- المصباحي، محمد ، الوجه الآخر لحداثة ابن رشد، بيروت، دار الطليعة، ط1، 1998 .
- 126- مصلوح سعد ، الأسلوب، دار عالم الكتب ، القاهرة، ط3، 1992 .
- 127- مصلوح سعد ، حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1980.
- 128- ابن المعتز، عبد الله، كتاب البديع، تح ، إغناطيوس آراتشيفسكي ، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1982 م .
- 129- مرسي، محمد ، لغة الرياضيات في العربية، تونس، بيت الحكمة قرطاج، مطبعة القلم، (دط)، 1989.
- 130- المطرف، أحمد ابن عميرة، التنبهات على ما في التبيان من التموهات، تقديم وتحقيق: رضوان بن شريفة، دار النجاح، الدار البيضاء، المغرب، (دط)، 1991 .

- 131- مفتاح، محمد ، التلقي والتأويل، مقارنة نسقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2009.
- 132- مفتاح، محمد ، مشكاة المفاهيم، النقد المعرفي والمثاقفة، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2000.
- 133- مفتاح محمد، المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، ط1، 1999.
- 134- مفتاح محمد، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996.
- 135- المكناسي، بن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بفاس ، دار المنصورة للطباعة، الرباط، 1983.
- 136- الناقوري، إدريس، المصطلح النقدي في نقد الشعر، ط2، المنشأة العامة للتوزيع، ليبيا 1394هـ ، 1972.
- 137- ناصر، عمارة، اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.
- 138- ناصر، عمارة، الفلسفة والبلاغة ، مقارنة حجائية للخطاب الفلسفي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2009.
- 139- النجار، سلوى ، الجرجاني أمام القاضي عبد الجبار، (د ط)، التنوير للطباعة والنشر، لبنان، 2007.
- 140- النهشلي، عبد الكريم، اختيار الممتع في عمل الشعر وعمله، تحقيق: منجي الكعبي،

دار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1977 .

141- الورد، باقر أمين، معجم العلماء العرب، مراجعة: كوركيس عواد، ج1، مكتبة عالم الكتب

ط1، 1986 .

142- الوهبي، فاطمة عبد الله ، نظرية المعنى عند القرطاجني ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،

ط 1، 2003م.

143- اليعقوبي، محمد ، دروس المنطق الصوري، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،

(د ط) (دت)، 2009 .

المخطوطات: (الخزانة الملكية، مدينة الرباط، المملكة المغربية)

من مخطوطات ابن البناء العددي المراكشي المعتمدة :

1- الروض المربع في صناعة البديع، مخطوط، نسخة رقم: ميكروفيلم: 3172ك.

2- المقالات في علم الحساب، مخطوط: ميكروفيلم رقم: 2215 د .

3- تلخيص أعمال الحساب، مخطوط، ميكروفيلم رقم: 2023 د و.

4- تحفة الطلاب في العمل بالإسطرلاب، مخطوط غير محقق، رقم: 1064ب.

5- تلخيص أعمال الحساب، مخطوط، الخزانة الملكية، الرباط، مكر وفلم: 328د.

6- حوار مباشر أجريناه مع الأستاذ الباحث الدكتور عباس أرحيلة ، في 20013/01/07 بالمركز

المتخصص للدراسات الإسلامية بمراكش، المغرب الأقصى.

المراجع المترجمة والأجنبية:

أ- المترجمة:

- 1- تزفتان تودروف، مخايل باختين : المبدأ الحوارى، ترجمة: فخري صالح، المؤسسة العربية بيروت، للدراسات والنشر، ط2، 1996.
- 2- جريجور شولر، نظرية الأدب الأرسطية العربية، ترجمة وتقديم: محمود درابسة، الأردن، دار جرير، ط1، 2008م.
- 3- جون كوين، النظرية الشعرية، ترجمة: أحمد درويش، القاهرة، دار غريب، (دط) 2000
- 4- غادمير هانز جورج، بداية الفلسفة، ترجمة: علي حاكم صالح، حسن ناظم، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1، 2002.
- 5- دوبي فرنان، مدخل إلى فلسفة المنطق، ترجمة: محمد اليعقوبي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، (دط)، 2006 .
- 6- فان دايك، النص بنيته ووظائفه ، ترجمة: محمد العمري، ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين ، الدار البيضاء. إفريقيا الشرق ، (دط)، 1997 .
- 7- روني وليك، مفاهيم نقدية، ترجمة: محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، (دط)، 1987.

ب- الأجنبية:

1-De beaugrand-R & Dersler , Introduction to text linguistics, London, 6ed,1992

2-Jean françois obinet, Le temps de la pensée, PUF, 1998.

3 -Jean sager, pour une approche fonctionnelle de la terminologie,

C.R.T.T ,sous la direction de Philipe, presses universitaires de Lyon, 2

الدوريات

1- أبلأغ، محمد، البناء الثقافي للعلوم في مغرب القرن 13م و14م : ابن البناء، ابن خلدون

منشورات كلية الآداب، جامعة القنيطرة، المغرب. (دع) (دت)

2- أرحيلة، عباس، كتاب الخطابة لأرسطو في الثقافة العربية، مجلة علامات، جدة، ج29 مج9،

بتاريخ جمادى الأولى 1419هـ سبتمبر 1998 .

3- أرحيلة، عباس ، ابن البناء المراكشي والبحث عن كليات البلاغة، مجلة كلية الآداب جامعة

القاضي عياض، مراكش، العدد: 8، 1992 .

4- أرحيلة، عباس ، مسألة التأثير الأرسطي في البلاغة المغربية، مجلة المناهل، المغرب، العدد54

السنة: 22، ذو القعدة/مارس1417هـ

5- أرحيلة، عباس ، حوار، الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الاشتراكي ، العدد: 426، الأحد 22

نوفمبر 1992 .

6- أرحيلة، عباس ، حازم القرطاجني والفكر الأرسطي، مجلة عالم الفكر الكويت، مج 32

أكتوبر/ديسمبر 2003 .

7- أوكان، عمر، أرسطو والاستعارة، مجلة فكر ونقد، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء السنة

الثانية، العدد: 17 ، مارس1999.

8- جمعة، خلدون، المثاقفة كوعي للحدثة ، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركزا لإنماء القومي

عدد: 48-49، بيروت/باريس، 1989.

9- حسّان، تمام، موقف النّقد من دلالات ما وراء الصّيَاغة اللّغويّة، النادي الأدبي لجدّة

1410هـ/1989م

10- درابسة، محمود، ظاهرة الغموض بين عبد القاهر الجرجاني والسجلماسي، مجلّة جامعة أمّ القرى،

العدد: 22 ، 1422هـ/2001م .

11- الزعبي، زياد، المثاقفة وتحوّلات المصطلح النقدي ، مجلة عالم الفكر، العدد: 1، المجلد، 36

الكويت، 2007 .

12- بن شقرون، رضوان، مجلة كلية الآداب، فاس، العدد: 6، 1982

13- بن شقرون، رضوان، البحث المصطلحي عند ابن البنّاّء المراكشي، مجلة دعوة الحق

العدد: 342، شهر ذو الحجّة 1419هـ/1998م .

14- بن شقرون، رضوان، مؤلفات ابن البناء وطريقته في الكتابة، مجلة المناهل، الرباط، المغرب

العدد: 32، 1985م

15- عبد السلام بن ميس، المنطق في الفكر المغربي الوسيط، الجمعية الفلسفية المغربية. المغرب سنة

2008.

16- علال، الغازي، المغرب في مواجهة الفكر اليوناني من خلال كتاب مغربي في النقد والبلاغة ضمن

أعمال ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية، نشر كلية الآداب بالرباط، 1985

17- المهدي، محسن، مجلة شعر البيروتية، العدد: 12، 1995.

الرسائل الجامعية

1- ابراهيم عبد النور، اتجاهات النقد في المغرب العربي، رسالة دكتوراة، مخطوط، جامعة وهران،

2008/2009.

2- بوزوينة، جيلالي ، آليات التشكيل اللغوي في كتاب الروض المريع في صناعة البديع، لابن البناء

المراكشي جامعة ، وهران، إشراف، الدكتور، العربي عميش.

3- بن طرّية، عمر، التفكير البلاغي عند الزركشي، رسالة دكتوراه، مخطوط، نوقشت في جامعة باتنة،

2010، تحت إشراف: أ.د. كمال عجّالي..

4- الثقفي، سعاد صالح فريح ، المصطلح النقدي والبلاغي عند ابن البناء المراكشي، رسالة ماجستير،

مخطوط، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، تحت إشراف الدكتور، حامد صالح الربيعي،

مناقشة: سنة/ 1423هـ ، 2002م .

5 - الشيخ بوقربة، مفهوم الشعر في التراث النقدي المغربي، رسالة دكتوراة، مخطوط، جامعة وهران،

نوقشت: 2000/01/20.

6- الزهراني، صالح ، الغموض والبلاغة العربية، رسالة ماجستير ، مخطوط، جامعة أمّ القرى

1409هـ/ 1988 .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

أ-ز.....	مقدمة
01	مدخل
	الفصل الأول:
38.....	التراث النقدي والبلاغي المغاربي، المدارس والمرجعيات
40.....	تمهيد

48.....	المدارس النقدية والبلاغية المغاربية.....
51.....	1- المدرسة الأدبية.....
53.....	أ- النهشلي.....
55.....	ب- القزاز القيرواني.....
57.....	ج- أحمد بن شرف.....
60.....	د- ابن رشيق القيرواني.....
67.....	2- المدرسة الفلسفية.....
74.....	أ- ابن عميرة.....
82.....	ب- القرطاجني.....
93.....	ج- ابن البناء العددي.....
95.....	د- السجلماسي.....

الفصل الثاني:

101.....	تجليات التفكير المنطقي في صناعة مصطلحات البديع.....
103.....	تمهيد.....
108.....	1- كليات البلاغة عند ابن البناء العددي.....
110.....	أ- من المفاهيم الأولية عند ابن البناء العددي.....
110.....	*- بيان الفصل الأول من الكتاب.....
118.....	*- مفهوم الشعر عند ابن البناء.....
122.....	*- مفهوم البلاغة.....
126.....	*- الفصاحة والبيان وصناعة البديع.....
138.....	ب- كليات البلاغة وصناعة المصطلح.....
141.....	*- المحاور والمجموعات.....
143.....	*- الكليات.....
147.....	2- مصطلحات صناعة البديع.....
150.....	أ- تنهيج صناعة المصطلح.....
161.....	ب- مصطلحات الغموض.....

ج- مخطط بياني للمصطلحات وشرحه.....165

الفصل الثالث :

177..... فلسفة المنطق الرياضي وتأسيس بلاغة ابن البناء العددي

178..... تمهيد

189..... 1- أثر نظرية التناسب في تأويل الشواهد

190..... أ- التناسب والمنطق الرياضي المغربي

203..... ب- التناسب داخل الخطاب وحدوده

203..... * - النسبة بين الحدود الأربعة

204..... * - الاكتفاء بأحد المتلازمين

205..... * - صور المتناسبة بذكر الطرفين

208..... ج- نسبة جميع المقدمات إلى جميع التوالي

218..... 2- أثر صناعة البديع في تحسين المعنى وسبك النص

219..... تمهيد

226..... أ- التكرير

229..... ب- المصاحبة المعجمية

233..... ت- تحسين المعنى وسبك النص

238..... الخاتمة

244..... الملخص بالعربية

245..... الملخص بالأجنبية 1

246..... الملخص بالأجنبية 2

247..... ببليوغرافيا البحث

269..... فهرست المحتويات

ملخصات المذكرة

* - العربية

* - الفرنسية

* - الإنجليزية

الملخص بالعربية

عنوان المذكرة: الفكر النقدي والبلاغي عند ابن البناء المراكشي

(الروض المربع في صناعة البديع: أنموذجا)

تشتغل البلاغة على إبراز عناصر مهمة في النص، تحدد تماسكه وانسجامه، وترابط دلالاته، ولا تكاد تنفصل البلاغة عن النقد شقيقته الكبرى، وهذا ما ألزم النقاد على مدار زمن معين من الالتزام بالحدود البلاغية والملاحظات النقدية في نقد النصوص، والتأكيد على وجود الجمالية من عدمه، بناء على العمل الجاد وفق الأسس النقدية والبلاغية الموجودة في ذهن الناقد. ولقد كان للفكر اليوناني الأثر البارز في الدرس البلاغي العربي، وتأكد ذلك بعد أن وجدنا استناد العرب إلى المنطق الصوري والرياضي في التعامل مع المصطلحات، ويعد ابن البناء (721هـ) واحداً من هؤلاء، حيث بنى البلاغة على جملة من الكليات التي تندرج تحتها جزئيات، وأوضح الأمثلة البلاغية بناء على نظرية التناسب، التي أخذها عن أرسطو، والشراح العرب. وعليه فإننا سنبين في هذه المذكرة ما يلي:

1- المدارس الأدبية والفلسفية المغاربية

2- كليات البلاغة عند ابن البناء المراكشي

3- مصطلحات صناعة البديع عند ابن البناء

4- اتساق النص وانسجامه وعلاقته بالبلاغة

5- علاقة المنطق والرياضيات بالبلاغة

ثم نتجه نحو الخاتمة التي سنحوصل فيها كل النقاط و النتائج التي توصلنا إليها، والتي ستفتح أمامنا أبواب البحث من منظور آخر في المستقبل القريب، آمليين من الله تعالى التوفيق .

Résumé

Titre : la pensée critique et la rhétorique chez Ibn al banaâ Al marrakchi.

« *Al raoudh Al mariê fi sinaât al badie (corpus)* »

La rhétorique aborde le texte sous plusieurs angles : elle en étudie la cohérence, la cohésion et le sémantisme.

Son étroite relation avec la critique a contraint les analystes, à une certaine époque, à tenir compte des règles qu'elle a fixées pour l'étude des textes littéraires.

La rhétorique grecque a marqué de son sceau l'étude du texte arabe , preuve en est l'usage de la logique formelle et mathématique qu'en fait Al marrakchi (721 H) qui a ainsi jeté les fondements d'une analyse basée sur le principe de « *généricité englobant les spécifités* », « *LA symétrie (la proportion)* » et la « *théorie proportionnel* ». Le principal mérite d'Al marrakchi , donc , est d'avoir réussi à intégrer à l'analyse du langage ce procédé d'inspiration aristotélicienne emprunté aux mathématiques arabes de l'époque .

Ainsi, l'objectif de ce mémoire consiste à mettre en exergue les éléments

suivants :

- Les courants rhétoriques et philosophiques du Maghreb.
- L'apport d'Ibn al banaâ al marrakchi dans le champ de la rhétorique, ainsi que la néologie qui en a découlé.
- La cohérence et la cohésion du texte et son rapport à la rhétorique.
- L'exégèse coranique fondée sur la théorie des « *symétrie* ».
- La relation entre la logique et les mathématiques d'une part, et la rhétorique arabe d'autre part.

Tout ceci aboutira à un ensemble de résultats ; autant de perspectives ouvrant la voie à une recherche plus approfondie que nous entamerons, nous l'espérons, dans un futur proche

Summary

Title: rhetorical and critical thinking for Ibn Al-Banaa
Al- Marrakushi

“Al-Rawd Al-marie fi sinaet al-badie, a sample”

Rhetoric, works on a very important elements in the text, which determines its coherence and cohesion, adding its correlated connotations, rhetoric can barely be separated from criticism, in fact, it's just as its big sister, what would be an obligation for critics through a long time to a certain commitment to the rhetorical boundaries and critical observations when criticizing texts, additionally to the emphasis on its aesthetic, standing on a serious work in accordance to rhetorical and critical bases found already in the critic's mind.

Greeks left a remarkable impact on the Arabic rhetorical lessons, what would be improved from a basis on mathematical and formal logic, when dealing with terms. Ibn Al-Banaa Al-Murrakushi/721H is one of those who built rhetoric on the totals which come above the partials, he also explained the rhetorical examples standing on a symmetry ..

The last was taken from Aristotle and other Arab mathematical philosophers, who all were interested in mathematics and applied it on the linguistic sciences, so here we will shed the light in this research on what follows:

- 1_Rhetorical literary schools, and the Maghreb philosophy.
- 2_Holistic rhetoric for Ibn Al-Banaa Al-Marrakushi .
- 3_Creation of Al-Badie's terminologies, according to Ibn Al-Banaa Al – Marrakushi.
- 4_Coherence and cohesion in the text, and their relationship to rhetoric.
- 5_the aesthetic of the Quranic texts' interpretation, starting from a symmetreque theory.
- 6_Logic, mathematics, and their relationship with the Western rhetoric.

We can summarize all this work to a set of searching results. In fact, it can be a complementary research in the near future, hoping for success from God